



E ISSN : 2617 -5894

ISSN : 3006 -6018

مجلة

جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

مجلة عليّة محكمة نصف سنوية

تصدر عن جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية - اليمن

(عدد خاص للمؤتمر القرآني الدولي الثالث) المجلد الثاني

سبتمبر 2025م

- أثر القرآن المجيد في إصلاح الحركة العقلية. د. عادل إبراهيم المحروق
- أثر دراسة المصطلح القرآني في وعي الأمة. د. أمين بن عمر بن عبد الله باطاهر
- أحكام علاقة المسلم بالآخر في القرآن الكريم وضوابطها. د. دليلة بوزغار
- القرآن والعلم: استكشاف العلاقة العميقة بينهما من خلال قوانين الرياضيات والفيزياء والذكاء الاصطناعي. د. توفيق عبد الله الكامل
- العلم في القرآن الكريم محفزات ومحاذير. د. سعد سعيد كرامة الغنيني
- اللحن اللغوي في قراءة القرآن الكريم مظاهره وأسبابه وعلاجه (دراسة وصفية). د. حسن أحمد بن سميط، د. عمر مبارك باسواد
- خطر القراءة الجزئية الناقصة على فهم النصوص القرآنية دراسة عقدية. د. عبدالله خميس عمير باجهام
- سؤال الهوية في القرآن الكريم. د. عثمان مصباح

الجمهورية اليمنية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية
عدد خاص للمؤتمر القرآني الدولي الثالث
المجلد الثاني
سبتمبر 2025م

المجلة مفهرسة في المواقع الآتية:

موقع المجلة



EBSCO



Crossref



DOAJ

WorldCat®



SEMANTIC SCHOLAR



Google Scholar

ننمحة
shamaa



معرفة
e-Marefa



دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

Arcif
Analytics



مَجَلَّةُ جَامِعَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ

مَجَلَّةٌ نَحْكُمُ تَقْدِيرَ عَنْ جَامِعَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ - لَيْمَن

الهيئة الاستشارية

- أ.د. عبد الحق عبد الدائم القاضي (اليمن)
أ.د. عبد الله عثمان المنصوري (السعودية)
أ.د. حسن عبد الجليل العبادلة (الأردن)
أ.د. صالح عبد الله الظبياني (اليمن)
أ.د. عبد الرحمن إبراهيم الخميسي (اليمن)
أ.د. أحمد صالح قطران (اليمن)
أ.د. علي يوسف عاتي (اليمن)
أ.د. محمد حاتم المخلافي (اليمن)
أ.د. حسن ثابت فرحان (اليمن)
أ.د. داود عبد الملك الحدابي (ماليزيا)
أ.د. ياسر طرشاني (ماليزيا)
أ.د. عبد الله الزبير عبد الرحمن صالح (السودان)
أ.د. عامر فائل بلحاف (عمان)
أ.د. عبد الحميد محمد زرؤم (ماليزيا)
أ.م.د. عبد الرشيد أولاتنجي عبد السلام (ماليزيا)

هيئة التحرير

رئيس التحرير

أ.د. يحيى مقبل الصباحي

مدير التحرير

أ.د. عبد الحق غانم القريضي

أعضاء هيئة التحرير

- أ.د. عبد الله أحمد بن عثمان
أ.م.د. محمد سرحان المحمودي
أ.م.د. أسماء غالب القرشي
أ.م.د. أحمد صالح بافضل

سكرتير التحرير

م. شوقي صالح بامفروش

توجه جميع المراسلات إلى مدير التحرير على العنوان الآتي:

مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية - الجمهورية اليمنية

00967 771161908 جوال: algarizi2012@gmail.com

الموقع الإلكتروني: <http://journals.uqs-ye.info/index.php/uqs>

البريد الإلكتروني: journals@uqs-ye.info

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فهذا عدد من مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، خاص بالمؤتمر القرآني الدولي الثالث الذي كان بعنوان "القرآن الكريم ومشكلات الأمة المعاصرة"، وهو عدد حافل بأبحاث علمية ضافية في المشكلات الفكرية والعملية، وتناولت جانباً من التجارب الناجحة ذات المرجعية القرآنية التي تستدعي الاهتمام والنظر في إمكانات التعميم والتخطيط لذلك، في ضوء البصائر القرآنية التي دلنا الله على الاستبصار بها في مختلف مناحي الحياة (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء) النحل: 89.

وقد حصلت المبالغة المركبة النادرة في قوله (تبياناً) لإفادة العمق والكمال في البيان الشامل الذي يحتاجه الناس في مختلف مناحي حياتهم: معاشهم ومعادهم وتحركاتهم وتعاملاتهم، في الأخلاق والاجتماع والتزكية وعموم مقاصد العمران (لكل شيء)، حقيقة وعرفاً.

وقد تجلّى من هذا الهدي القرآني شيء طيب نافع في عموم أبحاث هذا المؤتمر مما انقدحت به قرائح جمع من العلماء والباحثين مستهدفين الارتقاء بالعقول والأفكار والعلاقات والأخلاق في ضوء الهدايات القرآنية المتجلية لأولي الأبواب.

وسأترك أخى القارئ اللبيب لتجول ببصره وخطرك في تلك الهدايات السامية مصطحباً التوفيق والسداد.

مدير التحرير

أ.د. عبدالحق غانم القريضي

المجلة علمية محكمة تصدر كل ستة أشهر، وتقبل نشر البحوث باللغتين العربية والإنجليزية، وفقاً للشروط والضوابط الآتية:

أولاً: الضوابط العامة:

1. أن يكون البحث أصيلاً، وتتوافر فيه شروط البحث العلمي المعتمد على الأصول العلمية والمنهجية المتعارف عليها في كتابة البحوث الأكاديمية، وذلك في مجالات (علوم القرآن والعلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية والعلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية).
2. أن يكون البحث مكتوباً بلغة سليمة، ومراعياً لقواعد الضبط والإملاء والتنسيق ودقة الرسوم والأشكال (إن وجدت)، ومطبوعاً على الحاسوب.
3. ألا يكون البحث قد سبق نشره أو قُدم للنشر في أي وسيلة نشر أخرى، (يقدم الباحث إقراراً بذلك، أو يعتبر اطلاعه على هذه الضوابط إقراراً بذلك).
4. أن يتوفر في البحث دقة التوثيق، وحسن استخدام المصادر والمراجع.

ثانياً: الضوابط الفنية:

1. تكتب الأبحاث باللغة العربية بخط (Traditional Arabic)، وبنيت (16)، وتكتب الأبحاث باللغة الإنجليزية بخط (Times New Roman) وبنيت (14).
2. ألا تزيد صفحات البحث عن (25) صفحة متضمنة المقدمة والمراجع والملخصات.
3. الهوامش من جميع الجوانب 2.5 سم. والصفحة بحجم: (17x25 سم).
4. تكون المسافة بين الأسطر للأبحاث باللغة العربية والإنجليزية (1.15).
5. يكون حجم الخط للجدول والأشكال للأبحاث باللغة العربية (14)، ويكون حجم الخط للجدول والأشكال للأبحاث باللغة الإنجليزية (11).

6. أن تكون الجداول والأشكال مدرجة في أماكنها الصحيحة، وأن تشمل العناوين والبيانات الإيضاحية الضرورية، ويُراعى ألا تتجاوز أبعاد الأشكال والجداول حجم صفحة المجلة.
7. تكتب الآيات القرآنية بالرسم العثماني، وبحجم الخط (13)، وتوضع بين قوسين مزهرين.
8. . توثق الآيات في صلب البحث، بالسورة ورقم الآية.
9. تكتب الأحاديث النبوية بنفس خط متن البحث وحجمه، وتوضع بين قوسين كهذه « مسودين مقاس 12. وتشكّل فقط الكلمات التي تحتاج لتشكيل.
10. النقول العلمية تكتب بين علامتي تنصيص " "، وبحسب أنظمة الاقتباس وأخلاقيات البحث.

ثالثاً: الضوابط العلمية والتوثيق:

1. أن يكتب الباحث ملخصاً للبحث في حدود (150—200 كلمة) يوضع في الصفحة بعد صفحة عنوان البحث كفقرة واحدة، بحيث يشتمل على: عنوان البحث، وقضية (مشكلة) البحث، وهدف البحث الرئيس، ومنهج البحث، وأهم النتائج التي توصل إليها البحث. ثم كلمات مفتاحية للبحث من (3 - 5 كلمات)، تلي الملخص مباشرة بنفس الصفحة.
2. أن يترجم الباحث عنوان البحث وملخصه والكلمات المفتاحية باللغة الإنجليزية، إن كان البحث باللغة العربية، أو يترجم ذلك باللغة العربية إن كان البحث باللغة الإنجليزية، (مع ملاحظة أن تكون الترجمة معتمدة، وليست من البرامج الإلكترونية، وتكون الترجمة للنسخة النهائية المقبولة من المخلص).
3. أن يترجم الباحث اسمه والمعلومات التي يريد نشرها في صفحة عنوان البحث.

4. أن يحتوي البحث في الأبحاث النظرية على الآتي:

❖ الملخص - المذكور سابقا - عربي وإنجليزي.

❖ مقدمة تتضمن:

- تقديم عن طبيعة البحث، يتدرج من العموم إلى الخصوص.
- أهمية البحث.
- مشكلة البحث، وتساؤلاته.
- أهداف البحث العلمية المرتبطة بتساؤلات البحث ومشكلته.
- منهج البحث.
- الدراسات السابقة للبحث، وبيان اختلاف البحث عنها، وإضافته العلمية والعملية.
- مصطلحات البحث (عند الحاجة لذلك).
- هيكل البحث. (الخطة).

❖ متن البحث ومادته العلمية ويظهر فيها جهد الباحث بعيداً عن النقول الجامدة

دون ربط وتحليل.

❖ الخاتمة وفيها:

- أهم النتائج التي توصل إليها البحث مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمشكلة البحث وتساؤلاته.
- أهم التوصيات.
- المقترحات العلمية.

❖ فهرس المراجع والمصادر على طريقة (APA6)

5. أن يحتوي البحث في الأبحاث التطبيقية على الآتي:

❖ الملخص (عربي وإنجليزي)

❖ مقدمة تتضمن:

- مشكلة البحث، وتسألاته.
- أهمية البحث.
- أهداف البحث العلمية المرتبطة بتسألات البحث ومشكلته.
- فرضيات البحث (إن وجدت).
- حدود البحث.
- الدراسات السابقة للبحث، وبيان اختلاف البحث عنها وإضافته العلمية والعملية.

❖ الإطار النظري.

❖ منهج البحث وإجراءاته.

❖ نتائج البحث ومناقشتها.

❖ الخاتمة وفيها:

- أهم النتائج التي توصل إليها البحث مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمشكلة البحث وتسألاته.
- أهم التوصيات.
- المقترحات العلمية.

6. فهرس المراجع والمصادر على طريقة (APA6)
7. يكون الاستشهاد في متن البحث (بالنسبة للأبحاث التربوية وكذا الاقتصاد والسياسية والاجتماعية) بذكر الاسم الأخير للمؤلف وسنة النشر بين قوسين مثل: (المنصوري، 2014)، وفي حالة وجود مؤلفين يذكر الاسم الأخير للمؤلفين، ثم سنة النشر مثل: (الصباحي والقريضي، 2020)، وعند وجود ثلاثة إلى خمسة مؤلفين يذكر الاسم الأخير لجميع المؤلفين عند أول استشهاد مثل: (الشافعي، والكثيري، وسر الختم، 1418هـ)، وعند الاستشهاد بنفس المرجع مرة أخرى في البحث يكتب اسم المؤلف الأول متبوعاً بكلمة وآخرون، مثل: (الشافعي وآخرون، 1418هـ)، وعند وجود أكثر من خمسة مؤلفين يذكر الاسم الأخير للمؤلف الأول متبوعاً بكلمة وآخرون ثم سنة النشر، مثل: (القرشي وآخرون، 2014)، وفي حالة الاقتباس النصي يتم إضافة رقم الصفحة بعد اسم المؤلف وسنة النشر، مثل: (المحمودي، 2014، 33)، (الرازي، 1998، 201/4).
8. أبحاث العلوم الشرعية والعربية تمش أسفل كل صفحة بالطريقة الآتية: اسم العائلة أو الشهرة، اسم المؤلف، اسم الكتاب، الجزء والصفحة. مثل: الزحيلي، وهبة مصطفى، الفقه الإسلامي وأدلته، 1/ 120.
9. مراجع كتب الحديث النبوي المبوبة تكتب بنفس الطريقة، مع إضافة (الكتاب، والباب، ورقم الحديث) للمراجع المبوبة، مثل: (البخاري، 1990، 1/ 20 رقم: 16، كتاب: الإيمان، باب: حلاوة الإيمان).
10. تثبت للمرجع طبعة واحدة فقط، ولا يصح أن تثبت أكثر من طبعة لنفس المرجع، إلا إذا كان هناك مقتضى ضروري لذلك، ويبين ما هو.

11. تثبت المصادر والمراجع بمعلوماتها الكاملة في نهاية البحث، بنظام توثيق الجمعية

الأمريكية لعلم النفس (APA6) وذلك على النحو الآتي:

إذا كان المرجع كتاباً: فيكتب اسم المؤلف (المؤلفين) بدءاً باسم العائلة، ثم تكتب سنة النشر بين قوسين، يلي ذلك عنوان الكتاب (بخط مائل)، ورقم الطبعة إن وجدت، يلي ذلك بلد النشر، واسم دار النشر.

وإذا كان المرجع بحثاً في دورية: فيذكر اسم الباحث (الباحثين) بدءاً باسم العائلة ثم بقية الاسم، ثم تاريخ النشر بين قوسين، ثم عنوان المقالة، ثم يذكر اسم المجلة (بخط مائل)، ثم رقم المجلد، ثم رقم العدد ورقم الصفحات: (.. - ..).

وإذا كان المرجع رسالة ماجستير أو دكتوراه: فيكتب اسم صاحب الرسالة بدءاً باسم العائلة، ثم يكتب تاريخ الرسالة (بين قوسين)، يتبع بعد ذلك عنوان الرسالة (بخط مائل)، ثم يذكر رسالة ماجستير أو دكتوراه بخط مائل، القسم، الكلية، اسم الجامعة، البلد.

وترتب المراجع والمصادر ترتيباً أبجدياً، وتأتي المراجع العربية أولاً (كتب ورسائل ودوريات)، ثم المراجع غير العربية بعدها (كتب ورسائل ودوريات).

12. تحقيقات المخطوطات تلتزم نفس الضوابط والإجراءات، والتهميش يكون في متن التحقيق (أسفل الصفحات).

رابعاً: إجراءات النشر:

1- تُرسل البحوث والدراسات وجميع المراسلات المتعلقة بالمجلة إلى مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، الجمهورية اليمنية، باسم مدير التحرير أو سكرتير التحرير، على البريد المدون أدناه.

- 2- تُرسل ثلاث نسخ من البحث إلى عنوان المجلة، بحيث يظهر في غلاف البحث اسم الباحث ولقبه العلمي، ومكان عمله، ومجاله، والإيميل.. بصيغة word و pdf.
- 3- يرفق بالبحث موجز للسيرة الذاتية للباحث، متضمناً عنوان الباحث بالتفصيل، بما يسهل التواصل معه.
- 4- تجري هيئة التحرير التقييم الأولي للبحث وبمساعدة متخصصين.
- 5- في حالة قبول البحث مبدئياً، يخطر الباحث بذلك، ويسدد رسوم التحكيم المقررة، ويتم عرض البحث على مُحَكِّمين من ذوي الاختصاص في مجال البحث، ويتم اختيارهم بسرية تامة، ولا يُعرض عليهم اسم الباحث أو بياناته، وذلك لإبداء آرائهم حول مدى أصالة البحث، وقيمتها العلمية، ومدى التزام الباحث بالمنهجية العلمية المتعارف عليها، ويطلب من المحكم تحديد مدى صلاحية البحث للنشر في المجلة من عدمها. (من خلال جدول تحكيم خاص بذلك).
- 6- يُخطَر الباحث بقرار صلاحية بحثه للنشر من عدمها خلال فترة شهر على الأكثر، من تاريخ استلام البحث. وفي حالة رفض البحث يخطر الباحث بذلك مع بيان أسباب الرفض.
- 7- في حالة ورود ملاحظات من المحكِّمين، تُرسل إلى الباحث لإجراء التعديلات اللازمة بموجبها، على أن يعاد البحث معدلاً للمجلة خلال مدة شهر.
- 8- يمنح أصحاب البحوث المنشورة نسخة من عدد المجلة المنشورة فيه، ومستلزمات بحوثهم.

خامساً: أخلاقيات النشر:

1. الالتزام بالمعايير الأكاديمية والمهنية في جميع مراحل البحث.

2. الالتزام بمعايير وأخلاقيات النشر العلمي وقواعد الاقتباس، وإسناد المعلومات إلى مصادرها الأصلية.

3. الإخلال بالمعايير العلمية وأخلاق النشر قد يتسبب بعدم نشر البحث أو سحبه من بيانات المجلة.

سادساً: رسوم النشر في المجلة:

تتقاضى المجلة مقابل تحكيم ونشر البحوث المحكمة الرسوم الآتية:

- من داخل الجمهورية اليمنية: (30,000) ثلاثين ألف ريال يمني.
- من خارج الجمهورية اليمنية: (50,000) خمسين ألف ريال يمني أو ما يعادلها.
- الصفحات الزائدة عن المقرر يتبع فيه نظام المجلات من حيث الرسوم، (ألف ريال يمني عن كل صفحة).
- البحوث المقدمة من أعضاء هيئة التدريس المتفرغين للعمل في جامعة القرآن تعامل بحسب لوائح الجامعة.
- الرسوم غير قابلة للإرجاع بعد البدء بإجراءات التحكيم.

سابعاً: ملاحظات مهمة:

- تحتفظ المجلة بحقوقها في إخراج البحث بما يتناسب وأسلوبها في النشر، (فنياً).
- الآراء الواردة في الأبحاث التي تنشرها المجلة تعبر عن أصحابها دون تحمل المجلة أية مسئولية عنها.
- ترحب المجلة بنشر ملخصات الرسائل الجامعية في التخصصات المشار إليها، على أن يكون الملخص من إعداد صاحب الرسالة نفسه. وبنفس الشروط والضوابط.

– يتم ترخيص البحوث بموجب ترخيص Creative Commons CC BY 4.0 المفتوح، مما يعني أنه يجوز لأي شخص تنزيل البحث وقراءته مجاًناً. وإعادة استخدام البحث واقتباسه شريطة أن يتم الإشارة إلى المصدر الأصلي. تتيح هذه الشروط الاستخدام الأقصى لعمل الباحث وعرضه.

جوال مدير التحرير: 00967 771161908

إيميل مدير التحرير: algarizi2012@gmail.com

بريد المجلة: journals@uqs-ye.info

رابط المجلة: <http://journals.uqs-ye.info/index.php/uqs>

إيداع (2013-364)

المحتويات

م	البحث	الباحث	رقم الصفحة
1.	أثر القرآن المجيد في إصلاح الحركة العقلية.	د. عادل إبراهيم الخروق	46-17
2.	أثر دراسة المصطلح القرآني في وعي الأمة.	د. أمين بن عمر بن عبد الله باطاهر	74-47
3.	أحكام علاقة المسلم بالآخر في القرآن الكريم وضوابطها.	د. دليلة بوزغار	110-75
4.	القرآن والعلم: استكشاف العلاقة العميقة بينهما من خلال قوانين الرياضيات والفيزياء والذكاء الاصطناعي.	د. توفيق عبد الله الكامل	155-111
5.	العلم في القرآن الكريم محفزات ومحاذير.	د. سعد سعيد كرامة الغتيني	201-156
6.	اللحن اللغوي في قراءة القرآن الكريم مظاهره وأسبابه وعلاجه (دراسة وصفية).	د. حسن أحمد بن سميطة د. عمر مبارك باسواد	225-202
7.	خطر القراءة الجزئية الناقصة على فهم النصوص القرآنية دراسة عقديّة.	د. عبدالله خميس عمير باجهام	284-226
8.	سؤال الهوية في القرآن الكريم.	د. عثمان مصباح	315-285

أثر القرآن المجيد في إصلاح
الحركة العقلية
د. عادل إبراهيم المحروق
أستاذ مشارك في الفقه وأصوله
جامعة غريان - ليبيا

anbmgs1444@gmail.com

© نُشر هذا البحث وفقاً لشروط الرخصة Attribution international (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أجريت عليه.

للاقتباس: المحروق، عادل إبراهيم، أثر القرآن المجيد في إصلاح الحركة العقلية، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، عدد خاص للمؤتمر القرآني الدولي الثالث المجلد (2)، سبتمبر 2025: 46-17.

DOI: <https://doi.org/10.61821/3rdconfv2.0203>

الملخص:

إن تبجيل القرآن المجيد للعقل يثبت أن العلاقة بين النصوص القرآنية الإلهية والمعارف العقلية البشرية هي توافق وتلازم، وهداية وبيان، ولا يستغني أحدهما عن الآخر، فكلاهما وسيلة من وسائل الكشف عن الحقائق؛ لذا فإن هذا البحث يتغيا الكشف عن حركة العقل وإصلاحها من خلال الآيات القرآنية الداعية إلى إعمال العقل والفهم؛ ذلك أن الله تعالى لم يمدح كل العقول وإنما أثني على التي تلبست بالفهم، إذ هو من العوامل المهمة التي أعانت الحركة العقلية على سديد النظر وسليم الاستنباط؛ حتى تصل إلى أرفع مستويات المعرفة والعلم، والرشاد والهداية التي ينبني عليها الثواب والعقاب؛ بل تبلغ بصاحبها أعلى درجات النفع وهو التوحيد. انتهى البحث إلى جملة من النتائج أهمها: احتفاء القرآن المجيد ببناء المنظومة الفكرية وجعل الفكر وإنعاشه أحد مقاصد القرآن العزيز التي يجب رعايتها وإقامتها والعناية بها ثم البناء العقلي في القرآن المجيد لم يكن محصوراً في جانب معين من جوانب الحياة، وإنما امتد إلى حقول المعارف والعلوم الدينية والدنيوية على حد سواء. أوجب القرآن حسن توظيف العقل، وذم من عطّله ولم يستخدمه، أو لم يُحسن استخدامه؛ فاستخدمه في غير موضعه، أو قصره في حدود ضيقة، يُعدّ حجراً عليه، وشلاً لحركته. حارب القرآن المجيد مشبّطات العقل، وقتلها في مهدها قبل ظهورها واستفحائها، وتحصين عقول الأفراد من وسائلها المؤدية إليها.

الكلمات المفتاحية: القرآن، الإصلاح، العقل.

The Impact of the Glorious Qur'an on Reforming the Intellectual Activity

Dr. Adil Ibrahim Al-Mahrooq

Associate Professor of Islamic Jurisprudence and its Principles

University of Gharyan, Libya

©This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.

Citation: Al-Mahrooq, Adil Ibrahim, The Impact of the Glorious Qur'an on Reforming the Intellectual Activity, Journal of the University of Holy Quran

and Islamic Sciences, Special Issue of the third International Qur'anic Conference, Volume (2), September 2025:17-46.

DOI: <https://doi.org/10.61821/3rdconfv2.0203>.

Abstract:

Qur'an's veneration of the intellect affirms that the relationship between the Divine Qur'anic texts and the knowledge of the human intellect is one of harmony, correlation, guidance, and clarification – neither can dispense with the other. Both are means for revealing realities. Therefore, this research aims to reveal the activity of the intellect and its reform through Qur'anic verses that call for the use of reason and understanding .

Allah Almighty did not praise all intellects but rather commended those possessing comprehension, as this is a vital factor that has aided intellectual activity in sound judgment and proper inference; such that it reaches the highest levels of insight, knowledge, guidance, and rationality upon which reward or punishment depends. In fact, it leads its possessor to the highest levels of benefit, and that is Tawheed (monotheism).

The research concluded with a number of findings, the most significant of which are: The Glorious Qur'an recognizes the construction of intellectual frameworks and makes thinking and its revitalization one of its objectives that must be maintained, established, and cared for, Intellectual development in the Glorious Qur'an is not limited to a particular aspect of life but extends to both religious and worldly sciences and fields of knowledge alike, Qur'an obligates proper use of the intellect and criticizes those who neglect it, misuse it – using it where it should not be used, or restrict it to narrow scopes, as this is considered a barrier and paralysis to its activity. Qur'an combats factors that suppress the intellect, eliminating them at their roots before they manifest and exacerbate. It also fortifies individuals' minds against the causes that lead to such suppression.

Keywords: Qur'an, Reform, Intellect.

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن، وأمر بالتفكير في آياته، والعمل بأحكامه وتوجيهاته، والصلاة والسلام على خير من تفكر وتدبر، وعقل القرآن وتذكر، محمد عليه أزكى الصلاة والسلام، وبعد.

فإن من يتأمل النصوص القرآنية؛ يجد مظاهر احتفائها بالعقل وإعماله ظاهرة باهرة، فقد أشادت بمكانته وأعلت من قيمته، فالنصوص التي تحدثت عن العمليات العقلية، وأمرت بالنظر والتفكير في الوجود، والتدبر والتأمل في أحكام التشريع وحكمه، قد بلغت من الكثرة حدًا أعطى الإسلام مئةً انفراداً عن الشرائع كافة؛ مما يدلنا على أن الإسلام دين الفكر والعلم والعقل، دين فسح المجال وأطلق العنان له في شتى ضروب الثقافة والمعرفة، وفق ضوابط علمية وقواعد منهجية، تعصمه من الزلل، وتقيه من الوقوع في الخلل.

عُني القرآن الكريم ببناء الإنسان علمياً ومعرفياً؛ فحَصَّن عقله وحفظه، وأصلح فكره وبعثه، ووجه الطاقات العقلية والجسمية والروحية؛ لأجل السمو بالفرد والنهوض بالمجتمع وإصلاح مفاسده، سيما في هذا العصر الذي اضطربت فيه النظم الوضعية المتنوعة، التي عجزت عن إصلاح الشعوب والمجتمعات، وفشلت في تهذيب العقول وتطوير الأفكار، فأصبح العالم الإسلامي يعيش أزمة فكر، زاده التقليد والتبعية، وفقدان الهوية.

وعليه فلا مناص للمصلحين المسلمين من الاعتماد على القرآن المجيد، والرجوع إليه، والاسترشاد بهديه لحفظ العقل وإحياء حركته وإبراز أثره في البناء المعرفي، سواء من ناحية الوجود ابتداءً بتحصيل منفعته، أو من ناحية درء المفاسد عنه أو المضار اللاحقة به؛ حتى تثمر منفعته فكراً مستقيماً، وعلومًا نافعة، ومعارف صالحة.

يروم البحث تحقيق جملة من الأهداف أنهداها:

- بيان ماهية العقل وضرورة إصلاحه في التصوير القرآني.
- إبراز المكانة السامية والمنزلة العالية للعقل في الأوامر القرآنية.
- الإسفار عن الأثر المعرفي التجديدي للعقل من خلال الآيات الكريمة.

واستجابة لكل ما فرط بيانه وتحقيقاً لذلك حوى هذا البحث بين جوانحه بياناً لمكانة العقل وأثره في اكتشاف المعارف والعلوم، وكيفية أثر القرآن المجيد في بناء منظومته وإنعاش حركته، فضلاً عما انطوى عليه البحث من الإسفار عن مكوناته، وذلك وفق المعالم الآتية.

التمهيد: تحرير المصطلحات: "القرآن، الإصلاح، العقلية".

المبحث الأول- العناية بالعقل مقصد قرآني.

المبحث الثاني- العقل وأثره المعرفي في القرآن.

المبحث الثالث- أثر القرآن في بناء المنظومة الفكرية.

التمهيد:

تحرير المصطلحات: القرآن، الإصلاح، العقلية.

أولاً - القرآن: دلالاته اللغوية ومعناه التواضعي.

● دلالاته اللغوية.

إن هذا المصطلح أسال كثيراً من المداد؛ فذكره المفسرون، وتحدث عنه المفسرون، وأطال فيه أصحاب المعاجم، غير أن الناظر فيما سطره هؤلاء حوله يجد أنه منته إلى رأيين: أول: يراه اسم علم جامد غير مشتق من شيء؛ بل هو اسم خاص بكلام الله، قال الشافعي: "وقرأت على إسماعيل بن قسطنطين، وكان يقول: القرآن اسم وليس بمهموز، ولم يؤخذ من قرأت، ولو أخذ من قرأت كان كل ما قرئ قرآنًا، ولكنه اسم لقرآن، مثل: التوراة والإنجيل، تهمز قرأت ولا يهمز القرآن"⁽¹⁾ وهذا ما اختاره السيوطي وانتصر له⁽²⁾.

أما الرأي الآخر فيرى أصحابه أنه مشتق، وانفردوا إلى قولين: فمنهم من يراه غير مهموز ونونه أصلية، وخالفهم غيرهم ورأوا أنه مهموز وهمزته أصلية، ودار حول هذه التيارات سجال عريض وجدال طويل، ولكن وبالرجوع إلى الدلالة اللغوية والاستعمال الشرعي يرى الباحث أنه "مصدر لقرأت كالرجحان والغفران؛ سمي به الكتاب المقروء من باب تسمية المفعول بالمصدر"⁽³⁾.

● المعنى التواضعي.

ليس من اليسير وضع حد للقرآن وفق المنظور المنطقي أي: بالفصول والأجناس والخواص، وهذا ما دفع بعضهم⁽⁴⁾ إلى القول بأن حدّ القرآن الحقيقي هو استحضاره معهودًا

(1) الخطيب، أحمد بن علي، تاريخ بغداد، 401/2.

(2) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، 182/1.

(3) المصدر السابق، 182/1.

(4) القطان، مناع خليل، مباحث في علوم القرآن، ص 16.

في الذهن، أو مشاهدًا في الحس، أي: يشار إليه مكتوبًا في المصحف، أو مقروءًا باللسان، فتقول: هو ما بين هاتين الدفتين.

ومع هذا لم يترك الباحثون قديمًا وحديثًا وضع حد له يميزه عن غيره، ويقرب معناه، ويجلي حقيقته، وخلاصة ما ذكره أنه: كلام الله المنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - بواسطة جبريل، المنقول بالتواتر، والمتعبد بتلاوته، والمعجز بألفاظه ومعانيه.

ثانيًا - الإصلاح في اللغة والاصطلاح.

الإصلاح في اللغة: الصّاد واللام والحاء أصلٌ واحد يدلّ على خلاف الفساد⁽¹⁾، والاستِصلاح نقيض الاستفساد، وأصلح الشيء بعد فساده أقامه⁽²⁾.

أما في الاصطلاح فقد استخدم المفسّرون والفقهاء والعلماء عامة هذا المصطلح غير أنّ عباراتهم تباينت في حدّ ماهيته؛ وذلك بسبب اختلاف نظرهم له، ومن هذه التعريفات أنّه "استقامة الحال على ما يدعو إليه العقل والشرع"⁽³⁾.

ويقول أبو حيان هو: "اعتدال الحال واستواؤه على الحالة الحسنة"⁽⁴⁾.

ينجلي بما سلف أنّ المعنى المشترك بين كلّ التعريفات المذكورة وغيرها هو: التّغيير من الحالة السيئة إلى الحالة الحسنة وفق ضوابط الشرع، وبهذا "يتبيّن أنّ كلمة "إصلاح" تطلق على ما هو مادي، وعلى ما هو معنوي، فيقال: أصلحت العمامة، وأصلحت بين المتخاصمين"⁽⁵⁾.

(1) ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، 236/3، مادة "صلح".

(2) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، 516/2، مادة "صلح".

(3) البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر، 234/4.

(4) أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط، 191/1.

(5) وزارة الأوقاف الكويتية، الموسوعة الفقهية الكويتية، 62/5.

وقد أطلق الغربيون هذا المصطلح على ما يقابل الثورة، غير أنّ الثورة تعني استخدام العنف والقوة في التغيير، والإصلاح يكون باستخدام الرفق والتدرج في إحداث هذا التغيير، والنّهوض بالنّاس إلى المستوى الإصلاحي الأفضل.

من هنا يظهر لنا فساد الرأي القائل بأنّ الإصلاح ما هو إلا تعديل أو تطوير غير جذري في شكل الحكم أو العلاقات الاجتماعية، دون مساس بأسسها، فهو أشبه ما يكون بإقامة دعائم الخشب التي تحاول منع انهيار المباني المتداعية⁽¹⁾.

وعند استقراء هذه اللفظة ومشتقاتها في القرآن الكريم وجدتها في أكثر من مئة وسبعين موضعاً، موزعة على أربع وخمسين سورة⁽²⁾، وقد جاءت على عشرة أوجه⁽³⁾ متباينة وهي: الإيمان، وحسن المنزلة، والرفق، وتسوية الخلق، والإحسان، والطّاعة، وأداء الأمانة، وبرّ الوالدين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحجّ.

ثالثاً- العقل: حدّه اللغوي وطوقه الاصطلاحي.

العقل في اللغة: نقيض الجهل⁽⁴⁾، وقد انطوى جذره اللغوي على جملة من المعان، تؤوب أغلبها إلى المنع، فـ "العين والقاف واللام أصل واحد منقاس مطرد، يدلّ عظمه على حُبْسَةِ في الشيء، أو ما يقارب الحبسة، من ذلك العقل، وهو الحابس عن ذميم القول والفعل"⁽⁵⁾ وما سمي العقل عقلاً إلا لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك، أي: يحبسه ويمنعه؛ لذا كان من معانيه الحِجْر والنُّهْي⁽⁶⁾.

(1) الكيالي، عبد الوهاب وآخرون موسوعة السياسة، ص 200.

(2) عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص 504.

(3) الدامغاني، عبيد الله بم محمد، إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، ص 282.

(4) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، 159/1، مادة "عقل".

(5) ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، 69/4، مادة "عقل".

(6) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، 11/ 458، 459، مادة "عقل".

ومن هذه البابة تسميتهم الدية عقلاً؛ لأنها تمسك الدم وتمنعه، وأطلقوا على الصدقة عقلاً؛ لأنها تعقل عن صاحبها الطلب بها وتمنعه، وتعقل عنه المأثم وتحبسه⁽¹⁾.

أما العقل في اصطلاحات الباحثين على تنوع اتجاهاتهم واختلاف توجهاتهم، ناله الكثير من الضبط والتطويق إلى درجة الابتذال، حتى إن بعضهم أوصلها إلى ألف تعريف، مما سبب في مدهامة سوء الفهم لمفهومه، فاكتنفه الغموض رغم وضوحه، كما زاد من ضبابية حقيقته تلك التجاذبات الفكرية من لدن المعتزلة والأشاعرة، مروراً بالمفسرين والأصوليين، وانتهاء بالحدائين المعاصرين، إضافة للتصور الميتافيزيقي له عند الفلاسفة الذين جعلوه جوهرًا قائمًا بنفسه مستقلاً عن الإنسان! وهذا السجال والجدال دفع الجويني إلى القول: "إن قيل: فما العقل عندكم؟ قلنا ليس الكلام فيه بالهين"⁽²⁾.

وعسر التحديد عند بعضهم يؤوب إلى كثرة إطلاقات العقل وميادين استعماله، فالغزالي حينما تحدث عن ماهية العقل ذكر أن من الهوس حدّه بحد معين، ثم أرجع ذلك إلى أن اسم العقل مشترك يطلق على عدة معان: وذكر منها: أنه يطلق على بعض العلوم الضرورية.

ويطلق على الغريزة التي يتهيأ بها الإنسان لدرك العلوم النظرية.

ويطلق على العلوم المستفادة من التجربة.

ويطلق على من له وقار وهيبة وسكينة في جلوسه وكلامه.

ويطلق على من جمع العمل إلى العلم⁽³⁾.

إن الناظر في جلّ ما ذكر من تعريفات له يجد أنها تطوّقه بوظيفته، وأياً كان معناه فإنّ البحث في ماهية العقل وكنهه ليس وراءه طائل؛ ولم تثمر فيه المباحث منذ الفلسفة اليونانية إلى اليوم ما يعود على واقع المعرفة الإنسانية؛ واستشعار هذا البحث هو الذي حول

(1) ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، 71/4، مادة "عقل".

(2) الجويني، عبد الملك بن عبد الله، البرهان في أصول الفقه، 19/1.

(3) الغزالي، محمد بن محمد، المستصفى، ص20.

البحث في العقل من مجال الوجود إلى مجال المعرفة، فأصبح عند الإسلاميين بالخصوص مقصوراً في معناه على تلك المعلومات الضرورية الفطرية في الإنسان التي تكون أساساً لكل نظر واستدلال⁽¹⁾ وبهذا يتضح أن العقل آلة الإدراك والتمييز، ووسيلة الفهم والاجتهاد لمن هو أهله.

(1) النجار، عبد المجيد التونسي، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، ص72.

المبحث الأول

العناية بالعقل مقصد قرآني.

اطرد عند العلماء كافة أن الشريعة الإسلامية قائمة على جلب المصالح وتكثيرها، ودفع المفاسد وتقليلها، وهذا مستمد من موارد الشريعة نفسها، التي في طليعتها القرآن المجيد، فالله سبحانه "أبان في كتابه ما في بعض الأحكام من المفاسد حثاً على اجتناب المفاسد، وما في بعض الأحكام من المصالح حثاً على إتيان المصالح"⁽¹⁾ وقد درج العلماء على دراسة هذه المصالح والمفاسد ضمن علم المقاصد الشرعية.

لا جرم أن المقصد الأعلى للشريعة هو صلاح حال الإنسان بما يمكنه من إقامة الخلافة في الأرض والقيام بهذه المهمة على أكمل وجوها، وهو ما دلت عليه دلائل الشريعة كلها فـ "إذا نحن استقرينا موارد الشريعة الإسلامية الدالة على مقاصدها من التشريع استبان لنا - من كليات دلائلها، ومن جزئياتها المستقرة - أن المقصد العام من التشريع فيها هو حفظ نظام الأمة، واستدامة صلاحه بصلاح المهيمين عليه وهو نوع الإنسان، ويشمل صلاحه وصلاح عقله وصلاح عمله وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه"⁽²⁾ بحيث إذا حُفظ العقل تمكن الإنسان من إعمار الأرض وخلافتها.

لقد غني القرآن المجيد بالعقل عناية كبيرة وجعله مناط التكليف، وأمانة تحمل المسؤولية وخلافة الأرض قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ "الأحزاب، 72" فمهمة إعمار الأرض وحفظ الوجود الإنساني التي أمر الله بها لا يمكن تحقيقها إلا بالعقل، وهذا يتجلى في أمرين: الأول- أن هذا التكليف لا يتوجه إلا للعاقل الذي امتلك القدرة على الإدراك والتمييز، ومن فقد عقله سقط عنه هذا التكليف.

(1) ابن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز، قواعد الأحكام في مصالح الأنعام، 11/1.

(2) ابن عاشور، محمد الطاهر، مقاصد الشريعة، 194/3.

الآخر - أن المكلف بها لا يمكن أن يأتي بهذه الوظيفة على أحسن تقويم إلا إذا اكتمل عقله، وكلما كسل عقله، ضعف تفكيره الذي هو حركة العقل؛ فيحجم عن كشف الحقائق من حوله، ونظرًا لهذه الأهمية جعله القرآن مقصدًا ضروريًا وأمر بحفظه.

لقد اتفقت كلمة المفسرين وعلماء المقاصد على أن حفظ العقل ضرورة دينية، وواجب شرعي، ويراد بحفظ العقل جملة من التشريعات الآمرة بإعمال العقل وتنميته، وتيسير المسالك التي تزيد من قوته وفاعليته، وإحسان توظيفه، كما أن من ضمن تلك التشريعات الحافظة للعقل: النواهي القرآنية عن السلوكات والأعمال التي من شأنها تعطيل العقل وشلّ حركته ووأد نشاطه وانتعاشه، ولما كان للعقل بعدان اثنان: مادي ومعنوي، فإن حفظه لا يكون إلا بحفظهما معًا، وبيان ذلك فيما يتلو ذكره.

أولاً - حفظ العقل معنويًا.

أثرت البدء بهذا الجانب لأهميته من جهة، ولغفلة الكتاب عنه من جهة أخرى، فالناظر فيما دوّنه علماء المقاصد - سيما المتقدمون - لا يجد إلا إشارات مقتضبة عنه؛ لذا نحاول في هذه المساحة البحثية أن نسطر أبرز عواصم العقل وفق المنظور القرآني.

● **حفظ العقل بإعماله** في ما يجلب المصالح ويدرك المفاسد العامة والخاصة، فمن وظّفه في غير هذا كان كمن لا عقل له؛ ولهذا نجد القرآن المجيد ينفي العقل ويندد بمن أساء توظيفه في الأمور النافعة، ومن ذلك التعريض بالمشرّكين الذين اتخذوا من التقليد منهجًا يسيرون عليه، فعاب الله تعالى ذلك عليهم في قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ عِبَادَةً أُولُو كَانَ عَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ 170 وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ "البقرة، 170".

● **حفظ العقل بإنعاش الفكر**، إذ حقيقته إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول⁽¹⁾ وتصوّره ذهنيًا بالتأمّل والنظر، فإنعاش الفكر الذي هو حركة العقل يفضي إلى

(1) إبراهيم، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، 698/2، مادة "فكر".

مزيد بحث وكشف عن الحقائق من حول الإنسان، فلا شك أن وظيفة العقل التفكير، كما أن وظيفة العين أن تبصر، وتوهم أن الإنسان يعيش بعقل معطل التفكير، كتوهم أن الإنسان يعيش بعين منغمضة، ويد مشلولة، وقدم مقيدة⁽¹⁾؛ لذا أكدت النصوص القرآنية على ضرورة إعمال العقل في مجاله، وعدم تعطيله، فالآيات التي أشادت بأهمية العقل والفكر جاءت مرتبطة دائماً بالإشارة إلى حسن توظيفه، وذم من عطّله ولم يستخدمه، أو لم يُحسن استخدامه؛ فاستخدمه في غير موضعه، أو قصره في حدود ضيقة، يُعدّ حجرًا عليه، وشلاً لحركته، ولكي يتحقق ذلك وجب حفظ العقل وتحرير الفكر مما يعطل وظيفته، ويهيض نشاطه، وذلك بصيانتها من جملة المعوقات، التي اخترلها عبد المجيد النجار في سببين⁽²⁾: أحدهما داخلي وآخر خارجي، ومثل للأول بالعادات والتقاليد التي الفاسدة التي يسلطها المجتمع على أفرادها، كالعادات التي ورثها الكفار من آبائهم المشار إليها في قوله سبحانه: ﴿قَالَ مُتَرَفُّوهُاءِ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ 23 * قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ "الزخرف، 23" لقد حجرت التقاليد الدينية حرية التفكير واستقلال العقل على البشر حتى جاء الإسلام فأبطل بكتابه هذا الحجر، وأعتقهم من هذا الرق⁽³⁾ فيجب على الإنسان أن يحرر فكره من موروث الآباء الباطل، وينزّه عقله عن عاداتهم الفاسدة، كما يجب عليه التحرر من كل سطوة خارجية تعيق الفكر عن أن يتجه الاتجاه الصحيح، كسطوة السلطان السياسي، أو الكهنوت الديني، أو تأثيرات الشعوذة والسحر ونحوها، كي تكون حركته العقلية خاضعة لقواعد النظر السليم.

وأما الأسباب الداخلية فماكثة في اتباع الهوى وتسلبه على فكر الإنسان وعقله فيجعله يبحث عن الحقائق وفق ما يمليه هواه، فالله تعالى ندد على من حكّم هواه على عقله

(1) الغزالي، محمد السقا، حقوق الإنسان، ص 55.

(2) النجار، عبد المجيد التونسي، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ص 131 وما بعدها.

(3) رضا محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم، 203/11.

في قوله: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءٍ بِهِمْ يَبَغِّيرُ عِلْمٌ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ "الأنعام، 119" فهذا النص القرآني يثبت أن اتباع الهوى يفضي إلى مصادمة العلم، فكل هوى ماديا كان أو عاطفيا هو ضرب من ضروب تكبيل العقل وتوجيه حركته إلى البحث عن الحقيقة في غير مظاهها.

ومن صور الملوثات العقلية والفكرية **الغلو والتطرف**: الذي يعد من أكثر صور الفساد العقلي والانحراف الفكري، ومن أكبر معاول هدم المجتمعات، وقد ارتكب من خلاله أبشع جرائم العصر، وأكثرها دموية وقتكا بالمسلمين؛ لذا دعت نصوص القرآن إلى الاعتدال والوسطية، ونبذ الغلو وتجاوز الحد المألوف والإفراط فيه، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ "المائدة، 77" هذا وإن كان وارداً في أهل الكتاب غير أنه في كل من تطرف واتبع هواه؛ إذ العبرة بعموم اللفظ، وهو مؤيد بالسنة الشريفة، فقد نقر منه النبي ﷺ وحذر أمته من مغبة الوقوع فيه، والتلبس به، فقال ﷺ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»⁽¹⁾ وهم المتشددون في أمورهم الدينية والدنيوية قولاً وفعلاً وفكراً، وقال ﷺ: «يَا كُفَّيْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ قَبْلَكُمْ الْغُلُوَّ فِي الدِّينِ»⁽²⁾ فالمستقرئ للسوابق التاريخية يجد أن كل خلل عقلي وانحراف فكري سببه الغلو الذي ما زال يمزق الأمة، ويقلق راحة أفرادها ومجتمعها.

ثانياً- حفظ العقل مادياً.

قام القرآن المجيد على محاربة مشبطات العقل، وقتلها في مهدها قبل ظهورها واستفحالتها، وتحصين عقول الأفراد من وسائلها المؤدية إليها، فنقر من الإقدام عليها، والاقتراب منها؛ فحذرت الآيات من كل الملوثات الفكرية التي من أعظمها: الخمر، حيث إنه يعد من أكبر المفسدات المادية للعقل، وأكثرها خطراً على الفكر؛ لذا نال موضوع الخمر في القرآن والسنة مكانة لم يصلها طعام ولا شراب من نسخ وتدرج في التشريع، يقول ﷺ في

(1) مسلم، مسلم بن الحجاج، رقم 2670، كتاب العلم، باب هلك المتطعون.

(2) النسائي، أحمد بن شعيب، رقم 3057، كتاب مناسك الحج، باب النقاظ الحصى.

حكمه ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ "المائدة، 90" وتنفيهاً للناس من شربها لعن ﷺ متعاطيها، وكل من له صلة بها، وعده خارجاً عن الإيمان، يقول أنس رضي الله عنه: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْحَمْرِ عَشْرَةً: عَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَشَارِبَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ، وَسَاقِيَهَا، وَبَائِعَهَا، وَآكِلَ ثَمَرِهَا، وَالْمِشْتَرِيَ لَهَا، وَالْمِشْتَرَاةَ لَهَا» (1) لأنها أكبر عامل لاغتيال العقل الإنساني، فيسلبه الحكمة والرشاد، ويجرمه القدرة على التدبر والتفكير، ويشل ويعطل طاقاته الفكرية المتجددة وغير المحدودة.

(1) الترمذي، محمد بن عيسى، رقم 1295، أبواب البيوع، باب النهي عن أن يتخذ الخمر خلاً.

المبحث الثاني

العقل وأثره المعرفي في القرآن.

جعل القرآن العزيز العقل أداة المعرفة التفكيرية والتذكرية، كما أنه وسيلة الكشف عن الحقائق الواقعات، وتقدير المتوقعات، وإدراك النسب بين الأشياء؛ بل التأمل في آيات الله الكونية وتدبر آياته القرآنية، شاهد ذلك ومصادقه أن مادة "ع ق ل" في القرآن الكريم جاءت تسعاً وأربعين مرة؛ كلها بصيغة الفعل المضارع، ما خلا واحدة منها، وجميعها دائرة بين الثناء على من أعمله ونأى به عن التقليد والجمود والتبعية المطلقة، والتثريب على من أهمله وعطله، وهذا يؤكد أن استعمال القرآن للعقل لم يقف عند جدار الدلالة اللغوية له وهي المنع والإمسك، أو ينحصر في حركته العاطفية كالشعور والوجدان، وإنما استعمل القرآن العقل في مجال الإدراك والكشف المعياري المبني على النظر والتأمل والاستدلال؛ إذ هو وسيلة المعرفة، وهو ما أشار إليه بصيغة "أفلا تعقلون" المذكورة في ثلاثة عشر موضعاً، كلها تحمل إنكاراً وتنديداً بمن عطل عقله، وتحريضاً على تفعيله الكشفي.

إن ما يميّز العقل في القرآن المجيد أنه برهاني إدراكي، كما أنه قيمي معياري، أي لا يدرك الأشياء ويكتشفها مجردة، وإنما يجعلها وسيلة الاستقامة والهداية القائمة على جلب المنافع والمصالح، ودرأ المفاسد والقبائح، ويميّز - باعتباره قيمياً - بين الأضداد النافعة والضارة: كالخير والشر، والظلمة والنور، والحق والباطل، فالجنوح للباطل من بواعثه عدم إعمال العقل في الكشف عن مصالح الإنسان، يقول الله مصوراً هذا المعنى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ 10 فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ "الملك، 10، 11" فالمرج بين المعياري والإدراكي للعقل لا يتجلى إلا في المنظور القرآني.

تسير الحركة العقلية في سبيل الكشف عن المعرفة والحق والهداية في معطيات الحس، وإبداع هاته الحركة واستقامتها إنما هو في انطلاقها منها لإدراك ما وراءها من المعقول المجرد، ولولا تلك المعطيات الحسية التي وهبها الله للإنسان لتعثرت حركة العقل وتعطلت عن

مهامها، كحال الكفار الذين فقدوا تلك المعطيات وظيفياً⁽¹⁾ المشار إليهم بقوله: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ "البقرة، 171".

فالحواس، إذا، وسائل وأدوات ذاتية للوصول للمعرفة نصّ عليها القرآن في مواضع عدة، مندداً بمن عطّلها ولم ينتفع بها فهي كالعدم وإن وجدت حسّاً؛ ولهذا وصفهم بالصم والبكم والعمي في أكثر من موضع، كما سلب عنهم نفعها لما أعرضوا عن إعمالها فيما يعود عليهم بالخير والصلاح في قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ "الأحقاف، 26" وعدم إعمالهم لها وغفلتهم عنها حجت عنهم المعرفة الراشدة التي تعصمهم من الوقوع في الهاوية، وران على عقولهم فزادهم غباوة وغشاوة حتى أصبحوا كالأنعام أو أضل، قال تعالى واصفاً حال حواسهم الراكدة عن إدراك ما ينفعها: ﴿ذَرَأْنَا لَهُمْ كَثِيرًا مِنَ الْحِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَانُوا لَكُمْ أَنْعَمَ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ "الأعراف، 179" أي إنهم عطّلوا الجانب الواعي للسمع والبصر والعقل! فلم يقبلوا ما سمعوه ولا اعتبروا بما أبصروه، ولا تأملوا في عاقبة ما عقلوه، فاشتركوا مع الأنعام التي امتلكت الآذان والأعين دون توظيفها في نجاتهم ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ "الملك، 10".

وفي المقابل امتنّ الله سبحانه على الناس بما وهب لهم من الوسائل الذاتية للمعارف والعلوم وهي: السمع والبصر والفؤاد، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ "النحل، 78" وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَذْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ "المؤمنون، 78" وقال: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ "الملك، 23" وإنما خصّها بالذكر؛ لأنه يتعلق بها من

(1) النجار، عبد المجيد التونسي، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، ص75.

المنافع الدينية والدينية ما لا يتعلق بغيرها، ومقدمة منافعها أن يعملوا أسماعهم وأبصارهم في آيات الله وأفعاله، ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم، ومن لم يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها⁽¹⁾، وهذا الإنعام يقود العاقل المتدبر إلى شكر ربه على نعمة العلم والمعرفة التي من أعظمها التوحيد ونبد الشرك، ولعظيم أمر هاته الحواس في النجاة أو الهلاك لمن ضيعها أو أسأ توظيفها قال سبحانه: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ "الإسراء، 36".

ليس بخاف أن طرائق المعرفة وأساليب الكشف عن الحقائق، مأكثة في وسلتين: إلهية وهي المتمثلة في الوحي، وأخرى بشرية ويراد بها العقل، فالأولى معصومة؛ إذ إنها نابطة عن الله سبحانه، والأخرى نسبية لا عصمة لها؛ لأنها صادرة عن المخلوق، غير أن هاتين الوسيلتين يتحدان في الإبانة عن دروب العلم ومسالك المعرفة، وهذا يثبت عدم صوابية ما أثير حول تعارض النقل والعقل الذي أثير في ظل الاحتراب الفكري بين الطوائف، فالشريعة الإسلامية آخت وتواخي بين العقل والنقل "من هنا كانت الاستنارة بالإسلام تقرأ النقل بالعقل، وتحكم العقل بالنقل، وتوازن بين الهدايات الأربع⁽²⁾ كسبل للمعرفة، وتجمع بين مصدرَي المعرفة جميعاً، هذا هو مذهب التنوير الإسلامي في مصادر المعرفة وسبلها"⁽³⁾.

إن تبجيل القرآن المجيد للعقل يثبت أن العلاقة بين النصوص القرآنية الإلهية والمعارف العقلية البشرية هي توافق وتلازم، وهداية وبيان، ولا يستغني أحدهما عن الآخر، فكلاهما وسيلة من وسائل الكشف عن الحقائق، وقد جلى الغزالي هذا العلاقة بقوله: "اعلم أن العقل لن يهتدي إلا بالشرع، والشرع لم يتبين إلا بالعقل، فالعقل كالأس والشرع كالبناء؛ ولن يغني أس ما لم يكن بناء ولن يثبت بناء ما لم يكن أس، وأيضا فالعقل كالبصر والشرع كالشعاع،

(1) الزمخشري، محمد جار الله، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 198/3.

(2) الوحي، العقل، التجربة، الوجدان.

(3) عمارة، محمد مصطفى، الإسلام بين التنوير والتزوير، ص 185.

ولن يغني البصر ما لم يكن شعاع من خارج، ولن يغني الشعاع ما لم يكن بصر" (1) فلا تعارض بين السمعيات والمعقولات، وإن حصل فإنما هو في الظاهر أو لقصور في العقل وعجزه عن فهم السمع، فلا ينزوي العقل عن النص، ولا يحجب النص العقل، وهذا ما أثبتته ابن تيمية بعد استقراء وتأمل فقال: "ولكن ما علم بصريح العقل لا يتصور أن يعارضه الشرع البتة؛ بل المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط، وقد تأملت ذلك في عامة ما تنازع الناس فيه، فوجدت ما خالف النصوص الصحيحة الصريحة شبهات فاسدة يعلم بالعقل بطلانها، بل يعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموافق للشرع" (2).

كشفت النصوص القرآنية عن دروب المعرفة ﴿مَا قَرَرْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ "الأنعام، 38" وأماطت كل العثرات أمام الوقوف عليها، وحثت الإنسان على الأخذ بها بعد أن حملته مهمة استخلاف الأرض وعمارتها، ولا يمكن للإنسان أن يحيط بهذه النصوص ويعي ما فيها من توجيهات" إما لسبب يرجع إلى العقل نفسه في ظروفه وأحواله، وإما لسبب يعود لتلك النصوص في ظروف روايتها، وإما لمقصد إلهي يجعل النصوص مناهجاً مستديماً لنظر العقل وجاذباً أبدياً لاهتمامه" (3) ولا سبيل لفهمها إلا بالاجتهاد فيها، ومن المعلوم أن حقيقة الاجتهاد هي إعمال العقل وإحياء الفكر لاستنتاج النصوص وإدراك أحكامها بطريق الاستنباط ممن هو أهل له؛ إذ من المقرر شرعاً وعقلاً أن القرآن المجيد أمر بالاجتهاد وحض عليه، وأثنى على القائمين به، وجعله سبيل العلم والمعرفة في قوله: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ "النساء، 83".

إن الله تعالى لم يمدح كل العقول وإنما أثني على التي تلبست بالفهم، إذ هو من العوامل المهمة التي أعانت الحركة العقلية على سديد النظر وسليم الاستنباط حتى تصل إلى

(1) الغزالي، محمد بن محمد، معارج القدس في مدارج معرفة النفس، ص 57.

(2) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، درء تعارض العقل والنقل، 1/147.

(3) النجار، عبد المجيد التونسي، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، ص 92.

أرفع مستويات المعرفة والعلم، والرشاد والهداية التي يبنى عليها الثواب والعقاب؛ بل تبلغ بصاحبها أعلى درجات النفع وهو التوحيد، ففي قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ "الأعراف، 172" دليل على أن الله أشهدهم بناء على ما ركبه فيهم من العقل الذي يكون به الفهم ويجب به الثواب والعقاب، فالعقل الذي منه الفهم والإفهام يؤدي حتمًا إلى معرفة ربه وتوحيده⁽¹⁾، وإلى الوقوف على آياته وأحكامه، وهذا لا يكون إلا بنوعين من الفهم وهما: الأول- فهم النص ذاته من خلال إعمال العقل في ألفاظه تنقيحًا وتحقيقًا بناء على فهم مراد الله تعالى، وهذا يستلزم من العقل فهم أساليب العرب والإحاطة بها والإلمام بقواعد لسانها، ومعلوم أن دور العقل يزيد نشاطًا وتعظم حركته الفهمية وتحفه المصاعب والمتاعب إذا كانت النصوص ظنية، وتنكمش مساحته وتقل حركته ويسهل عمله إذا كانت قطعية.

وأما الآخر: فهو فهم تنزيل النص على الواقع والاستئناس به في التزود بالعلم والمعرفة، وهذه المهمة العقلية أشد خطرًا من الأولى؛ لأنها تستلزم عملاً عقليًا مضاعفًا، وذلك لارتباطه بالظروف والأحوال المتغيرة والمتجددة التي يستكنها ويظهر مؤثراتها، وهو ما أسماه الأصوليون بتحقيق المناط الخاص، الذي قال فيه الشاطبي: "لا بد منه بالنسبة إلى كل ناظر وحاكم ومفت؛ بل بالنسبة إلى كل مكلف في نفسه"⁽²⁾.

يرتبط هذا النوع من الفهم بالمقاصد الشرعية التي أمر الشارع بحفظها؛ بل إنه يزهر ويزداد نضجًا في رحابها؛ فهي ما تتغيها النصوص، وقد حصر الشاطبي الاجتهاد فمن جمع وصفين: "أحدهما: فهم مقاصد الشريعة على كمالها، والثاني: التمكن من الاستنباط بناء على فهمه فيها"⁽³⁾.

(1) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الروح، ص 165.

(2) الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، 16/5.

(3) الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، 41/5، 42.

ينجلي مما فرط بيانه أن إهمال أي نوع من الفهمين السالفين "فهم النص، وفهم تنزيل النص" أو التقليل من شأنه، والتفريط في إعماله يفضي إلى جنوح العقل عن سبل المعرفة فلا يهدي إليها إلا من جعل القرآن الكريم نُصب عينه ووجهة قلبه.

قمن بنا بيان أن الحركة العقلية على أهميتها الإدراكية لا تصل إلى الكشف المعرفي المطلق، أي إن هذه الحركة محدودة ومقيدة، فلا تملك القدرة على الوصول إلى الحقيقة المطلقة، فمهما ارتفعت مكانتها المعيارية والإدراكية الاجتهادية تبقى لها حدود لا تتجاوزها، ومستويات لا تتعداها؛ وما دام العقل قاصراً عن إدراك كل ممكن في عالم الحس والمشاهدة، فمن باب أولى أن يعجز عن الإحاطة بما هو فوق قدرته ومكنته، يقول ابن تيمية: "العقل شرط في معرفة العلوم وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم والعمل؛ لكنه ليس مستقلاً بذلك؛ بل هو غريزة في النفس وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التي في العين، فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار، وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها، وإن عزل بالكلية كانت الأقوال والأفعال مع عدمه أموراً حيوانية"⁽¹⁾.

وقد جلّ ابن خلدون حقيقة العقل وطوره الذي لا يتعداه بقوله: "العقل ميزان صحيح، فأحكامه يقينية لا كذب فيها، غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة، وحقيقة النبوة، وحقائق الصفات الإلهية، وكل ما وراء طوره، فإن ذلك في محال، ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب، فطمع أن يزن به الجبال"⁽²⁾ فالحركة العقلية نسبية، ليست كالنصوص القرآنية في القدرة على الوصول المطلق للحق والعلم والمعرفة.

(1) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، 3/338، 339.

(2) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، ص 460.

المبحث الثالث

أثر القرآن في بناء المنظومة الفكرية.

إن لمصطلح الفكر سيرة وأطواراً، وبواعث ممتدة إلى شتى ميادين العلوم والمعارف فـ " هو مفتاح الأنوار ومبدأ الاستبصار، وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم"⁽¹⁾ لذا فإن من التناول العلمي السليم له - سيما في الإطار القرآني - يستلزم استصفاء المادة المعجمية، ورصد الدلالة الاصطلاحية له، كي يوطأ أكناف الحديث عنه.

الفكر لغة: الفاء والكاف والراء تردُّد القلب في الشيء، يقال تفكَّر إذا ردَّد قلبه معتبراً، ورجلٌ فكَّير: كثير الفكر⁽²⁾، وهو تصرف القلب في طلب المعنى⁽³⁾، وهو مقلوب عن الفك لكن يستعمل الفكر في المعاني، وهو فرك الأمور وبحثها طلباً للوصول إلى حقيقتها⁽⁴⁾.

الفكر اصطلاحاً: لا يبعد معناه في الاصطلاح عنه في اللغة؛ إذ هو إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول⁽⁵⁾ وتصوّره ذهنياً بالتأمل والنظر.

وبناء على هذا فإن الفكر يطلق على أمرين: على الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات، كالنظر، والتأمل، والتدبر ونحوها، وعلى المعقولات نفسها.

غير أنه إذا أُطلق على فعل النفس دلّ على حركتها الذاتية، وهي النظر والتأمل، وإذا أُطلق على المعقولات دلّ على المفهوم الذي تفكر فيه النفس⁽⁶⁾، وأما حركة النفس في المحسوسات يسمى تخيلاً⁽⁷⁾.

(1) الغزالي، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، 4/423.

(2) ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، 4/357، مادة "فكر".

(3) البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر، 4/196.

(4) الأصفهاني، علي بن الحسين، المفردات في غريب القرآن، ص 643.

(5) إبراهيم، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، 2/698، مادة "فكر".

(6) صليبا، جميل اللبناني، المعجم الفلسفي، 2/156.

(7) الشنقيطي، محمد الأمين، آداب البحث والمناظرة، ص 15.

ويقصره أحد الباحثين على التصور الذهني للإسلام قائلاً: "الرؤية والصورة الذهنية لتصوير الإسلام في عقل الفرد وتفكيره، سواء كان في الناحية الاعتقادية أو العملية" (1). أسفر العرض السالف أن الفكر حركة العقل البشري التي تتطور بالممارسات الاجتماعية عبر سيورة الزمن وصيرورته.

يجد المتدبر في آيات القرآن المجيد أن الغرض الأسمى من إنزال القرآن هو التفكير فيه، وتأمل ما انطوى عليه، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ "النحل، 44" فاللام في لفظة "لتبين" دالة على العلة الأصلية في إنزال القرآن، كما أن عطف "لعلهم يتفكرون" حكمة أخرى من حكم إنزال القرآن، وهي تهيئة تفكير الناس فيه وتأملهم فيما يقرهم إلى رضى الله تعالى (2)، ويشدّ هذا ويشهد له ورود هذه المادة في ثمانية عشر موضعاً في القرآن الكريم، كلها إلا واحدة جاءت بصيغة الفعل المضارع الدال على الاستمرار والتكرار، مما يدلنا على فرضية نشاطه وأهمية تجدد، وأنه لا يركن للماضي ولا يقف عند حدود الزمان والمكان.

لئن صرح حكماء الغرب بأن التفكير هو مبدأ ارتقاء البشر، وبقدر جودته يكون تفاضلهم فيه (3)، فإن القرآن الكريم سبقهم إلى هذه الدعوة واعتنى بالفكر عناية كبيرة وجعله هو المبتدأ، وجعله مورد العلم والعمل؛ إذ "العمل تابع الحال، والحال تابع العلم، والعلم تابع الفكر، فالفكر -إذن- هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها، وهذا هو الذى يكشف لك فضيلة التفكير، وأنه خير من الذكر والتذكر؛ لأن الفكر ذكر وزيادة" (4) فالناظر في سياق هاته الآيات ينتهي إلى أن التفكير عملية ذهنية دقيقة وعميقة ومضبوطة.

(1) عابدين، طه حمد، الانحراف الفكري، ص 9.

(2) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، 163/14، 164.

(3) رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم، 203/11.

(4) الغزالي، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، 426/4.

أدرك المفسرون أهمية القرآن المجيد في بناء المنظومة الفكرية للإنسان، وانتزعوا من جملة الآيات القرآنية أن الدين الإسلامي يسعى إلى بناء الفكر بناء سليماً، فهو دين الفطرة، والعقل، والفكر، والعلم، والحكمة، والبرهان والحجة، وقد سلك القرآن أساليب متنوعة في إثارة الفكر والحض عليه، ومن تلك الأساليب استعمال صيغة الاستفهام الإنكاري الدالة على الإلهاب والتحريض والحث، كقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفْلا تَتَفَكَّرُونَ﴾ "الأنعام، 50" بعد أن ختم سبحانه المجادلة مع الكفار الذين عطّلوا عقولهم ولم ينفعهم تفكيرهم، شبه حال من لا يفكر ولا يفقه الأدلة ولا يوجه عقله في مصالحه بحال الأعمى الذي لا يعرف أين يقصد ولا أين يضع قدمه، وشبه حالة من يتفكر فيهندي ويميز الحقائق ولا يلتبس عليه بعضها ببعض بحالة القوي البصر حيث لا تختلط عليه الأشباح، ذيل هذا باستفهام إنكار يُنذد بجنوحهم عن التفكير وإلهاب غيرهم بإعماله؛ لأن عدم استواء الأعمى والبصير بديهي لا يسعهم إلا الاعتراف بعدم استوائهما؛ فلا جرم أن يتفرع عليه إنكار عدم تفكيرهم في أنهم بأيهما أشبه⁽¹⁾.

ومن الطرائق التي حض عليها القرآن ودفع الإنسان من خلالها إلى إعمال عقله وتحريك فكره: **الإثارة والتشويق**، اللذان يدفعان إلى النظر والتأمل، فالله تعالى عندما تحدث عن الدلائل الأرضية كمد الأرض، ونصب الجبال ونحوها، عبّ ذلك بقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًا يُغِيثُ اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ "الرعد، 3" وفي هذا دلالة على أن مجال الفكر باقٍ بَعْدُ، ولا بد بعد هذا المقام من التفكير والتأمل ليتم الاستدلال⁽²⁾.

اتخذ القرآن العزيز من **التمثيل والتصوير** أداة لصناعة التفكير وتفعيل الحركة العقلية وبعثها؛ لذا نجدها مذيّلة إما بقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ "إبراهيم، 25" أو بقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ "الحشر، 21" أو يربطها بالعقل المفضي إلى العلم في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثُلُ

(1) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، 243/7.

(2) الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، 7/19.

نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ» "العنكبوت، 43" يسفر هذا على أن لضرب الأمثال في القرآن فوائد كثيرة، كـ "ترتيب المراد للعقل وتصويره في صورة المحسوس، بحيث يكون نسبته للفعل كنسبة المحسوس إلى الحس... وتصور المعاني تصور الأشخاص، فإن الأشخاص والأعيان أثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس، بخلاف المعاني المعقولة فإنها مجردة عن الحس" (1) ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ "الحشر، 21" فالله حينما نفى المساواة بين أصحاب النار وأصحاب الجنة، ضرب مثلاً للذين كفروا بالجبل الصلب الذي لو كان في موضع هؤلاء المعرضين عن فهم القرآن المتناسين لله، لاتعظ الجبل وتصدع صخره من شدة تأثره بخشية الله، ختم هذا المثل المنطوي على التوبيخ والتقريع للكفار، بالإشارة إلى أن سبب جهلهم وإعراضهم هو عدم تفكيرهم وإعمال عقولهم فيما ينفعهم.

إن من مظاهر احتفاء القرآن المجيد ببناء المنظومة الفكرية أن جعل الفكر وإنعاشه أحد مقاصد القرآن العزيز التي يجب رعايتها وإقامتها والعناية بها، وهذا ما تكفل به كثير من العلماء القدامى والمحدثين الذين أدركوا أهميتها في بناء المنظومة الفكرية، فجعلها الغزالي في ستة: ثلاثة مهمة، وثلاثة متممة، واختزلها ابن عبد السلام في اكتساب المصالح وأسبابها، والبعد عن المفاسد وأسبابها، وتراحت تراحباً واسعاً عند محمد رشيد رضا فأطال النفس في الحديث عنها في كتابيه "التفسير، والوحي الحمدي" فأفرد لها فصلاً كاملاً في تفسيره في حدود سبعين صفحة، ثم أشبعها بياناً في الوحي الحمدي في مائة وثلاثين صفحة تقريباً، وجعل التفكير أحد هاته المقاصد التي يفضي إهمالها إلى نتائج لا يحمد غيبها، وذكر أن التفكير وبناءه السليم مقصد عظيم في القرآن المجيد؛ إذ القرآن هو الكتاب السماوي المقدس الذي تحدث عن العقل باسمه وأفعاله، وأن سواه من الكتب المقدسة حجرت العقل وقيدت حركته وألغت فاعليته؛ فجاء الإسلام بتعاليم القرآن فحرّره من قيوده وفسح له المجال لأداء

(1) الزركشي، محمد بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، 488/1.

وظيفته، وبعد هذا البيان ختم رشيد رضا ذلك بقوله: "آيات النظر العقلي والتفكير كثيرة في الكتاب العزيز، فمن تأملها علم أن أهل هذا الدين هم أهل النظر والتفكير والعقل والتدبر، وأن الغافلين الذين يعيشون كالأنعام لا خطّ لهم منه إلا الظواهر التقليدية التي لا تركي الأنفس ولا يثقف العقول، ولا تصعد بها في معارج الكمال، يعرفان ذي الجلال والجمال"⁽¹⁾. لم يكن بناء المنظومة الفكرية في القرآن المجيد محصوراً في جانب معين من جوانب الحياة، وإنما امتد إلى حقول المعارف والعلوم الدينية والدنيوية على حد سواء، وهذا الامتداد دفع بكثير من العلماء إلى القول بوجوب إصلاحه، ف"إصلاح التفكير المبحوث عنه هنا فهو التفكير فيما يرجع إلى الشؤون في الحياة العاجلة والآجلة لتحصيل العلم بما يجب سلوكه للنجاح في الحياتين؛ كي يسلم صاحبه في الوقوع في مهاوي الأغلاط في الحياة العاجلة، وفي مهاوي الخسران في الحياة الآخرة"⁽²⁾.

لقد عظم القرآن الحكيم شأن الفكر تعظيماً كبيراً، فنزع العلماء إلى تفعيله وتهذيبه وإصلاحه، يقول ابن عاشور: "استقرت نواحي إصلاح التفكير الواردة في الإسلام استقراءً عاجلاً فانهتيت إلى ثماني نواح من أصول نجاح المرء والجماعة في المجتمع هي: تلقي العقيدة، وتلقي الشريعة، والعبادة، وتحصيل النجاة في الحالتين، والحزم، والمعاملة، والأحوال العامة، ومصادفة الحق في المعلومات"⁽³⁾.

لا ريب أن مقصد التفكير دليل ناهض على تفاعل القرآن المجيد وتناغمه الحميم مع الواقع المعيش؛ لذا نادى علماء المقاصد وأربابها بضرورة إصلاحه رعيّاً لحاجته الملحة ومصلحته المعتبرة التي تنصلح بها أحوال الناس الخاصة والعامة، وقد التفت لهذا المنحى أحمد الريسوني وتفتّن له ودعا إليه، وذكر بعض القضايا القرآنية التي تظهر فيها عناية الكتاب

(1) رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي، ص 177.

(2) ابن عاشور، محمد الطاهر، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص 51.

(3) ابن عاشور، محمد الطاهر، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص 53.

العزير بتقويم الفكر وتسديد النظر، مما يثبت بجلاء أن هذا الجانب بالذات هو أحد المقاصد العامة للذكر الحكيم، وهذه القضايا هي: القرآن حجة وبرهان، والحكمة في بعدها المنهجي، ولا حكم إلا بدليل، واستعمال الأفئدة والحواس، ومنهج ضرب الأمثال⁽¹⁾.

زخرت النصوص القرآنية بعواصم راشدة تقي المنظومة التفكيرية من التصدع والانحيار، وحتى لا يلحقها العطب والخلل فتجنح إلى توليد الآراء المتشددة أو السلوكيات المنحرفة، أمرت بالعلم الضابط للتفكير والمهذب للأعمال، ومن الشواهد الدالة على ذلك أن الرسالة المحمدية افتتحت بالأمر بالقراءة التي هي آلة العلم في قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ 1 خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ 2 أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ 3 الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ 4 عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ "العلق، 1-5" ليس يخفى أن القراءة المأمور بها هي القراءة المفضية للعلم المستمد من الوحي بعد تدبره وتأمله والنظر في هداياته وتوجيهاته، أي: القراءة المحفزة والباعث لإعمال العقل المبنية على أسس منهجية ينصلح في ظلها التفكير الإنساني.

الخاتمة

- بعد التطواف في رياض الآيات القرآنية المتحدثة عن الحركة العقلية والامتياح من ينابيعها؛ سنحت نتائج أسفرت عن زبدة مخض مباحثه، ومن أبرزها.
- لم يتفق الباحثون قديماً وحديثاً على ماهية العقل؛ ومع هذا فهو في المنظور الإسلامي آلة الإدراك والتمييز، ووسيلة الفهم والاجتهاد لمن هو أهله.
 - إن من مظاهر احتفاء القرآن المجيد ببناء المنظومة الفكرية أن جعل الفكر وإنعاشه أحد مقاصد القرآن العزيز التي يجب رعايتها وإقامتها والعناية بها.
 - لم يكن البناء العقلي في القرآن المجيد محصوراً في جانب معين من جوانب الحياة، وإنما امتد إلى حقول المعارف والعلوم الدينية والدنيوية على حد سواء.

(1) الريسوني، أحمد بن عبد السلام، مقاصد المقاصد: الغايات العلميّة والعملية لمقاصد الشريعة، ص20

وما بعدها.

- أكدت النصوص القرآنية على ضرورة إعمال العقل في مجاله، وعدم تعطيله، فالآيات التي أشادت بأهمية العقل والفكر جاءت مرتبطة دائماً بالإشارة إلى حسن توظيفه، وذمّ من عطّله ولم يستخدمه، أو لم يُحسّن استخدامه؛ فاستخدمه في غير موضعه، أو قصره في حدود ضيقة، يُعدّ حجراً عليه، وشلاً لحركته.
- قام القرآن المجيد على محاربة مثبطات العقل، وقتلها في مهدّها قبل ظهورها واستفحالها، وتحصين عقول الأفراد من وسائلها المؤدية إليها، فنقّر من الإقدام عليها، والاقتراب منها؛ فحذرت الآيات من كل الملوثات الفكرية مادية كانت أم معنوية.

المصادر والمراجع

- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، استنبول: دار الدعوة.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر، (1424هـ) نظم الدرر، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، (1411هـ) (درء تعارض العقل والنقل، المملكة العربية السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- الجويني، عبد الملك بن عبد الله (1418هـ) البرهان في أصول الفقه، بيروت: دار الكتب العلمية.
- أبو حيان، محمد بن يوسف، (1413هـ) البحر المحیط، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الخطيب، أحمد بن علي (1422هـ) تاريخ بغداد، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- الدامغاني، عبد الله بن محمد، (1980م) إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، بيروت: دار العلم للملايين.
- الرازي، محمد بن عمر، (1420هـ) مفاتيح الغيب، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- رضا، محمد رشيد، (1426هـ) الوحي المحمدي، بيروت: دار الكتب العلمية.
- رضا، محمد رشيد، (1990م) تفسير القرآن الحكيم، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الريسوني، أحمد بن عبد السلام، (2013م) مقاصد المقاصد: الغايات العلمیة والعملیة لمقاصد الشريعة، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

الزركشي، محمد بن بهادر (1376هـ) البرهان في علوم القرآن، بيروت: دار إحياء الكتب العربية.

الزحشري، محمد جار الله (1407هـ) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، القاهرة: دار الريان للتراث.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (1394هـ) الإتقان في علوم القرآن، مصر: الهيئة المصرية العامة.

الشاطبي، إبراهيم بن موسى، (1417هـ) الموافقات، القاهرة: دار ابن عفان.

الشنقيطي، محمد الأمين، (د.ت) آداب البحث والمناظرة، مكة: دار عالم الفوائد.

صليبا، جميل اللبناني، (د.ت) المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

عابدين، طه حمد (1427هـ) الانحراف الفكري، مكة: معهد إحياء التراث.

ابن عاشور، محمد الطاهر (1984م) التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر والتوزيع.

ابن عاشور، محمد الطاهر، (1425هـ) مقاصد الشريعة، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

ابن عاشور، محمد الطاهر، (د.ت) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، تونس: الدار التونسية للتوزيع.

عبد الباقي، محمد فؤاد، (1428هـ) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، القاهرة: دار الحديث.

ابن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز (1414هـ) قواعد الأحكام في مصالح الأناس، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية.

عمارة محمد السقا، (1423هـ) الإسلام بين التنوير والتزوير، القاهرة: دار الشروق.

الغزالي، محمد السقا، (د.ت) حقوق الإنسان، مصر: دار نخضة.

الغزالي، محمد بن محمد، (1413هـ) المستصفى، بيروت: دار الكتب العلمية.

الغزالي، محمد بن محمد، (1975م) معارج القدس في مدارج معرفة النفس، بيروت: دار الآفاق الجديدة.

- الغزالي، محمد بن محمد، (د.ت) إحياء علوم الدين، بيروت: دار المعرفة.
- ابن فارس، أحمد بن فارس، (1423هـ) معجم مقاييس اللغة، مصر: دار الكتاب العربي.
- الفراهيدي، خليل بن أحمد، (د.ت) العين، القاهرة: دار ومكتبة الهلال.
- القطان، مناع خليل، (1421هـ) مباحث في علوم القرآن، بيروت: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الروح، (د.ت) بيروت: دار الكتب العلمية.
- الكيالي، عبد الوهاب وآخرون، (1425هـ) موسوعة السياسة، بيروت: المؤسسة العربية للنشر.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، (1414هـ) لسان العرب، بيروت: دار صادر.
- النجار، عبد المجيد التونسي، (1413هـ) خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- النجار، عبد المجيد التونسي، (2008م) مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

أثر دراسة المصطلح القرآني

في وعي الأمة

د. أمين بن عمر بن عبد الله باطاهر

أستاذ مشارك في التفسير

قسم الدراسات الإسلامية

جامعة سيئون - كلية البنات

Ameen@seiyunu.edu.ye

© نُشر هذا البحث وفقًا لشروط الرخصة Attribution international (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أجريت عليه.

للاقتباس: باطاهر، أمين عمر، أثر دراسة المصطلح القرآني في وعي الأمة، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، عدد خاص للمؤتمر القرآني الدولي الثالث المجلد (2)، سبتمبر 2025: 47-74.

DOI: <https://doi.org/10.61821/3rdconfv2.0204>

الملخص:

يبرز دور آيات القرآن الكريم وألفاظه في آثاره خصوصاً تماسك أفراد أمة الإسلام وتصحيح مشكلاتها وبحث (أثر دراسة المصطلح القرآني في وعي الأمة) يهدف إلى معالجة ما يعيشه العالم الإنساني من زحف العولمة والعلمنة وسرعة تجدد المعلومة مع وجود الاضطراب والاختلاف، وتظهر المشكلة في ما هو دور المصطلح القرآني ودراسته في معالجة قضايا الأمة كما تصوره الآيات القرآنية؟ حتى يتبين للقارئ أثر المصطلح القرآني في الدراسات القرآنية وكذا الأثر السلبي في غيابه عن حياة وثقافة الأمة أو الفرد، ويشمل البحث على مقدمة ومبحثين، الأول: المصطلح القرآني أهميته وأثره في وعي الأمة، والآخر: نماذج تطبيقية لأثر الدراسات المصطلحية القرآنية في وعي الأمة سواء في البحث القرآني أو في رد المصطلحات الغازية أو تحديد المصطلحات المتقاربة والتفريق بينها. يؤكد البحث على وجود علاقة بين معرفة المصطلح القرآني وعصمة الأمة ووحدها؛ فلا يتصور أن يكون استقرار حقيقي للأفراد والمجتمع بدون تحديد للمصطلح وتقييد المفهوم منه، فيتبع ذلك تماسك أمة الإسلام.

الكلمات المفتاحية: أثر - المصطلح - القرآني - الوعي - الأمة.

The Impact of Studying Quranic Terminology on the Consciousness of the Ummah

Dr. Amin bin Omar bin Abdullah Babatahir

Associate Professor of Interpretation

Department of Islamic Studies

Seiyun University - College of Girls

©This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.

Citation: Babatahir, Amin Omar, The Impact of Studying Quranic Terminology on the Consciousness of the Ummah, Journal of the University of Holy Quran and Islamic Sciences, Special Issue of the third International Qur'anic Conference, Volume (2), September 2025:47-74.

DOI: <https://doi.org/10.61821/3rdconfv2.0204>.

Abstract:

The role of the verses and words of Holy Quran in its impact,

particularly in strengthening the cohesion of the Muslim Ummah and addressing its problems, is highlighted. The study, "The Impact of Studying Quranic Terminology on the Consciousness of the Ummah," aims to address the challenges facing humanity today, including the spread of globalization and secularization, the rapid renewal of information, and the presence of turmoil and disagreement. The problem appears in what is the role of the Qur'anic term and its study in dealing with the issues of the nation as depicted by Qur'anic verses, so that the reader can see the impact of Qur'anic term in Qur'anic studies as well as the negative impact of its absence from the life and culture of the nation or individual. The research includes an introduction and two chapters. The first section: Quranic terminology, its importance and impact on the nation's awareness. The second section: Applied models of the impact of Quranic terminological studies on the nation's awareness, whether in Quranic research, refuting invasive terms, or identifying and distinguishing similar terms. The study emphasizes the relationship between knowledge of Quranic terminology and the infallibility and unity of the nation. It is inconceivable that true stability for individuals and society can be achieved without defining the term and restricting its meaning. This, in turn, leads to the cohesion of the Islamic nation.

Keywords: impact - terminology - Quranic - awareness - nation.

المقدمة:

الحمد لله الرقيب الشهيد المبدئ المعيد، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء صاحب الخلق الحميد سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه الهداة الأجوايد ومن تبعهم إلى يوم الوعد والوعيد وبعد:

يعيش العالم الإنساني في العصر الحديث زحف العولمة والطفرة العلمية وسرعة تجدد المعلومة ومع ذلك نرى الاختلاف والتدابير والتصارع فوجب لذلك ضرورة دراسة أسبابها وآثارها وسأتناول في بحثي وقفات حول المصطلح القرآني ودراسته عند العلماء مع بيان أثره على الأمة وخصصته بدراسة تطبيقية لألفاظ يُبرز فيها آراء العلماء فيما كتبوا في دراسة

المصطلحات والحاجة إليها وربطها بالمصادر الشرعية من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وعنوان بحثي: (أثر دراسة المصطلح القرآني في وعي الأمة) ويشمل البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة مفصلة كالاتي:

المقدمة: أهمية البحث وأهداف ومشكلته والدراسات السابقة.

المبحث الأول: المصطلح القرآني أهميته وأثره في وعي الأمة.

المطلب الأول: تعريف بالمصطلح القرآني ومرادفاته.

المطلب الثاني: أهمية دراسة المصطلح وأثره في وعي الأمة.

المبحث الثاني: نماذج تطبيقية لأثر الدراسات المصطلحية القرآنية في وعي الأمة.

المطلب الأول: دور الدراسة المصطلحية في البحث القرآني

المطلب الثاني: دور المصطلح القرآني في رد المصطلحات الغازية

المطلب الثالث: دور المصطلح القرآني في تحديد المصطلحات المتقاربة والتفريق بينها

الخاتمة: بها أهم النتائج والتوصيات

أهمية البحث:

1. تبرز أهمية هذه الدراسة التي تعنى بالوقوف على ظاهرة إشكال المصطلح في حقل الدراسات والأبحاث القرآنية وتحرير الكلام حول مشكلة ومسائل المصطلح القرآني قدر الإمكان.

2. المشاركة والتوسيع في دراسة المصطلح القرآني من حيث الصياغة والمحتوى، أو من حيث الدقة والتحديد، أو من حيث الشيع والذيع؛ إذ إن المصطلح القرآني لا يقابل بمصطلح آخر اجتهادي حيث يختلف باختلاف المجتهدين، أو إنها تعدد المصطلحات لمفهوم واحد؛ مما يضعف هذه المصطلحات، ويسلبها القوة والقدرة على الصمود في وجه المصطلحات الغازية الغربية والشرقية.

3. يعالج البحث جملة من مصطلحات يكثر دورها في مجال الدراسات القرآنية، وحياة الأمة؛ محاولة في حل إشكال المصطلح وضبط حدوده قدر المستطاع بما يسهم في

استقرار هذه المصطلحات وتيسير العلم بها وتعلمها.

4. يساعد البحث في تمييز المفاهيم الخاطئة والمتشابهة بين المصطلحات في العلوم والفنون في خصوصًا ما يتعلق بالدراسات القرآنية.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة الدراسة في بيان أهمية المصطلح القرآني ودوره في معالجة قضايا ومشكلات الأمة كما تصوره الآيات القرآنية، والاستفادة منها في حل مشكلات المصطلحات على كل مستوياتها الخاصة بضبط العلوم أو العامة الشاملة لكل الألفاظ المصطلحية للقرآن الكريم.

أسئلة البحث:

ستجيب هذه الدراسة عن السؤال الرئيس الآتي:

• هل احتوت آيات القرآن الكريم على مصطلحات؟ وما دور الدراسة المصطلحية؟

ويتفرع عن هذا السؤال الأسئلة الآتية:

- ما معنى المصطلح القرآني؟
- هل يوجد مصطلح القرآني في الآيات؟
- ما دور المصطلح القرآني ودراسته في بناء وعي أمة الإسلام؟

أهداف البحث:

تلخص أهداف البحث في الآتي:

1. بيان إشكالية حضور المصطلح القرآني في الدراسات القرآنية وأثر غيابه السلبي على حياة وثقافة الأمة عامة وعلى مستوى الفرد وكل دراسة لعلوم القرآن الكريم.
2. الإسهام في معالجة جملة من المصطلحات في نطاق حقل الدراسات القرآنية وتبيين حدودها وماهية كل منها حيث لا تزال أمتنا تعاني من كثير من المصطلحات التي دخلت إلى تراثنا، وبعضها قد أثر عنه خصوصيات ومعارك كلامية ذهبت بوقت المسلمين، وأشغلتهم عن المقاصد العظمى للأمة، وفترتهم شيعًا وطوائف: ﴿كُلُّ حِزْبٍ

بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ [المؤمنون: 53]. يقول ابن حزم: " لو اتفقت مصطلحات الناس لانتهت ثلاثة أرباع خلاف أهل الأرض"(1).

الدراسات السابقة: من أبرز الدراسات التي طورت دراسة المصطلح القرآني الآتي:

1. نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية، القرآن والدراسات المصطلحية تأليف الدكتور الشاهد البوشيخي وفيهما تم وضع أسسًا وخطوات لفكرة المعجم الشامل للمصطلحات القرآنية، وتتبع واستقرأ الألفاظ القرآنية ذاتها للوصول بعد ذلك إلى القول باصطلاحية هذه الألفاظ وفق الاستعمال القرآني له من عدمها.
2. الدرس المصطلحي للقرآن الكريم بين التأصيل والتطوير، معجم المصطلحات القرآنية المعرفة في تفسير الطبري. تأليف الدكتورة فريدة زمردة.
3. القرآن ومعركة المصطلحات، المدخل لقاموس القرآن تأليف الدكتور أحمد حسن فرحات وهي دراسات تطبيقية حول المصطلح.

إن هذا البحث يثبت وجود علاقة بين معرفة المصطلح القرآني وعصمة الأمة ووحدها؛ فلا يتصور أن يكون هناك استقرار حقيقي للمجتمع ولأفراده بدون تحديد للمصطلح وتقييد المفهوم منه، فيتبع ذلك تماسك أمة أهل الإسلام. وفي الأخير أسأل الله تعالى التوفيق والسداد وأن يعم الخير البلاد والعباد.

(1) نقلا عن "المصطلح الأصولي ومشكلة المفاهيم" للشيخ د. علي جمعة.

المبحث الأول

المصطلح القرآني أهميته وأثره في وعي الأمة

المطلب الأول: التعريف بالمصطلح القرآني ومرادفاته

يطلق على الاصطلاح قديماً (علم الحدود)، أي: حدود الألفاظ، أو علم الدلالة أو (المواضعة)، ويُعرف حالياً بعلم المصطلحات لكثرتها تناولها في كل فن، ونسبته قرآني إلى محل تأصيله وصيغته.

الاصطلاح في اللغة:

قال الخليل بن أحمد (ت 170هـ): الصلح من الصلاح، نقيض الطلاح، والصلح تصالحُ القوم بينهم⁽¹⁾ وقال ابن فارس (ت 395 هـ) (صَلَحَ) الصَّادُ وَاللَّامُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الْفَسَادِ. يُقَالُ: صَلَحَ الشَّيْءُ يَصْلُحُ صِلَاحًا — و(المصطلح) مصدر ميمي للفعل اصطلاح بمعنى اتفق، وقيل: اسم مفعول لذات الفعل، على تقدير متعلق محذوف، أي "مصطلح عليه".

ويقصد به اصطلاحاً: كما أورد الجرجاني (ت: 816هـ) أكثر من تعريف للمصطلح ومن ذلك:

الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما يُنقل عن موضعه الأول، هو إخراج اللفظ عن معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما. — وقيل: الاصطلاح: اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى، وقيل: الاصطلاح لفظ معين بين قوم معينين⁽²⁾

ويعرف أبو البقاء الكفوي (ت 1094هـ) الاصطلاح في (الكليات) بقوله: "هو اتفاق القوم على وضع الشيء، وقيل: إخراج الشيء عن المعنى اللغوي إلى معنى آخر لبيان المراد"⁽³⁾

1 الخليل، العين، (3/ 117) ابن فارس، مقاييس اللغة (3/ 303)

2 (الجرجاني، التعريفات: ص 8).

3 (الكفوي، الكليات: ص 129)

ونلاحظ اتفاق التعريفات على معنى الوضع، والتوافق بين قوم ما على وضع جديد للفظ بإعطائه معنى على سبيل التقييد أو التخصيص، ثم هذا الوضع بدوره يرجع إلى الجهة التي منحت المعنى لهذا اللفظ - تقييداً أو تخصيصاً - فإن كان من جهة الشرع يكون مصطلحاً شرعياً - وهي ما يطلق عليها الأسماء الشرعية، والحقيقة الشرعية، والألفاظ الشرعية؛ كالصلاة والزكاة والصيام والحج. -، وحينما يكون من غير الشرعي يكون عرفياً بحسب صنف القوم الذين تعارفوا عليه، ويأتي قبل هذا الحقيقة اللغوية، وما يُعرف حده باللغة، وفيها يقال: معنى الكلمة في اللغة كذا. والحقيقة اللغوية "هي اللفظ المستعمل فيما وضع له في وضع به التخاطب"⁽¹⁾؛ بحيث تدل على معناها بنفسها من غير حاجة إلى علاقة أو قرينة.

يجب التفريق بين ما هو من قبيل المصطلح بين العلماء وما هو ليس كذلك؛ فإن القول بالمصطلح القرآني دراسة شرعية وليس من قبيل المصطلح بين العلماء وخلافه يقول أبو البقاء الكفوي: "والاصطلاح مقابل الشرع في عرف الفقهاء؛ ولعل وجه ذلك أن الاصطلاح (افتعال) من (الصلح) للمشاركة كالاقتسام، والأمور الشرعية موضوعات الشارع وحده لا بتصالح عليها بين الأقوام وتواضع منهم. ويستعمل الاصطلاح - غالباً - في العلم الذي تحصل معلوماته بالنظر والاستدلال"⁽²⁾ ويؤيد ذلك الدكتور بكر أبو زيد أن الألفاظ المتلقاة بنص من الشارع ليست من تصالح القوم، يقوله: " حصل التفريق في ألقابها فيقال فيما ورد به نص: (حقيقة شرعية) ولا يقال: (حقيقة اصطلاحية). والله أعلم"⁽³⁾.

دراسة المصطلح القرآني ومرادفاته في كتب الدراسات القرآنية:

وإننا عند استقراء وتتبع المراجع والمصادر الكثيرة في دراسة القرآن الكريم نجد من أقدم

(1) (التهانوي، ... بدون تاريخ، 691/1)

(2) (الكفوي، الكليات : ص 129، 1998م)

(3) (أبوزيد، 1996م، 124/1).

اهتمام العلماء بتدوين علوم القرآن وخصص الاعتناء ببيان المفردة القرآنية وهي في الحقيقة دراسة لمصطلحات القرآن الكريم لأنها تبحث عن استعمال القرآن للفظ العربي من جوانب مختلفة في الآيات والتغييرات التي تطرأ عليه وهذا جزء من الدراسة المصطلحية

يصعب حصر جهود العلماء السابقين في بيان الفردة القرآنية فنجده يشارك في دراستها اللغويون والأصوليون والمفسرون فمن تلك الجهود التي عالجت المفردة القرآنية: مؤلفات غريب ألفاظ القرآن، وكتب الوجوه والنظائر وكتب الفروق والمعاجم اللغوية، ومؤلفات في لغات القبائل في القرآن، الكتب المعرب والدخيل.

وإن كتب التفسير وأصول الفقه لا تقل شأنًا في دراسة وبيان دلالة الألفاظ القرآنية خصوصًا التفاسير التي غلب عليها الجانب اللغوي مثل: تفسير الزمخشري وتفسير أبو حيان الأندلسي غيرها.

وظهرت في العصر الحديث دراسات متنوعة ومختلفة للمفردة القرآنية مثل: الدراسات البيانية في التفسير حيث يدرس استعمالات المفردات في القرآن في مواضع مختلفة مع بيان مدلولها في كل موضع.

ومنها التفسير الموضوعي الذي يعد في هذا العصر أهم الجهود المهمة بدراسة المصطلح القرآني حيث يدرس في أحد أنواعه الكلمة القرآنية لتفسير القرآن الكريم.

وقد نال دراسة المصطلح القرآني تطورًا وتحديدًا ملحوظًا في مجال الدراسات القرآنية في سياق الجهود الداعية لتجديد مناهج تفسير القرآن خصوصًا مع ما عرفته مناهج البحث العلمي الحديثة من تطورات وتقنيات جديدة من التواصل والمعلومات والإحصائيات والاستفادة من منهج التاريخي والمنهج الوصفي ومن أبرز شخصيات كانت لها دور في تطوير دراسة المصطلح القرآني:

- جهود الدكتور الشاهد البوشيخي مؤسس معهد الدراسات المصطلحية في المغرب.
- الدكتورة فريدة زمردة مؤسسة دار الحديث الحسنية في جامعة القرويين.
- الدكتور أحمد حسن فرحات له دراسات تطبيقية حول المصطلح.

- وعند تتبع إطلاقات المصطلح القرآني في كتب العلماء والباحثين نجدها تذكر كالاتي:
1. عرف القرآن أو العرف القرآني كما ذكره البيضاوي وأبو السعود وابن تيمية وابن عبد المعاطي غيرهم.
 2. عادات القرآن أو عادة القرآن كما ذكره الفخر الرازي وابن القيم.
 3. لغة القرآن ويذكر عن ابن تيمية والأستاذ محمد رشيد رضا.
 4. العرف الشرعي: وسماه بذلك الكياهراسي وجمال الدين القاسمي.
 5. الحقيقة الشرعية ويكثر استعمالها في الفقه ومن المفسرين أبو حيان والشوكاني ومحمد الأمين الشنقيطي.

هذه أشهر الاطلاقات القريبة من الدلالة على مصطلح القرآني⁽¹⁾.

المطلب الثاني: أهمية دراسة المصطلح وأثره في وعي الأمة:

تبرز الأهمية للمصطلح القرآني في تحقيقه لألفاظ القرآن الكريم بل يعد الأساس لفهمه الفهم الصحيح حيث يرى الراغب الأصفهاني (ت502هـ) أنه الأولى بالدراسة بقوله "إن أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه، كتحصيل اللبن في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبينه وليس ذلك نافعاً في علم القرآن فقط بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع، فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى"⁽²⁾.

وقد تكلم العلماء على ما أحدث القرآن الكريم من تغيير في دلالة بعض الألفاظ، قال ابن فارس في (الصاحي) "كَانَتْ الْعَرَبُ فِي جَاهِلِيَّتِهَا عَلَى إِرْثٍ مِنْ إِرْثِ آبَائِهِمْ فِي لُغَاتِهِمْ

(1) ينظر مجلة اللغة العربية المجلد 24 العدد الرابع 2022 ص 647 – 683

(2) مفردات غريب القرآن : ص6

وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم. فلما جاء الله جلّ ثناؤه بالإسلام حالت أحوال، وتُسِحت دِيانات، وأبطلت أمور، وتُقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع آخر بزيادات زیدت، وشرائع شُرعت، وشرائط شُرطت. فَعَقِيَ الآخِرُ الأوَّلَ "ثم ذكر من الألفاظ: المؤمن والمسلم والكافر والمنافق والفسق. حيث يقول: "إن العرب عرفت المؤمن من الأمان والإيمان وهو التصديق. ثُمَّ زادت الشريعة شرائطاً وأوصافاً بِهَا تُشَمِّي المؤمن بالإطلاق مؤمناً. وكذلك الإسلام والمسلم، إِنَّمَا عَرَفَتْ مِنْهُ إِسْلَامَ الشَّيْءِ ثُمَّ جَاءَ فِي الشَّرْعِ مِنْ أَوْصَافِهِ مَا جَاءَ. وكذلك كَانَتْ لَا تَعْرِفُ مِنَ الْكُفْرِ إِلَّا الْغِطَاءَ وَالسِّتْرَ... وَلَمْ يَعْرِفُوا فِي الْفُسْقِ إِلَّا قَوْلَهُ: "فَسَقَتْ الرُّطْبَةُ" إِذَا خَرَجَتْ مِنْ قَشْرِهَا، وجاء الشرع بأن الفسق الأفحاش في الخروج عن طاعة الله جلّ ثناؤه"⁽¹⁾. وأشار العسكري(ت395هـ) إلى هذه المصطلحات بقوله: قد حدثت في الإسلام معان وسميت بأسماء كانت في الجاهلية لمعان آخر، فأول ذلك القرآن والسورة والآية والتميم، قال تعالى: (فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا) أي تحروه، ثم كثر ذلك حتى سمي التمسح تيمماً، والفسق وهو الخروج من طاعة الله تعالى، وإنما كان ذلك في الرطوبة إذا خرجت من قشرها، والفأرة إذا خرجت من جحرها، وسمى إظهار الإيمان مع إسرار الكفر نفاقاً، والسجود لله إيماناً، وللوثن كفرًا، ولم يعرف أهل الجاهلية من ذلك شيئاً. وقال أيضاً: ومن الأسماء المستحدثة تسمية الفرج المتاع والعورة، وأصل العورة الانكشاف والامكان، يقال أعور الفارس إذا بدا موضع منه للطعن والضرب، وأعور البيت إذا أمكن السراق، وفي القرآن ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ أي معورة ممكنة لمن أرادها"⁽²⁾.

وتمثل أهم تلك الآثار لدراسة المصطلح القرآني على وعي الأمة في الآتي:

1. دراسة المصطلح أحد سبل الاستيعاب والضبط ومن ثم التحليل والتعليل والتجديد في العلم والواقع، ومن خلاله يحصل للعالم والمتعلم معاً التمكن من ناصية العلم ويتم بعد ذلك سهولة الفهم العميق للمصطلح والمفردات القرآنية ومعرفة التاريخ الدقيق للعلم

(1) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها (ص: 45)

(2) الأوائل للعسكري (ص: 45).

ويقف العالم الراسخ على عتبة استشراف مستقبل العلم في ضوء الحاجة العامة للأمة والحاجة الخاصة للعلم.

2. تصحيح بعض المفاهيم وإخراج الأمة من الاضطراب والحيرة بدراسة المصطلح القرآني إلى منهج الاهتمام للتي هي أقوم، وإخراجها من الكلام عن العلم إلى الكلام بعلم، وتخرج من السير الفرادي فردياً أو مؤسسياً إلى السير الجماعي المنسق المتكامل، وذلك بتحريرها من أثر المذهبية في الفكر أو من التحريف واللبس وغيرها.
 3. رفع مكانة المصطلح القرآني للمفاهيم التي عبر أو عبرت عنها آيات القرآن الكريم وذلك من خلال إعادة الاعتبار للمصطلحات القرآنية فهي الأصل وبها تصحيح المفاهيم وإعادة إدخالها في وعي العقدي والشرعي للأمة بحيث تنزل في أذهان الناس على أنها من أساس الدين وهذا من باب إرجاع المفاهيم إلى موقعها الصحيح وإحلالها في تصور على الوضع الذي جاءت عليه نصوص الوحي مما يترتب على ذلك إشاعة هذه المصطلحات واستعمالها بين الناس.
- كما سيأتي بيان ذلك في المبحث الثاني إن شاء الله تعالى.

المبحث الثاني

نماذج تطبيقية لأثر الدراسات المصطلحية القرآنية في وعي الأمة

سنعرض في هذا المبحث نماذج تطبيقية من دراسة المصطلح لمفردات من القرآن الكريم ضمن معالجات لإشكالية المصطلحات في وعي الأمة في مجالات متعددة في ثلاثة مطالب كآتي:

المطلب الأول: دور الدراسة المصطلحية في البحث القرآني

إن لدراسة المصطلح القرآني فيما يتعلق بإيهام حدود المصطلحات خصوصاً فيما يكثر دورانها لدى المشتغلين في حقل البحث والدراسات القرآنية وضبط العلاقة بينها، وهو يسهم في معالجة جملة من المصطلحات وتبيين حدودها وماهية كل منها، مثل: مصطلح الناسخ والمنسوخ، المكي والمدني، والمحكم والمتشابه وغيرها وسيقتصر التطبيق على مصطلح علوم القرآن، أصول التفسير.

نبدأ أولاً بتعريف المصطلحين وسنكتفي بإيراد بعض التعريفات المصطلحية لهما ثم بيان الفرق بينهما مع التعليق بحسب ما تقتضيه الحاجة.

أولاً: علوم القرآن:

يعد هذا الإطلاق أكثر شيوعاً وأسبق ظهوراً من (أصول التفسير)، وقد عرف مصطلح (علوم القرآن) بأكثر من تعريف هذه بعضها:

- عرفه الزرقاني بقوله: "مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه وجمعه وكتابته وقراءته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه ودفع الشبه عنه ونحو ذلك" (1).
- وقال عنه مناع القطان: "هو العلم الذي يتناول الأبحاث المتعلقة بالقرآن من حيث معرفة أسباب النزول، وجمع القرآن وترتيبه، ومعرفة المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، إلى غير ذلك مما له بالقرآن" (2).

(1) (الزرقاني، بدون تاريخ، 27/1)

(2) (القطان، 2000م، ص15).

- وأما د. حسن محمد أيوب فقال فيه: "والمراد بعلوم القرآن: كل علم يخدم القرآن أو يستند إليه ويؤخذ منه" (1).
 - وعرفه محمد أبو شهبة فقال: "علم ذو مباحث، تتعلق بالقرآن الكريم من حيث نزوله وترتيبه وكتابته وجمعه وقراءته وتفسيره وإعجازه، وناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه إلى غير ذلك من المباحث التي تذكر في هذا العلم" (2).
- عند المقارنة بين هذه التعاريف لا يكاد يلحظ المتأمل كبير فرق بينها إلا من حيث تعداد ما تيسر من العلوم والمباحث المندرجة في هذه العلوم، وظاهر أن كلا من أورد جملة مباحث في تعريفه إنما كان صنيعه من باب التمثيل لا الاستيعاب والشمول.

ثانياً - أصول التفسير:

- يعرف هذا المصطلح بأكثر من تعريف منها:
1. عرّفه السيوطي في النقاية بأنه: "علم يبحث فيه أحوال الكتاب العزيز من جهة نزوله وسنّده وآدابه وألفاظه ومعانيه المتعلّقة بألفاظه والمتعلّقة بالأحكام وغير ذلك." (3)
 2. عرفه الشيخ محمد المغربي بأنه: "هو العلم بوجوه القواعد العلمية وفروعها التي يتوقف عليها فهم مراد القرآن واستنباط معانيه وكيفية الترجيح في ذلك" (4).
 3. عرفه د. مساعد الطيار فقال: "هي الأسس والمقدمات العلمية التي تعين في فهم التفسير، وما يقع فيه من الاختلاف، وكيفية التعامل معه" (5).
 4. 4 - وعرفه د. فهد الرومي بقوله: "هو القواعد والأسس التي يقوم عليها علم التفسير. أو هو العلم الذي يتوصل به إلى الفهم الصحيح للقرآن، ويكشف الطرق المنحرفة أو

(1) (أيوب، ص 7).

(2) (أبو شهبة، ص 26).

(3) (السيوطي، ص: 20).

(4) (المغربي، ص 64).

(5) (الطيار، ص 11).

الضالة في التفسير" (1).

5. ويعرفه د. طه عابدين بقوله: "المقدمات والأسس العلمية التي ينبني عليها فهم وتفسير القرآن الكريم، وكيفية الاستفادة من أقوال المفسرين والتعامل معها عند الاختلاف" (2) الفرق بينهما: لا يختلف أحد في أن علم التفسير أحد علوم القرآن، والتفسير كعلم شأنه شأن كثير من العلوم غيره بحاجة إلى تأصيل وضبط ولم يفرد بالتأليف، ويتجاوز البعض فيطلق على علوم القرآن أصول التفسير والعكس، ويجعلهما علما واحدا: كالسيوطي، ويعلل ذلك بأن المؤلفات في علوم القرآن تتناول المباحث التي لا بد للمفسر من معرفتها للاستناد إليها في تفسير القرآن" (3).

مع أن التفسير يقتصر على أنه (بيان معاني القرآن الكريم) ويترب على ذلك أن يقال بأن كل ما يمكن أن يسهم في بيان هذه المعاني يدخل في حد أصول التفسير، وما لا فلا. ويمكن نميز بين المعارف والمعلومات والمباحث الواردة في كثير من مؤلفات علوم القرآن وكتب أصول التفسير، بتحديد ما هو من علوم القرآن أو لا بل يقتصر على أصول التفسير مرتبط بالتفسير.

ولا شك أن (أصول التفسير) أضيق وأخص من (علوم القرآن)، ويندرج فيه والعكس غير صحيح، وعليه فإن من يكتب في أصول التفسير ويضع مباحثه فإنه يستمدّها من هذه العلوم التي تفيد في تفسير الآيات. يمكننا قسمين علوم القرآن إلى قسم معارف لا تفيد المفسر معرفته ولا علاقة له بالتفسير؛ كعَدِّ الآي. وجمع القرآن الكريم، والوحي وما يتعلق به. والقسم آخر له علاقة بالتفسير، ويستفيد المفسر منه، وهذا ما ينطبق على (أصول التفسير) (4).

(1) (الرومي، 2003، ص 11).

(2) (عابدين، 1441هـ، ص 7).

(3) (القطان، 2000، ص 16).

(1) (د. حمزة حسن، ص 18) المصطلح في حقل الدراسات القرآنية (رؤية معالجة وتوجيه إشكال).

من خلال الوقوف وتقييم الدراسات التي تناولت مصطلح علوم القرآن وأصول التفسير، وبيان أثر ذلك في تجويد المعارف والعلوم والحد من حالة التكرار أو الاختلاف غير المفيد، وخاصّة في المفاهيم والاصطلاحات، بحاجة إلى ضرورة تععيد العلم وضبط حدّه ومشمولاته.

وهذا يحفظ ويبارك في الجهود المبذولة ويحقّق صياغة علمية محكمة بما يجعل كل من علوم القرآن وأصول التفسير علماً له قواعده وأساسه، وبما يضمن له الاستقلالية والفعالية.

المطلب الثاني: دور المصطلح القرآني في رد المصطلحات الغريبة

يظهر عند محاولة تبين بعض المصطلحات المنتشرة في حياتنا، وتفهمها وإدراكها، والمقارنة بينها وبين مصطلحاتنا القرآنية، نجد مصطلحات غريبة وافدة، ولذا يجب أن نعيد طرح مصطلحاتنا القرآنية بقوة، بطابعها العقدي مما يجعلها منسجمة مع نظرتنا الإسلامية العامة إلى الحياة التي نستمدّها من القرآن ويشدد الكثير من مفكري الإسلام على ردها إليه، يقول الدكتور محمد عمارة: "إن تحرير مضامين المصطلحات واكتشاف مناطق الاتفاق ومناطق التمايز في المعاني ومفاهيم هذه المصطلحات وخصوصاً تلك المصطلحات الأكثر شيوعاً والأكثر إثارة للجدل بين تيارات الفكر في عصرنا وفي واقعنا ... مهمة أساسية وأولية بالنسبة لأي حوار فكري حقيقي وجاد ينقذ حياتنا الفكرية من خطر الاستقطاب الحاد .. وتحقيق المقاصد المرجوة.. اكتشاف الأرض المشتركة وكذلك مناطق التمايز بين حضارتنا والحضارة الغربية"⁽¹⁾.

يجب أن يرجع رجال الفكر إليها، وينظروا فيما قدموا، ويتأملوا كثيراً فيما حدث، ويدفعوا بالمصطلحات القرآنية للناس من جديد، محدّدة واضحة متميزة، مقارنة مع مصطلحات الجاهلية والغريبة مع بيان الفروق الكبيرة بينهما، ونقف في هذا المبحث على صور تطبيقية نذكر النماذج الآتية:

أولاً: مصطلح القومية:

(1) معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام: ص 12-13.

إن مصطلح القومية لا يعني القوم كما في القرآن الكريم حيث نرى القوم يراد بها: الجماعة من الرجال والنساء جميعاً، وقيل: هو للرجال خاصة دون النساء، لذلك أشار قوله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾ قال ابن منظور: أي رجال من رجالٍ ولا نساء من نساء، فلو كانت النساء من القوم لم يقل ولا نساء من نساء⁽¹⁾.

ويذكر الدكتور أحمد حسن فرحات: أن مصطلح (القومية) الذي انتشر حديثاً وأصبح يدل على مذهب واتجاه، ويحمل مفهوماً فكرياً، هذا المصطلح لا وجود له في تاريخنا وثقافتنا، وإن كانت كلمة (قوم) موجدة في ثقافتنا وتراثنا، ولكنها لا تعني أكثر من مجموعة من الناس يرجعون إلى أصل واحد، ويعيشون حياة مشتركة، و(القومية) بوصفها مفهوماً، لم تظهر إلا مؤخراً، وقد ظهرت في ألمانيا أولاً، وأخذت طابعاً عرقياً معيناً متميزاً عن بقية الأجناس البشرية، وصنفت القومية الألمانية القوميات الأخرى، ووضعت لها سُلماً يتميز الناس على هذا الأساس العرقي، ثم انتشرت في أنحاء العالم، ويلاحظ أن هذه الدعوة تركز على العرق والجنس دون العقيدة والاتجاه، ومن هنا لا نجد لهذه الدعوة مجالاً في الإسلام، وإنما نجد جذورها التاريخية تعود إلى الشيطان الذي امتنع من السجود لآدم؛ لأنه خلق من طين بينما خلق هو من نار: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: 12]، وإذا كانت دعوى الشيطان صحيحة في الخلق دون الخيرية، فدعوة هؤلاء ليست صحيحة في الخيرية ولا في الخلق؛ لأن الناس خلقوا من أب واحد وأم واحدة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: 1]، وكونهم شعوباً وقبائل لا يغيّر من الواقع شيئاً: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13]، وهكذا يبرز ميزان التفاضل الذي يقوم على التقوى والعمل الصالح، ويكون اختلاف الناس شعوباً وقبائل سبيلاً للتعارف والتقارب، ولا شك أن التمييز العنصري الذي يسود العالم اليوم،

(1) لسان العرب (12/ 505).

إنما هو نتيجة من نتائج الدعوات القومية، غير أن (القومية) في ذاتها لا تحمل مضموناً فكرياً حقيقياً، ولا مذهباً اجتماعياً معيناً، وإنما هو وعاء فارغ يمكن ملؤه بأي فكرة أخرى، ومن هنا نرى أن مصطلح (القومية العربية) الآن أصبح وعاءً للاشتراكية.

إن القرآن قسّم الناس إلى قسمين على أساس العقيدة لا أساس الجنس، فهناك (الذين آمنوا) (والذين كفروا)، وهناك (المسلمون) و(الكافرون)، وتحت كل من النوعين يمكن أن يكون أقوام وأجناس مختلفة، ولكن العقيدة هي التي تجمعهم في كل الحالتين، وهكذا بدأت هذه الاصطلاحات تختفي من مجتمعاتنا بعد أن نعق غراب القومية في دار الإسلام، وكان من نتائج هذه الدعوة الخبيثة أن تفتّت دار الإسلام إلى قوميات متصارعة يقتل فيها المسلمون بعضهم بعضاً خدمةً للجاهلية، وانتصاراً للعصبية المنتنة⁽¹⁾.

إن هذا المصطلح وما يستحدث من مفاهيم لبعض الألفاظ الغازية لحياة المسلمين تتطلب الرد بكل السبل والطرق لعل بث المصطلح كما ورد به في القرآن الكريم للناس، جعله محدّدة واضحة متميزة، تسد الباب على كل عابث أو غازي فكرياً أو معرفة منحرفة.

ثانياً: مصطلح الإرهاب (الجهاد):

يرجع الجهاد إلى الجذر جَهَدَ، وتعدد معانيه نظراً لكل ما يعطيه من مترادفات؛ منها: الجهد، الوسع، الطاقة (في الرأي والنفس) والمجهود، والمشقة، والقدر من الاحتمال، والإجهد والاجتهاد. ومن معانيه أيضاً الجَهَاد؛ أي الأرض الفضاء الصلبة التي لا زرع فيها، ومنها الجهد، والمبالغة، والغاية. والجهاد بمعنى المجاهدة والقتال في سبيل الله ومحاربة الأعداء وصد الهجوم عن أمة الإسلام أحد معاني لهذا الجذر. وكلها مترادفات تستخدم في اللغة العربية في الحياة اليومية بكافة مجالاتها.

ويظهر التعصب الغربي بمستشرقيه وإعلامه استبعاد كل هذه المعاني، ولا يحتفظ منها إلا بمعنى القتال والعنف، بعد أن أضفى عليها الإرهاب ليكون ذريعة له لاقتلاع الإسلام والمسلمين. نجد في "موسوعة الإسلام" التي أصدرها المستشرقون في مطلع القرن العشرين في

(1) القرآن ومعركة المصطلحات: مقال على شبكة الألوكة.

أربعة مجلدات ضخمة ضمنوها ما في وسعهم من تحريف وعدم أمانة، نطالع تحت كلمة "جهاد" في المجلد الأول ص: 1072 ما كتبه المستشرق: "د. ب ماكدونالد"، الذي بدأ مداخلته قائلاً: "الجهاد يعني فرض الإسلام بالسلاح، إنه واجب ديني على المسلمين بصفة عامة. وينهي تلك المقالة الزاخرة بالتحريف والمغالطات بعبارة يقول فيها: "يجب على الإسلام أن يتفتت تماماً لكي يمكن استبعاد عقيدة الجهاد كلية." (1)

أما مفهوم الجهاد في الإسلام، والذي لا يمثل الجانب الحربي فيه إلا جزئية صغيرة، فهو مفهوم محدد بوضوح لا لبس فيه ومتعدد المعاني والمجالات، ومن تلك الآيات: قوله تعالى "ووصينا الإنسان بوالديه حسناً وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما.." (آية 8 العنكبوت) وجاهداك هنا بمعنى إن ضغطوا عليك، أو أجبروك. وقوله تعالى "الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم.." [التوبة: 79]، وجهدهم هنا بمعنى مجهودهم.

وورد في القرآن الكريم "جهد" واشتقاقاته 41 مرة تحمل في إجمالها أكثر من عشرة اشتقاقات متنوعة المعنى، أما الآيات الخاصة بالمعنى القتالي فمنها: قوله تعالى "كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ" [البقرة: 216] والقتال دائماً في القرآن الكريم للدفاع عن النفس ورد العدوان، ولم يرد أبداً بمعنى الهجوم.

"وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم.." [الأنفال: 60] وترهبون هنا بمعنى التحذير وإثارة الخوف، ولا تعني "الإرهاب" بمعنى القتل والإبادة كما يحلو للبعض أن يحرّفوها.

"وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم" [الأنفال: 61]
 "فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً."
 [النساء: 90].

وهكذا يظهر بوضوح من الآيات الخاصة بالجهاد أن الجهاد له أصوله وقواعده؛ فهو

(1) موسوعة الإسلام: 1/ 1072.

كره لأنه يبعد المؤمن عن ممارسة فروض الدين بالانضباط المطلوب في مواعيده، ومن خلال ما ورد من تحديد وتقنين للجهاد القتالي في الإسلام يمكن القول إنه يتسم بالنبل والأمانة وعلو النفس، فلا غدر فيه ولا خيانة ولا انتقام.

والجهاد في الإسلام يحرم على المسلم أن يبدأ بالقتال، وينص على أن يكون الرد على قدر الهجوم الذي وقع عليه، وأن يكون أساساً من أجل الدفاع؛ الدفاع عن الدين، والدفاع عن المسلمين، والدفاع عن الوطن، ولإيقاف الفتنة، لأن الفتنة عند الله أشد من القتل. أما إن قام العدو بالخيانة فهنا يحق القتل. ومع ذلك، ورغم تلاعب الكافرين وتحايلهم في الفتنة، ينص القرآن الكريم على أنهم إذا استسلموا فليتوقف القتال، وعلى المسلم أن يقبل السلم، فكل الذي يطلبه الله - سبحانه وتعالى - من الكافرين بنعمته عليهم هو ما قاله تحديداً: " وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فيه فأولئك هم الفاسقون." [المائدة:47].

وهذه النماذج تدفع لأهمية المراجعة والتأمل في الكثير فيما يفد ويستحدث من مفاهيم غازية لحياة المسلمين ويدعو كل غيور على دينه يقوم بدفاع عنها بالسبل والطرق المثلى منها بث المصطلحات القرآنية للناس من جديد، جعلها محددة واضحة متميزة، مقارنة مع مصطلحات الجاهلية والغربية الغازية.

المطلب الثالث: دور المصطلح القرآني في تحديد المصطلحات المتقاربة والتفريق بينها

يثبت تتبع اللفظ القرآني وجمع الآيات التي وردت فيها أو مشتقاتها من مادتها اللغوية، والإحاطة بتفسيرها ويفضي إلى استنباط دلالة الكلمة من خلال استعمال القرآن الكريم لها. وكثير من الكلمات القرآنية المتكررة أصبحت لها دور بارز للتمييز والتفريق بين المصطلح القرآني وغيره. ومن أمثلته:

أولاً: مصطلح التدبر:

وردت مادة (دبر) في القرآن الكريم (44) مرة، ويخص مادة التدبر منها (4) مرات والصيغ التي وردت هي: الفعل المضارع قوله تعالى ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ

وَلَيَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ { [ص:29] وأما المعنى اللغوي فمن مادة (د ب ر) تدل على آخر الشيء وخلفه، فمعظم الباب أنّ الدبر خلاف القبل، ودأبرت فلاناً: عاديته، وذلك أن يترك كلّ واحدٍ منهما الإقبال على صاحبه بوجهه، ورجلٌ أدأبرٌ: يقطع رحمه؛ وذلك أنّه يدبر عنها ولا يقبل عليها.

والتدبير: أن يعتق الرجل عبده عن دبر، وهو أن يعتق بعد موته، والتدبير أيضاً: أن يدبر الإنسان أمره، وذلك أنّه ينظر إلى ما تصير عاقبته، وتدبر الكلام: النظر في أوله وآخره، ثم إعادة النظر مرة بعد مرة؛ ولهذا جاء على وزن التفعّل كالتفهّم والتبّين، ودبر الأمر أي: فعله بعناية وعن فكر وروية.

وأما المعنى الاصطلاحي: فقد قال الجرجاني: «التدبير: عبارة عن النظر في عواقب الأمور»⁽¹⁾ وعرفه ابن القيم: «تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره وتعقله» وقيل في معناه: هو التفكير الشامل الموصل إلى أواخر دلالات الكلم ومراميهِ البعيدة. وقيل: هو تفهّم معاني ألفاظ القرآن والتفكير فيما تدل عليه آياته.

والعلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي، التدبر أخص في المعنى الاصطلاحي بالتفكير والتأمل في كلام الله تعالى. وجاء التدبر في الاستعمال القرآني بمعناه اللغوي، وهو: التفكير والنظر في أدبار الأمور.

وأما الألفاظ ذات الصلة فهي التفسير وهو اصطلاحاً: «علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية».

الصلة بين التدبر والتفسير: إن التدبر لا يكون إلا بعد معرفة التفسير الصحيح للآية، وأن المقصود الأصلي للتفسير هو: بيان معاني كلام الله تعالى، ومقصود التدبر هو: الاعتاز والاعتبار.

والتأويل: هو ردّ الشيء إلى الغاية المرادة منه، علماً كان أو فعلاً، والصلة بين التدبر والتأويل: على اعتبار أن التأويل بمعنى التفسير، فيكون الفرق بين التدبر والتأويل نفس الكلام

(1) التعريفات (ص: 54)

المذكور سابقاً.

إذا كان التأويل: ما تقول إليه حقيقة الشيء؛ إذ أنه أغلب ما تقول إليه حقيقة الشيء يرتبط بما استأثر الله بعلمه، وهذا لا يمكن وقوع التدبر فيه؛ لأنه لا يعلمه إلا الله، ومن هنا فالتدبر لا يدخل في الغيبات التي استأثر الله بعلمها؛ كزمن وقوع ما أخبر الله بوقوعه أو كيفيات هذه الغيبات، وبما أن هذا القسم لا يمكن أن يقع فيه تدبر⁽¹⁾.

وأما الاستنباط: كلمة تدل على استخراج شيء. والاستنباط اصطلاحاً: هو استخراج ما خفي من النص بطريق صحيح، والصلة بين التدبر والاستنباط: إن التدبر أصل الاستنباط، فلا يمكن الاستنباط من النص قبل تدبره، وأن التدبر يعم العلماء وغيرهم؛ لأنه متوجه للمقاصد الأصلية للقرآن، والاستنباط خاص بأولي العلم فقط؛ لأنه يكون لدقائق الأمور عند تأمل عملية الاستنباط يظهر أن فيها إعمال فكر ونظر، وقد يكون التدبر الذي ينتج عنه استنباط من آية ظاهرة المعنى لا تحتاج إلى تفسير، وقد يكون من آية ظهر معناها الصحيح، فيكون التدبر في هذه الحال بعد معرفة التفسير، فيتدبر المتدبر ما يحتويه معنى الآية من وجوه الاستنباط والفوائد، وهو تدبر لاستخراج الحكم والأحكام والآداب وغيرها مما يستنبطه المستنبط، وهذا يعني أن الاستنباطات نتيجة للتدبر⁽²⁾.

وخلاصة الأمر أن التدبر يقع في المعلوم، وهو معرفة التفسير والاستنباط من القرآن، أما ما لا يدركه العقل من الأمور الغيبية التي استأثر الله بعلمها فالواجب الإيمان بها دون الدخول في اجتهادات لبيانها، وهي مما لا يحصل بيانه من جهة العقل، ومتى وقع طلبها من جهته حصل الانحراف والزيغ في شرع الله.

وأما التفكر: تردد القلب في الشيء. يقال: تفكر إذا رد قلبه معتبراً. والتفكر اصطلاحاً: تصرف القلب في معاني الأشياء؛ لدرك المطلوب، وقيل: هو إحضار ما في القلب من معرفة الأشياء.

(1) مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر (ص: 199)

(2) مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر (ص: 202)

الصلة بين التدبر والتفكير: إن التدبر: تصرف القلب بالنظر في العواقب. والتفكير: تصرف القلب بالنظر في الدلائل. (1) وأن التفكير أظهر في النظر في الآيات الكونية الواقعة والمشاهدة، أما التدبر فهو أظهر في النظر في الآيات القرآنية.

ثانياً: مصطلح الظن:

وردت مادة (ظن) في القرآن بصيغ متعددة، بلغت (96) مرة. والصيغ التي وردت، هي: الإفراد 26 مرة {وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا} [الجن: 7] الصفة المشبهة قوله تعالى {وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ} [الفتح: 6]

والمعنى اللغوي: يقول ابن فارس: الظاء والنون أصل صحيح يدل على معنيين مختلفين: يقين وشك، فأما اليقين فقول القائل: ظننت ظناً، أي: أيقنت، والأصل الآخر: الشك، يقال: ظننت الشيء، إذا لم يتيقنه.

وأما المعنى الاصطلاحي للظن فقد تعددت تعاريفه عند علماء التفسير في ثنايا تفسيرهم لآيات الظن، وإن كان فيها اختلاف في بعض الألفاظ. فمنهم من عرفه بأنه: تجويز أمرين في النفس لأحدهما ترجيح على الآخر. وقيل: الظن ميل النفس إلى أحد معتقدين متخالفين، دون أن يكون ميلها بحجة، ولا برهان. ويذكر ابن عطية: أن الظن قاعدته الشك مع ميل إلى أحد معتقديه. وكثر إطلاقه في القرآن على الاعتقاد الباطل كقوله تعالى: {إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ} [الأنعام: 116].

وأما الألفاظ ذات الصلة بالظن فالشك: اصطلاحاً: هو اعتدال النقيضين عند الإنسان وتساويهما، وذلك وقال الجرجاني رحمه الله: «الشك هو التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاك، والصلة بين الشك والظن: أن الظن شك مع ميل إلى أحد معتقديه؛ فالنسبة بين الشك والظن هي نسبة العموم والخصوص المطلق، العموم في

(1) التعريفات (ص: 54).

طرف الشك، والخصوص في طرف الظن، فالشك يساوي عدم القطع، إذ كل علم غير قطعي فهو مشوب بالشك، أما الظن فلا يطلق إلا بشأن العلم غير القطعي المستند إلى أمانة. لذا بوسعنا أن نسمي كل ظن شكًا، ولكن ليس كل شكٍ بظن. وأما اليقين فاصطلاحًا: هو العلم بالشيء عن نظر واستدلال، وقيل: هو العلم الذي لا يقبل الاحتمال.

والصلة بين اليقين والظن: بإطلاق الظن في كلام العرب على معنى اليقين كثير، وقد ورد ذلك في كتاب الله، والعرب تطلق الظن بمعنى اليقين ومعنى الشك أيضًا، فبعض الظن يطلق مرادًا به اليقين، وأما اليقين فلا يطلق على الظن.

وأما الحساب فاصطلاحًا: أن يحكم لأحد النقيضين من غير أن يخطر الآخر بباله فيحسبه، ويعقد عليه الإصبع، وقيل: «هو قوة أحد النقيضين على الآخر كالظن، بخلاف الشك فهو: الوقوف بينهما، والعلم فهو القطع على أحدهما.

والصلة بين الحساب والظن: الظن ضرب من الاعتقاد، وقد يكون حسابان لكن ليس باعتقاد. قال أبو هلال: «أصل الحساب من الحساب، تقول: أحسبه بالظن قد مات. كما تقول: أعدّه قد مات. ثمّ كثر حتى سمي الظن: حسابًا على جهة التوسع، وصار كالحقيقة بعد كثرة الاستعمال». وقد فسرت آيات الحساب بالظن في القرآن، كما جاء التجوز عن الظن بالحساب في بعض الآيات.

وأما العلم اصطلاحًا: الاعتقاد الراجح المانع من النقيض. وقيل: إدراك الشيء بحقيقته. والصلة بين العلم والظن: العلم والظن يشتركان في كون كل واحد منهما اعتقادًا راجحًا، إلا أنّ العلم راجح مانع من النقيض، والظن راجح غير مانع من النقيض. فلمّا اشتبهتا من هذا الوجه؛ صح إطلاق اسم أحدهما على الآخر. والعرب تستعمل الظن في موضع العلم فيما كان من علم أدرك من جهة الخبر أو من غير وجه المشاهدة والمعينة، وما كان من وجه المشاهدة والمعينة فإنها لا تستعمل فيه الظن.

وأما الوهم اصطلاحًا: هو الطرف المرجوح غير الجازم من المترددين، وهو أضعف من

الظنّ وكثيراً ما يستعمل في الظنّ الفاسد، والصلة بين الوهم والظن: الوهم أضعف من الظن بل وأضعف من الشك، كما جاء ذلك في تعريف ابن جزي رحمه الله حيث قال: «الظن: ترجيح أحد الاحتمالين، وقد يقال الظن بمعنى الشك، وبمعنى الوهم الذي هو أضعف من الشك».

وورد الظن في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول: الشك والحسبان: ومنه قوله تعالى: {إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ} [الجاثية: 32]. يعني: ما نشك إلا شكاً ولسنا على يقين من قيام الساعة. وقوله تعالى: {إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَخُورَ (14)} [الانشقاق: 14]. أي: حسب أن لن يرجع بعد موته لشكه في البعث. الثاني: اليقين: ومنه قوله تعالى: {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ} [البقرة: 46]. يعني: يوقنون.

الثالث: التوهم: ومنه قوله تعالى: {يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ} [آل عمران: 154]. يعني: تتوهمون الباطلة.

بذلك يتضح لنا أهمية دراسة المصطلح في التمييز بين المفاهيم المتقاربة حيث أن دراستها تفضي إلى استنباط دلالات الكلمة من خلال استعمال القرآن الكريم لها. المتكررة يبرز لنا التمييز والتفريق بين المصطلح القرآني وغيره.

الخاتمة

في نهاية البحث يحسن بنا أن نقف على أهم النتائج والتوصيات وهي كالآتي:

- 1 توجد علاقة بين معرفة المصطلح القرآني وعصمة الأمة ووحدها؛ فلا يتصور أن يكون هناك استقرار حقيقي للأفراد والمجتمع بدون تحديد للمصطلح وتقعيد المفهوم منه، ويعتبر من أحد الأسباب في تماسك وتقارب أفراد المجتمع الإسلامي.
- 2 تثبت دراسة المصطلحات القرآنية دوراً بارزاً في تحديد مباحث علوم القرآن والتفسير، ويظهر أثر ذلك في تجويد المعارف والعلوم والحد من حالة التكرار أو الاختلاف غير المفيد، وخاصة في المفاهيم والاصطلاحات، بحاجة إلى ضرورة تقعيد العلم وضبط حدّه

ومشمولاته.

- 3 يحقّق صياغة علمية محكمة بما يجعل كل من علوم القرآن وأصول التفسير علماً له قواعده وأأسسه، وبما يضمن له الاستقلالية والفعالية.
- 4 حاجة الأمة إلى مراجعة وتأمل الكثير من المفاهيم والمصطلحات الوافدة والغازية لحياة المسلمين وذلك يدعو كل غيور على دينه أن يدافع عنها بالسبل والطرق المثلى ومنها بث المصطلحات القرآنية بين الناس وجعلها محددة واضحة متميزة، مقارنة مع مصطلحات الجاهلية والغريبة الغازية.
- 5 تفيد دراسة المصطلح القرآني التمييز بين المفاهيم المتقاربة حيث أن دراستها تفضي إلى استنباط دلالات الكلمة من خلال استعمال القرآن الكريم لها خصوصاً المتكررة حيث يبرز لنا التمييز والتفريق بين المصطلح القرآني وغيره.
- 6 توصي الدراسة أن تخصص الجامعات والمراكز العلمية عناية بالأبحاث المصطلحية أو إقامة المسابقات العلمية بغية تجويد البحث في المصطلح القرآني أو الشرعي.

المصادر والمراجع:

- التهانوي، محمد بن علي، (1996م)، كشف اصطلاحات الفنون والعلوم ط/ 1، بيروت: مكتبة لبنان.
- الجرجاني، علي بن محمد، (1403هـ - 1983م)، كتاب التعريفات، ط/ 1، لبنان: دار الكتب العلمية بيروت.
- حمزة حسن وسعيد، (2023م)، مجلة الكتب البحثية، المصطلح في حقل الدراسات القرآنية (رؤية معالجة وتوجيه إشكال)، كتاب المحفل العلمي الدولي العاشر.
- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، (1412هـ —) المفردات في غريب القرآن، ط/ 1، دمشق: دار القلم، الدار الشامية.
- الرومي، فهد بن عبد الرحمن، (1424هـ - 2003م)، دراسات في علوم القرآن الكريم، ط/ 12.

الرُّزْقَانِي محمد عبد العظيم، (1996)، *مناهل العرفان في علوم القرآن*، ط / 3، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (1394هـ / 1974 م)، *الإتقان في علوم القرآن*، ط / 1، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ابن شهبة، أبو بكر بن أحمد قاضي شهبة، (1407 هـ)، *طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ط / 1*، بيروت: عالم الكتب.

الطيّار، مساعد بن سليمان، (1427 هـ)، *مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر ط / 2*، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.

ابن عابدين، محمد علاء الدين أفندي، (1421 هـ - 2000 م)، *حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة*، ط / 3، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر.

العسكري، الحسن بن عبد الله، (1408 هـ)، *الأوائل*، ط / 1، طنطا: دار البشير.

علي، جمعة محمد، (1417 هـ - 1996 م)، *المصطلح الأصولي ومشكلة المفاهيم*، ط / 1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

ابن فارس، أحمد بن فارس، (1418 هـ - 1997 م)، *الصاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها*، ط / 1، بيروت لبنان.

ابن فارس، أحمد بن فارس، (1399 هـ - 1979 م)، *معجم مقاييس اللغة*، ط / 1، لبنان: دار الفكر.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، (1985 م)، *كتاب العين*، ط / 1، بغداد: دار ومكتبة الهلال.

فرحات، أحمد حسن، (1389 هـ)، *القرآن ومعركة المصطلحات*، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، العدد 1 - السنة: 2.

الكفوي، أيوب بن موسى، *الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية*، ط / 2، بيروت: مؤسسة الرسالة.

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مصر، موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة.

المغربي، محمد بن أحمد، (2015م)، علم أصول التفسير - دراسة في المصطلح ومنهج البحث فيه - مجلة مؤتمر مؤسسة "مبدع"، فاس، 2020.

مقراني، عادل، (2021)، مفهوم المصطلح القرآني وخصائصه، مجلة اللغة العربية، المجلد 24 العدد الرابع.

مناع بن خليل القطان، (1421هـ - 2000م)، مباحث في علوم القرآن، ط/3، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

ابن منظور، محمد بن مكرم، (1414 هـ)، لسان العرب، ط/3، بيروت: دار صادر.

أحكام علاقة المسلم بالآخر

في القرآن الكريم وضوابطها

د. دليلة بوزغار

أستاذ محاضر أ

قسم الفقه وأصوله كلية الشريعة والاقتصاد

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قسنطينة الجزائر

bouzeghar70@gmail.com

© نُشر هذا البحث وفقاً لشروط الرخصة Attribution international (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أجريت عليه.

للاقتباس: بوزغار، دليلة، أحكام علاقة المسلم بالآخر في القرآن الكريم وضوابطها، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، عدد خاص للمؤتمر القرآني الدولي الثالث المجلد (2)، سبتمبر 2025: 75-110.

DOI: <https://doi.org/10.61821/3rdconfv2.0205>

الملخص:

يتناول هذا البحث الموسوم بـ "أحكام علاقة المسلم بالآخر في القرآن الكريم وضوابطها" التساؤل حول طبيعة العلاقة الأصلية بين المسلم والآخر: هل هي قائمة على السلم أم الحرب؟ كما يسعى إلى تحليل كيفية تفسير النصوص القرآنية الداعية إلى الجهاد في حال اعتُبر السلم هو الأصل، وكيف تفسر الآيات الحاثّة على البر والقسط إلى غير المسلمين في حال كانت الحرب هي الأصل؟ وتبحث الدراسة كذلك في مدى إطلاق هذه العلاقة أو تقييدها بضوابط وشروط، بالإضافة إلى بيان الموقف القرآني من قضية التطبيع مع الكيان الصهيوني في العصر الحاضر. وقد اعتمدت الدراسة على: المنهج الاستقرائي، والتحليلي، والاستنباطي، بهدف الوصول إلى الموقف الشرعي المستند إلى نصوص القرآن الكريم، والذي يُحدّد إطار علاقة المسلم بغيره. وخلصت الدراسة إلى: أن العلاقة بين المسلم والآخر تقوم على السلم مع من لا يُبادر بالعداء، وعلى الحرب مع من يُعلن العداء. وأن التفسير الصحيح للآيات الداعية إلى الحوار والسلم مع غير المسلمين يختص بمن لم يقف في وجه الدعوة الإسلامية، في حين تنطبق آيات الإعداد والجهاد وترهيب العدو على من أظهر العداء وناصب المسلمين الحرب. كما أكدت الدراسة أن هذه العلاقة ليست مطلقة، بل تخضع لضوابط وشروط. أما التطبيع مع الصهاينة، فهي خديعة معاصرة ترمي إلى ترويح الاستسلام وخدمة الأطماع الصهيونية ومن والاهم.

الكلمات المفتاحية: أحكام، علاقة، المسلم، الآخر، ضوابط.

“The Rulings Governing the Relationship Between Muslims and Others in the Holy Qur’an and Its Guidelines”

Dr. Dalila Bouzeghar

Professor Lecturer – Class A

Department of Jurisprudence and Usul al-Fiqh

Faculty of Sharia and Economics

Emir Abdelkader University of Islamic Sciences

Constantine, Algeria

©This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.

Citation: Bouzeghar, Dalila, “The Rulings Governing the Relationship Between Muslims and Others in the Holy Qur’an and Its Guidelines”, Journal of the University of Holy Quran and Islamic Sciences, Special Issue of the third International Qur’anic Conference, Volume (2), September 2025:75-110.

DOI: <https://doi.org/10.61821/3rdconfv2.0205>.

Abstract:

This study, entitled “The Rulings Governing the Relationship Between Muslims and Others in Holy Qur’an and Its Guidelines”, addresses a fundamental question: Is the original nature of the relationship between Muslims and others one of peace or war? It seeks to examine how Qur’anic texts that call for jihad and sternness toward disbelievers can be reconciled with the premise that peace is the default position, and how the verses that urge kindness and justice toward non-Muslims can be understood if war is presumed to be the foundational state. The study also explores whether this relationship is absolute or conditional, and investigates Qur’an’s stance on normalization with the Zionist entity in the contemporary era.

The research adopts multiple methodological approaches—namely, inductive, analytical, and inferential—in order to derive a sound Islamic legal framework based on Qur’anic texts that defines and regulates the Muslim’s relationship with others.

The study concludes with several key findings, most notably: the correct Islamic legal position is that the relationship between

Muslims and others is based on peace with those who seek peace and on war with those who initiate hostility. The accurate interpretation of the verses calling for dialogue and peaceful relations applies to those who do not oppose the Islamic call. Conversely, the verses that call for preparing strength, intimidating the enemy, and engaging in jihad pertain to those who show open hostility toward Muslims and seek to obstruct the Islamic message. The relationship between Muslims and others is not absolute; it is governed by specific guidelines and conditions. Regarding the issue of normalization with the Zionists, the study concludes that it is a contemporary deception aimed at promoting surrender and advancing the ambitions of the Zionist entity and its allies.

Keywords: Rulings, Relationship, Muslim, Other, Guidelines.

المقدمة:

القرآن الكريم هو كلام الله العربي المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليكون بشيراً ونذيراً للعالمين، وهو المعين الذي لا ينضب في توجيه الأمة واستقامة أمرها داخلياً وخارجياً على مستوى الأفراد والدول سواء تعلق الأمر بعلاقة الإنسان بربه أو علاقته بأخيه الإنسان مسلماً أو غير مسلم.

ومن ثم فقد كانت علاقة المسلم بالآخر منتظمة في كتاب الله تعالى من خلال الكثير من الأحكام الشرعية والضوابط لما يحقق مقاصد هذه العلاقة دون إفراط ولا تفريط.

أهمية الموضوع وإشكاليته:

الإسلام دين الأمن والسلام العالمي، وهذا ما أكدته نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، والتجربة الإسلامية الأولى، وفي الوقت نفسه نجده يقوم على عقيدة الولاء والبراء، ووجوب إعداد القوة، وتشريع الجهاد في سبيل الله بكل أنواعه. وفي الواقع التطبيقي العملي نجد انقسام المسلمين إلى فريقين؛ فريق يسلم الجميع دون حدود أو ضوابط، بل وصل بعضهم إلى حد التطبيع العلني مع الصهاينة المحتلين للأراضي الإسلامية والمدنسين لمقدساتهم تحت شعار حفظ السلم والأمن والاستقرار في المنطقة، وفريق آخر بين بين في تعامله مع غير

المسلمين تحت مسمى العلاقات الدبلوماسية والمصالح الاقتصادية وغيرها. ومن ثم يطرح الإشكال هل الأصل في علاقة المسلم بالآخر السلم أم الحرب؟ وكيف تكيف النصوص القرآنية الداعية للجهاد والإغلاظ على الكفار إذا كان الأصل فيها السلم؟ وكيف تفسر النصوص القرآنية التي تحت على البر والقسط بغير المسلم إذا كان الأصل فيها الحرب؟ وإذا أقرت هذه العلاقة فهل هي مطلقة أم مقيدة بضوابط وشروط؟ وما موقف القرآن الكريم من التطبيع مع الصهيانية في هذا العصر وفي ظل أحداث غزة وما نتج عنها؟

أسباب اختيار موضوع الدراسة

- تطبيع كثير من الدول العربية والإسلامية مع الكيان الصهيوني لحفظ المصالح المشتركة وتحقيق الأمن والاستقرار للمنطقة.
- ظهور فتاوى شرعية لصبغ تلك العلاقات بالطابع الشرعي بالاستناد إلى النصوص القرآنية الداعية للسلم والحوار والبر والقسط.
- تحذير الكثير من النصوص الشرعية من اتخاذ اليهود والنصارى أولياء من دون المؤمنين
- ازدياد عداوة الصهيانية للمسلمين بارتكابهم أبشع الجرائم على مرأى ومسمع من العالم كله في حق المدنيين العزل في قطاع غزة ولبنان واليمن و.... تحت شعار الدفاع عن النفس.
- التأييد العلني لأمريكا والدول الغربية للإبادة الجماعية لأهل غزة بحجة الدفاع عن إسرائيل مع رفعهم لشعار التعايش السلمي.
- فشل المنظمات الدولية الحقوقية في ردع إسرائيل وإيقافها عن فسادها وإفسادها في الأرض.

أهداف الدراسة

- بيان الموقف الشرعي الصحيح والضابط لعلاقة المسلم بالآخر المستند على نصوص كتاب الله عز وجل.
- بيان التفسير الصحيح لنصوص القرآن الكريم الداعية للسلم والحوار مع غير المسلم

وضوابط ذلك.

- بيان التفسير الصحيح للنصوص القرآن الكريم الداعية لإعداد القوة وإرهاب العدو والجهاد في سبيل الله.
- بيان حدود علاقة المسلم بالآخر وشروطها وضوابطها.
- كشف الحقائق المزعومة من وراء التطبيع مع الصهاينة.

منهج الدراسة:

تقوم هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي لمختلف آي القرآن الكريم المتعلقة بضبط علاقة المسلم بالآخر في السلم والحرب لاستنباط الأحكام الشرعية منها بعد تحليل لآراء العلماء وبيان لوجه استدلالهم بها.

الدراسات السابقة:

قد تكلم كثيرًا الفقهاء في علاقة المسلم بغير المسلم، كل يدعم الرأي الذي يميل إليه، لكن لا توجد - حسب اطلاعتي - دراسة شاملة لتأصيل علاقة المسلم بالآخر وبيان ضوابطها باستقراء نصوص القرآن وإسقاط ذلك على ظاهرة التطبيع مع الصهاينة في هذا العصر خاصة إلا بعض المقالات التي أفدت منها في ضبط مفهوم التطبيع وحكمه مع الصهاينة:

1. التطبيع استراتيجية الاختراق الصهيوني، غسان حمدان، مجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلامي، العدد 47.
2. التطبيع العربي مع اسرائيل وأثره على حقوق الشعب الفلسطيني، ربيع رافعي مجلة القانون والعلوم السياسية المجلد 08 العدد 01 (2022).
3. عادل الراجحي، التطبيع.. أصبح العدو اللدود صديقًا حميمًا.

خطة الدراسة

المبحث الأول: تأصيل علاقة المسلم بالآخر السلم أم الحرب.
المبحث الثاني: أحكام علاقة المسلم بالآخر.

المبحث الثالث: مفهوم التطبيع وحكمه مع الصهاينة.

المبحث الرابع: ضوابط علاقة المسلم بالآخر وشروطها.

المبحث الأول

تأصيل علاقة المسلم بالآخر السلم أم الحرب؟

استغرقت قضية أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم حيناً كبيراً في فهم الباحثين المسلمين حتى غدا البحث فيها أساساً لمعظم من تحدثوا عن العلاقات الخارجية في الإسلام، وقد انقسموا إلى فريقين أحدهما بنى أصل العلاقة على أساس السلم، والآخر على أساس الحرب، وقد استند كل منهما إلى أدلة وحجج تدعم رأيه من القرآن والسنة والواقع العملي لأحداث السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء من بعده صلى الله عليه وسلم.

الفرع الأول: أصحاب الرأي الأول وأدلتهم

قال تعالى: ﴿وَقَتِّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَفْتِنُوكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة: 190).

وقال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة: 256).

وقال تعالى: ﴿إِنْ أَعْرَضُوا عَنْكُمْ فَلَمْ يَقْتُلُواكُمْ وَأَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ (النساء: 90) وفي السياق نفسه: ﴿إِنْ لَمْ يَغَارُواكُمْ وَيَقُولُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَأَقْلُبُوهُمْ حَيْثُ تَفْتَنُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ (النساء: 91).

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَصَرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: 61 - 62، حتى عند إرادة الخداع يحث القرآن المسلمين على أن يستجيبوا لدعوة السلم.

وفي سورة التوبة، وهي سورة إعلان الحرب على الشرك وأهله الناقضين للعهود، الناكثين للأيمان ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتْلُغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (التوبة: 6).

وفيها: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ فَأَسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة: 7).

وقال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ النحل: 125.

وفي السورة نفسها: ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ النحل: 127.

وقال تعالى: ﴿ لَا يَنْهَيْكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ الممتحنة: 8.

هذا الآيات كلها وغيرها كثير يستدل بها المعتدلون على أنّ الإسلام يسالم من يسالمه، ويعادي من يعاديه، ولا يقاتل إلا من قاتله أو صد عن سبيل دعوته، وفتن المؤمنين بها من أجل دينهم.

ويردّ على ذلك إنّ هذه الآيات كلها (منسوخة). نسختها آية أو جزء من آية في سورة التوبة، وهي ما أطلق عليه (آية السيف).

الفرع الثاني: أصحاب الرأي الثاني وأدلتهم

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضَرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ التوبة: 5.

وقوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ البقرة: 193.

وقوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ الظَّالِمِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَعَنَ اللَّهُ عَمَلَهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ الأنفال: 39.

حيث وجد من استدل بهذه الآيات أن غاية الجهاد القتالي مع المشركين هي إزالة الكفر والشرك، ولا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف، وأما أهل الكتاب فلا يقبل منهم إلا

الإسلام أو الجزية، مستدلين بقوله تعالى: ﴿ قَنِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ التوبة: 29.

الفرع الثالث: الجمع والترجيح بين الآراء

ولعلّ الرأي الجامع للهدف البعيد لكل من الرأيين هو بناء أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم على أساس الدعوة إلى الله القائمة على الحكمة والموعظة الحسنة، لتحديد سياسة التعامل معهم بعد ذلك حسب رد الفعل من دعوتهم إلى الله⁽¹⁾، وهذا ما تؤكد كثير من النصوص الشرعية، وتدعمه السيرة النبوية العملية من خلال تعامله الخارجي، حيث بدأ عليه الصلاة والسلام بمراسلته للملوك والأمراء يدعوهم إلى لإسلام؛ وقد اتحدت هذه الرسائل في الغاية من إرسالها وهي الدعوة إلى توحيد الله تعالى، وقد اختار لها رسالاً من أصحابه ذوي معرفة وخبرة، واتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم في كل رسالة أسلوب خطاب يتناسب مع المرسل إليه وتضمنت نصوص هذه الرسائل التبشير بالسلم في حالة إسلامهم والتحذير من القتال والهلاك في حالة الإصرار على كفرهم⁽²⁾، وقد اختار النبي صلى الله عليه وسلم مراسلة الحكام وليس الرعايا، وذلك لأن الحكام في تلك العصور كانت لهم سيطرة قوية على رعاياهم ولا شك أنّ الزعيم أو الحاكم إذا قبل الدعوة لنفسه فإنّها ستجد لها رواجاً في منطقة نفوذه لأنها تأمن مصادرة السلطان فوق سهولة أخذ الناس بها من بعده⁽³⁾.

فكانت نتائجها إيجابية جداً، حيث أظهر الرسول في سياسته الخارجية دراسة سياسية فاقت التصور وأصبحت مثلاً لمن جاء بعده من الخلفاء، كما أظهر قوة وشجاعة فائقتين فلو كان غير رسول الله صلى الله عليه وسلم لخشي عاقبة ذلك الأمر، لاسيما أن بعض هذه

(1)- منجود، مصطفى محمود، الأبعاد السياسية لمفهوم الأمن في الإسلام، 497.

(2)- انظر نصوص هذه الرسائل في: ابن كثير، إسماعيل، البداية والنهاية، 19 / 114، المباركفوري، صفي الرحمن الرحيق المختوم، 304-313.

(3)- مذكور، محمد سلام، معالم الدولة الإسلامية، 63.

الكتب قد أرسلت إلى ملوك أقوياء على تخوم بلاده كهرقل وكسرى والمقوقس، ولكن حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم وعزيمته على إبلاغ دعوة الله، وإيمانه المطلق بتأييد الله سبحانه وتعالى، كل ذلك دفعه لأن يقدم على ما أقدم عليه...

وبذلك تكون هذه الرسائل هي المنطلق الأول لتحديد علاقة المسلمين بغيرهم "المنطق الاتصالي هو نقطة البداية في ممارسة الدولة الإسلامية لوظيفتها العقيدية خاصة في أعمال مبدأ الدعوة في خارج الدولة... ويمكن أن تعدّ بدايات التأسيس لهذا الشكل النظامي هي مجموعة الرسائل التي أرسلها للدعوة إلى الإسلام خارج الدولة الإسلامية الأولى بالمدينة..."⁽¹⁾.

وقد سار الصحابة والخلفاء من بعده صلى الله عليه وسلم على النهج نفسه، فلا يقررون القتال إلا بعد تبليغ الدعوة إلى الله بالطرق السلمية وإعطاء غيرهم فرصة تحقيق السلام والأمن، وقد تجسّد ذلك عملياً في الفتوحات الإسلامية تحت شعار مقولة رباعي بن عامر رضي الله عنه: "الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام"⁽²⁾.

فيكون تبليغ الدعوة الإسلامية واجباً على الدولة الإسلامية عبر العصور بكل الوسائل المشروعة والمتاحة؛ "...إنّ الدولة الإسلامية في ممارستها لوظيفتها العقيدية في المجال الخارجي إزاء الدول الأخرى تنطلق من مبدأ الدعوة باعتبارها أساس العملية الاتصالية، على أساس عرض الرسالة على الأنظمة والقيادات الحاكمة مستعملة كافة أدوات الإقناع ووسائله المتطورة لخلق الإيمان، فإذا تحقق ذلك وقبلت بتلك القيادات والأنظمة أصبحت مسلمة، وينتقل عرض الدعوة إلى الفئات المحكومة، فإذا رفضت الأنظمة الدعوة، فإنّ الدولة الإسلامية تطالبها بالسماح لها بعرض دعوتها على الفئات المحكومة وعدم ممارسة أي ضغط عليهم بصدد الإقناع بهذه العقيدة - فإذا تم ذلك كان بها - وإذا رفضت الأنظمة السماح عند

(1) قويسى، حامد عبد الماجد، الوظيفة العقيدية للدولة الإسلامية، 347 وما بعدها.

(2) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، 2/ 401، ابن كثير، إسماعيل، البداية والنهاية، 22/ 117.

ذلك، فإنّ للدولة الإسلامية مشروعية استعمال كافة الأدوات بما في ذلك الأداة القتالية ويكون ذلك مشروعاً لإقرار حرية الاعتقاد وحماية الإقناع الحر الذي هو فرع منه والمقدمة الحقيقية لاعتناق العقيدة⁽¹⁾، ويقول سيف الدين عبد الفتاح إسماعيل: "إنّ التوحيد كصياغة حاملة لأصول النظام المعرفي وعناصر التكوين الحضاري، إنما يرى التعامل الدولي في تأسيسه على الدعوة كأصل من أصول المعرفة والتعارف حتى لا يعذر أحد بجهل، إنّ أمة الدعوة تحقق أصول التوحيد في إرساء قيم التأسيس من حرية وعدل وسعة ويسر، إنّ مقولة ربي بن عامر - جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد - مقولة مفتاحية في هذا المقام"⁽²⁾.

وبذلك تكون علاقة المسلمين بغيرهم قائمة على أساس الدعوة إلى الله بالطرق السلمية في البداية، فإن وقف في وجهها ومنع نشرها، انتقل المسلمون إلى استعمال القوة في وجه من ناصبهم العدا وتعرض لدعوتهم، فيكون الرأي القائل بأن الأصل هو السلم أقرب إلى منهج الدعوة إلى الله؛ فلا سلم بمعنى الاستسلام والخضوع، بل مع ممارسة الدعوة إلى الله ولا اعتداء على الغير ليدخلوا في الإسلام بالقوة؛ قال الزحيلي: "والواقع أنّ الأصل في علاقات المسلمين بغيرهم هو السلم والحرب أمر طارئ على البشرية وعلى المسلمين لدفع الشر والعدوان وحماية الدعوة لا للغلب أو المخالفة في الدين كما قرر جمهور الفقهاء، والدعوة إلى الإسلام تكون أولاً بالحجة والبرهان لا بالسيف والسنان لأن الإسلام يجنح دائماً للسلم لا للحرب، وهذا هو الأمر المقرر لدى فقهاء القانون الدولي حيث يقولون إنّ الحالة الطبيعية بين الدول هي السلام، والحرب حالة طارئة وقتية عارضة مهما كان سببها"⁽³⁾.

وقد عرض ظافر القاسمي آراء أكثر من 17 شخصية حول حقيقة هل الحرب هي

(1) قويسى، حامد عبد الماجد، الوظيفة العقيدية للدولة الإسلامية 339.

(2) إسماعيل، سيف الدين عبد الفتاح، مدخل القيم في إطار مرجعي لدراسة العلاقات الدولية في الإسلام، 2/ 115-116.

(3) الزحيلي، وهبة مصطفى، العلاقات الدولية في الإسلام، 94.

الأصل أم السلم⁽¹⁾، ثم خلص في الأخير بترجيح النظرية الثانية بأنّ الأصل هو السلم وليس الحرب ولكن يجب إعداد العدة لقتال إسرائيل وكل من عاونها لأنّه كما قال: "...ومتى عرفوا أنّك قادر على الحرب وأنّك جاد في خوضها عدلوا عن مخالفة إسرائيل ومعونتها وخطبوا ودك والتزموا جانبك ووفروا عليك وعلى أنفسهم الحرب وويلاتها"⁽²⁾.

(1) القاسمي، ظافر، الجهاد والحقوق الدولية العامة في الإسلام، 160-231.

(2) - القاسمي، ظافر، الجهاد والحقوق الدولية العامة في الإسلام، 231.

المبحث الثاني

أحكام علاقة المسلم بالآخر

إذا كان الراجح هو تأسيس علاقة المسلم بالآخر بناء على موقفه من الدعوة إلى الله فإنّ التعامل معهم تضبطه مجموعة من الأحكام الشرعية بحسب ذلك الموقف كما جاء عن ابن عباس - رضي الله عنه - « كَانَ الْمُشْرِكُونَ عَلَى مَنْزِلَتَيْنِ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُؤْمِنِينَ كَانُوا مُشْرِكِي أَهْلِ حَرْبٍ يُقَاتِلُهُمْ وَيُقَاتِلُونَهُ وَمُشْرِكِي أَهْلِ عَهْدٍ لَا يُقَاتِلُهُمْ وَلَا يُقَاتِلُونَهُ »¹؛ فالآخر إذن يشمل: الكافر المحارب، والذمي، والمعاهد، والمستأمن ولكل من هؤلاء أحكام خاصة به كما يأتي ببيانها:

الفرع الأول: أحكام علاقة المسلم بالكافر غير المحارب

وهي تشمل الذمي والمعاهد والمستأمن وهؤلاء جميعاً يكون التعامل معهم وفقاً لأحكام اعتقادية وأخلاقية وعملية مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله والممارسة الفعلية للدولة الإسلامية الأولى، ولكن سأقتصر على ما جاء في كتاب الله كما يأتي:

1. الأحكام الاعتقادية:

إنّ المجتمع الإسلامي مجتمع يقوم على عقيدة، منها تنبثق نظمه وأحكامه وآدابه وأخلاقه التي تحكم علاقة المسلم بأخيه المسلم أو بغير المسلم؛ ومن ثم إذا وجد صنف من أصناف غير المسلمين في المجتمع الإسلامي بصفة شرعية فإنّ له أن يعيش في هذا المجتمع آمناً مطمئناً على دينه، ونفسه، وعقله، ونسله وماله مثله مثل بقية المواطنين المسلمين، وذلك لأنّ المسلم ينطلق في تعامله معه من مفاهيم فكرية مصدرها عقيدته التي لا يمكن أن يخالف مقتضياتها مهما كانت الأحوال، منها ما يأتي:

* اعتقاد المسلم بكرامة الإنسان

يعتقد المسلم بكرامة الإنسان أيّاً كان دينه أو جنسه أو لونه لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا

(1) البخاري، محمد إسماعيل، صحيح البخاري، 48/7، رقم، 5286، كتاب الطلاق، باب نكاح من أسلم من المشركات وعدتهن.

بَنَىٰ آدَمَ وَحَمَلَتْهُمُ فِي الْأَرْحَامِ وَوَزَقْنَهُمْ مِنَ الطَّلَبَاتِ وَفَضَّلْنَهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ الإسراء: 70 وهذه الكرامة توجب لكل إنسان حق الاحترام والرعاية، ومن ثم عدم الاعتداء عليه، فيأمن على ضرورياته الخمس.

* اعتقاد المسلم بأن الناس جميعاً أمة واحدة

فقد صرّحت كثير من الآيات القرآنية أنّ النَّاس جميعاً أمة واحدة تجمعها الإنسانية منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ النساء: 1، وقال أيضاً ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَىٰ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ البقرة: 213، فبين سبحانه وتعالى أنّ الأصل هو أنّ الإنسانية أمة واحدة وأنّ الاختلاف عارض ومنشؤه اختلاف الأهواء، لذلك أرسل الله الرسل بالهداية ليحكموا بأمر الله في هذا الاختلاف (1)، وبالتالي يصبح هذا الاختلاف نعمة لا نقمة؛ فهو يدل على قدرة الله الخارقة في خلق الإنسان وفي الوقت نفسه يعود بالخير العميم على الناس جميعاً لأن هذا الاختلاف من المفروض أن يؤدي إلى التعارف ومن ثمّ إلى التعاون على الخير ومنع الأذى؛ كما أراد الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات: 13، وقال تعالى أيضاً ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ المائدة: 2.

* اعتقاد المسلم أنّ اختلاف الناس في الدين واقع بمشيئة الله تعالى

بيّن الله الطريق المستقيم الذي من سلّكه نجا في الدنيا والآخرة، وزوّد الإنسان بالعقل

(1) السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور، 582/1، البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 497/1.

كأداة توصله إذا أحسن استعمالها إلى هذا الطريق، وأرسل الأنبياء والمرسلين مبشرين ومنذرين وبسط أدلة وجوده في الكون المنشور والكتاب المسطور ثم منح الجميع الحرية والاختيار فيما يفعل ويدع، فقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ الكهف: 29 وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ هود: 118، فالمسلم يوقن أنّ مشيئة الله لا راد لها ولا معقب، كما أنّه لا يشاء إلا ما فيه الخير والحكمة، علم الناس ذلك أم جهلوه، ولهذا لا يفكر المسلم يوماً أن يجبر الناس ليصيروا كلهم مسلمين، لذلك كانت حرية الاعتقاد أمراً ثابتاً في الإسلام.

* اعتقاد المسلم أنّه ليس مكلفاً أن يحاسب الآخرين

يعتقد المسلم أنّه ليس مكلفاً أن يحاسب الآخرين على كفرهم أو يعاقب الضالين على ضلالهم، فهذا أمر متروك للخالق كما فعل الحبيب المصطفى بأمر منه سبحانه العليم الخبير بحبايا عباده، فقال: ﴿وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ اللَّهُ يُحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ الحج: 68 - 69.

* اعتقاد المسلم أنّه مأمور بالعدل

يعتقد المسلم أنّ الله يأمر بالعدل ويجب القسط ويدعو إلى مكارم الأخلاق ولو مع المشركين ويكره الظلم ويعاقب الظالمين ولو كان الظلم من مسلم لكافر، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ المائدة: 8، فالعدل لا ينسخ ولا يؤجل ولا يسقط، بل إنّ الخالق تعالى يأمرنا بالعدل هذا أمر لعامة الناس...⁽¹⁾.

* اعتقاد المسلم بعالمية العقيدة الإسلامية وعمومية الدعوة

فالإسلام هو آخر الأديان السماوية ومحمد خاتم الأنبياء والمرسلين الذي أرسل إلى الناس كافة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

(1) حسين، عدنان السيد، العلاقات الدولية في الإسلام، 34.

لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ سبأ: 28، وقال جل شأنه ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ الأعراف: 158، وعموم الإسلام هذا غير مقصور على فترة معينة من الزمن أو جيل خاص من البشر وإنما هو عموم في الزمان كما هو عموم في المكان. فانطلاقاً من تلك المفاهيم الفكرية المستنبطة من العقيدة الإسلامية تتأسس علاقة المسلم بغير المسلم في السلم والحرب سواء كان يعيش معه داخل المجتمع الإسلامي أو خارجاً عنه، ويتقرر له ما يسمى اليوم بحقوق الإنسان، والتي فاقت فيها الشريعة الإسلامية كل القوانين الوضعية نظرياً وتطبيقاً⁽¹⁾.

2. الأحكام الأخلاقية

المسلم مخاطب بالتزام أحسن الأخلاق مع أخيه في الإنسانية الذي يعيش معه في المجتمع الإسلامي دون تمييز بينهما مادام ملتزماً بواجباته التي حددها الشرع الإسلامي؛ منها ما يأتي:

* البر والقسط إليهم

يتعايش المسلم مع غير المسلم فيبره ويقسط إليه ويكون ذلك سبب حب الله له مادام غير المسلم لم يبدأ المسلم بحرب ولم يخرج من دياره ولا ظاهر على إخراجهم عملاً بقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ أَنْ يَبْرُؤَهُمْ وَتُقَسِّطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ الممتحنة: 8، قال ابن الجوزي: "هذه الآية رخصة في صلة الذين لم ينصبوا الحرب للمسلمين وجواز برهم، وإن كانت المولاة منقطعة عنهم"⁽²⁾، وأضاف ابن العربي معنى مغايراً لما قال به جل المفسرين لكلمة القسط في الآية بأن معناه العدل... أما القسط في هذه الآية فهو - عند ابن العربي - الإحسان بالمال: "وتقسطوا إليهم أي تعطوهم قسطاً

(1) نريمان عبد الكريم أحمد، معاملة غير المسلمين في الدولة الإسلامية، 17 وما بعدها، الجحني، علي فايز، الحماية الأمنية لحقوق الإنسان، 2 / 453 - 457.

(2) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير 8 / 6-7.

من أموالكم على وجه الصلة وليس يريد به العدل، فإنّ العدل واجب في من قاتل وفي من لم يقاتل -قاله ابن العربي-⁽¹⁾.

* التسامح معهم

خلق التسامح من أعظم الأخلاق التي يتحلى بها المسلم لأنّ الدين الذي يؤمن به أصلاً هو دين السماحة كما قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا بُعِثْتُ بِالْحَنَفِيَّةِ السَّمْحَةِ»⁽²⁾، لذلك اتصف المسلمون بتسامح فريد من نوعه مع غير المسلمين بحيث لم يتوقف عند عدم إكراههم على اعتناق دينهم وهم يعيشون في مجتمع إسلامي، بل تعطى لهم الحرية الكاملة في ممارسة طقوس دينهم التي يعتقدونها مع اعتقاد المسلم بحرماتها، ومطالبتهم فقط بمراعاة شعور المسلمين وحرمة دينهم؛ قال القرضاوي: "... وهذا ما كان عليه المسلمون مع المخالفين من أهل الذمة إذا ارتفعوا إلى الدرجة العليا من التسامح فقد التزموا كل ما يعتقد غير المسلم أنّه حلال في دينه ووسعوا له في ذلك ولم يضيقوا عليه بالمنع والتحریم وكان يمكنهم أن يحرموا ذلك مراعاة لشرعية الدولة ودينها ولا يتهموا بكثير من التعصب أو قليل، ذلك أنّ الشيء الذي يحله دين من الأديان ليس فرضاً على أتباعه أن يفعلوه فإذا كان دين المجوسي يبيح له الزواج بأمه أو أخته، فيمكنه أن يتزوج بغيرهما ولا حرج، وإذا كان دين النصراني يحل له أكل الخنزير فإنه يستطيع أن يعيش عمره دون أن يأكل الخنزير، وفي لحوم البقر والغنم والطير متسع له، ومثل ذلك الخمر، فإذا كانت بعض الكتب المسيحية قد جاءت بإباحتها أو إباحة القليل منها لإصلاح المعدة، فليس من فرائض المسيحية أن يشرب المسيحي الخمر فلو أنّ الإسلام قال للذميّين: دعوا زواج المحارم وشرب الخمر وأكل الخنزير مراعاة لشعور إخوانكم المسلمين لم يكن عليهم في ذلك أي حرج ديني لأنهم إذا تركوا هذه الأشياء لم يرتكبوا في دينهم منكراً، ولا أدخلوا بواجب مقدس...، ومع هذا لم يقل الإسلام ذلك، ولم يشأ أن يضيق على غير

(1) ابن العربي، محمد بن عبد الله أبو بكر، أحكام القرآن، 4 / 228.

(2) الطبراني سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، 8 / 170، المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال 11 / 601.

المسلمين في أمر يعتقدون حله وقال للمسلمين: اتركوهم وما يدينون!"⁽¹⁾، وفي الوقت نفسه أباح للمسلم الزواج من غير المسلمة إذا كانت من أهل الكتاب وأباح أكل طعامهم وفي ذلك دلالة واضحة على روح التسامح في الإسلام.

* الوفاء بالعهد

من فضائل الأخلاق التي يجب أن تكون سجية للمسلم خلق الوفاء بالعهد لأنها الصفة التي تميز المؤمن الحقيقي عن المنافق فقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ النحل: 91.

لذلك كان من حق كل مسلم أعطى الأمان لغير مسلم أن يفي بأمانه ولا يجوز أن يغدر به حتى لو كان هذا المسلم امرأة أو عبداً لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْنِغْهُ مَأْمَنَهُ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ التوبة: 6.

3. الأحكام العملية

حماية غير المسلم سواء أكان ذمياً أم مستأمناً أم غيرهما ممن استحق الأمان في المجتمع الإسلامي أمر أقرته العقيدة الإسلامية ودعمته الأحكام الأخلاقية - مما سبق ذكره - وتؤكدته كثير من الأحكام العملية ليكون ذلك أمراً واقعياً وليس مجرد شعارات يتغنى بها دون أن يوجد لها أثر في الواقع، وذلك على مستوى الدولة، وعلى مستوى لأفراد؛ "والإسلام الذي يعتبر الإنسان هو جوهر العلاقات الدولية وضع نظاماً هو أرقى النظم في المعمورة حماية للأجانب على أرضه، بل وأعطى للفرد المسلم صغيراً وكبيراً حراً وعبداً مركزاً قانونياً بموجبه يمكنهم من تأمين من أرادوا من الأجانب، وأمانهم واجب الاحترام، ونافذ شرعاً، وفي أسوأ الحالات يلغي الحاكم أمانهم لكن تبقى آثاره سارية المفعول إلى غاية إبلاغ المؤمن بمأمنه، وإلى يومنا هذا أكثر الدول تحضراً تقصر وتحصر تسليم التأشيرة للهيئات المختصة... ونظراً لكون الإساءة

(1) القرضاوي، يوسف، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، 48.

إلى الرعايا الأجانب من أبرز أسباب النزاعات في العالم لذلك وضع الإسلام نظامًا دقيقًا للأمان⁽¹⁾، من بين أحكامه على مستوى الأفراد ما يأتي:

- عدم قصر الأمان على الدولة وما يتبعها من هيئات خاصة والسماح للأفراد بذلك مهما كانت مكانتهم الاجتماعية مادام ذلك لا يعود بالضرر على المسلمين، وفي ذلك توسيع لدائرة الأمن بين المسلمين وغير المسلمين؛ قال ابن جماعة: "يجوز لأحد المسلمين أن يؤمنوا آحادًا من الكفار، إذا كان الجهاد لا يتعطل بأمانهم في ناحية كالواحد والعشرة والمائة وأهل حصن ولا يصح أمان ناحية أو بلدة إلّا للإمام أو نائبه فيه"⁽²⁾.
- التزام الأفراد بعقد الأمان الذي تعقده الدولة وعدم جواز نقضه حتى وإن تغيرت السلطة، ويؤكد هذا ما جاء في عهد نصارى نجران: "هذا ما كتب محمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل نجران - إذا كان عليهم حكمه - ... وعلى ما في هذا الكتاب جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبدًا حتى يأتي الله بأمره ما نصحوا وأصلحوا ما عليهم غير متفلتين بظلم..."⁽³⁾، وقد أمضى هذا العهد جميع الخلفاء الراشدين من بعده وأوصوا غيرهم بالوفاء به⁽⁴⁾.
- منع الظلم لهم والاعتداء عليهم بالأيدي أو الألسن، ولقد توعدت الأحاديث النبوية كل من تجرأ على ذلك؛ فقال صلى الله عليه وسلم: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بَغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَاجِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، ولا يقتصر الأمر على عدم ظلمهم بل يتعدى إلى دفع الظلم عنهم؛ قال ابن جماعة: "إن صح عقد الجزية فلهم علينا الكف عن أنفسهم وأموالهم ومعابدهم التي يجوز بقاؤها لهم،

(1) صالحى، عبد الكريم، قواعد السلم والحرب بين الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، 104.

(2) ابن جماعة، محمد بن إبراهيم بن سعد الله، تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، 234-235.

(3) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدي خير العباد، 3/635، أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، الخراج، 72.

(4) المصدر نفسه، 74.

وعن خرمهم ما لم يظهروها فإن أظهرها أرقناها ولا ضمان فيها وعلينا دفع من قصدهم بسوء من المسلمين وغيرهم إذا كانوا في بلاد الإسلام، فإن سكنوا دار الحرب لم يجب الدفع عنهم⁽¹⁾.

● إقرارهم على دينهم: يقر الإسلام حرية الاعتقاد والتدين، فلا يجبر أحد على ترك ما يدين به ليدخل دين الإسلام مع الاعتقاد الجازم بأنه دين الحق الذي لا يقبل سواه؛ قال ابن كثير: "أي لا تكرهوا أحد على الدخول في دين الإسلام، فإنه بين واضح، جلي دلائله وبراهينه، ولا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه"⁽²⁾، ولا مانع من دعوتهم إلى الإسلام ولكن وفق أصول الدعوة الإسلامية التي تقتضي تبليغهم بأحسن الطرق والوسائل عملاً بقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ النحل: 125، وهنا يتضح جليا المستوى الرفيع الذي بلغه التشريع الإسلامي في رعاية حرية العقيدة مقارنة بما يحدث من اضطهاد وظلم في البلاد التي تدعي الديمقراطية وتنادي بمبدأ الحرية لكل من يخالفهم في دينهم.

● حماية أنفسهم وأبدانهم: لا يتحقق الأمن إلا إذا أمن الإنسان على نفسه وبدنه من كل ما يهدده من قتل أو ضرب أو أي شكل من أشكال الاعتداء، لذلك حرم الإسلام قتل الذمي أو الاعتداء عليه بضرب أو تعذيب، فتوعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل ذلك بجرمانه من أعظم شيء يعيش لأجله وهو الفوز بالجنة بل لا يشم ريحها حيث قال: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوْجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»⁽³⁾، وعلى هذا أجمع الفقهاء أنّ قتل الذمي كبيرة من الكبائر بل هناك من الفقهاء

(1) ابن جماعة، محمد بن إبراهيم بن سعد الله، تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، 253.

(2) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، 682/1.

(3) البخاري، محمد إسماعيل، صحيح البخاري، 4/ 99. رقم 3166، كتاب الجزية والموادعة، باب "إثم من قتل معاهدا بغير جرم".

من قال بقتل المسلم بالذمي مراعاة لحمة دمه؛ فقال ابن رشد: "...ومن قال بذلك أبو حنيفة وأصحابه وابن أبي ليلى، وقال مالك والليث: لا يقتل به إلا أن يقتله غيلة، وقتل الغيلة أن يضجعه فيذبجه وبخاصة على ماله..."⁽¹⁾، وهذا من أعظم مظاهر العدل التي تحقق الأمن الفعلي كما منع الإسلام الاعتداء على أجسامهم بضرب أو نحوه حتى في حالات التقصير في واجباتهم المالية.

- حماية أعراسهم: اعترف الإسلام بكرامة الإنسان حتى ولو كان غير مسلم، ومن ثم كان له حق الأمن على عرضه بتحريم كل ما ينتقص منه، ومنعه كالسب والشتم والقذف والكذب أو غير ذلك مما هو ممنوع في حق المسلم أيضا، بل إن مجرد غيبته تعتبر تعدي على عهد الأمان الذي بينه وبين المسلمين؛ فقال القراني: "إن عقد الذمة يوجب لهم حقوقا علينا، لأنهم في جوارنا وفي خفارتنا (حمايتنا) وذمتنا، وذمة الله تعالى، وذمة رسول الله، ودين الإسلام، فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة، فقد ضيع ذمة الله وذمة رسوله وذمة دين الإسلام"⁽²⁾.

وهذا من أسمى ما يتميز به التشريع الإسلامي مما لا أثر له في التشريعات الوضعية التي تقف اليوم عاجزة عن تأمين أعظم حق للإنسان، وهو حق الحياة ناهيك عن الحقوق المعنوية التي تمس العرض وكرامة الإنسان...

- حماية أموالهم: لا يكتمل أمن الذمي أو المستأمن إلا أن تحفظ أمواله من الاعتداء عليها كما أمن على نفسه وبدنه، وهذا ما أقره الإسلام منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم حينما تعايش المسلمون مع اليهود في المدينة المنورة في صدر الإسلام الأول ملتزمين ببند وثيقة الصلح التي تعتبر أعظم دستور نظم علاقة الإنسان بأخيه الإنسان بغض النظر عن الدين أو الجنس أو اللون...، وتحقيق نيتها الأمن الداخلي الحقيقي لجميع فئات المجتمع الإسلامي، وجاء في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لأهل نجران: "ولنجران

(1) القرطبي، محمد بن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، 2/ 399.

(2) القراني، شهاب الدين أحمد بن إدريس، الفروق، 3/ 29.

وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم على أموالهم وأنفسهم وأرضهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير" (1)، وسار الخلفاء الراشدون من بعده على نفس النهج (2)، وحتى يتحقق التطبيق الفعلي لكل ذلك لم تترك كمجرد توجيهات بل دعمها التشريع العقابي الذي يطبق على كل معتد على المال سواء كان هذا المال لمسلم أو لغير مسلم بسرقة أو نهب أو غصب أو قرض...، والمتمثل في القطع في حالة السرقة والتعزير في غير ذلك بحسب ما يقدره الحاكم المسلم المتصف بالعدالة؛ جاء في شرح السير الكبير: "...وإذا أودع المسلمون قوما من المشركين فليس يحل لهم أن يأخذوا شيئاً من أموالهم إلا بطيب أنفسهم للعهد الذي جرى بيننا وبينهم...، فكما لا يحل شيء من أموال المسلمين إلا بطيب أنفسهم فكذلك لا يحل شيء من أموال المعاهدين" (3)، لذلك لما سئل مالك: "أرأيت لو أن رجلاً من أهل الحرب دخل إلينا بأمان فمات عندنا وترك مالا، ما حال ماله هذا أيكون فينا أم يرد إلى ورثته؟ قال: يرد إلى ورثته" (4).

● يشرع لهم الإسلام حرية العمل والكسب لتحصيل الأموال بمباشرة الأنشطة الاقتصادية المختلفة مما لا يتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية كالربا وبيع الخمر والخنازير في أمصار المسلمين على وجه الشهرة والظهور، فلهم ممارسة التجارة والصناعة والحرف المختلفة مما يرجع عليهم بأرباح طائلة؛ قال الكاساني: "ويسكنون أمصار المسلمين، يبيعون ويشتررون، لأن عقد الذمة شرع ليكون وسيلة إلى إسلامهم وتمكينهم

(1) أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، الخراج، 72.

(2) المصدر نفسه، 73.

(3) الشيباني، محمد بن الحسن، شرح السير الكبير، 1 / 95.

(4) مالك بن أنس، المدونة الكبرى، 1 / 512.

من المقام في أمصار المسلمين أبلغ هذا المقصود وفيه أيضًا منفعة المسلمين بالبيع والشراء"⁽¹⁾، وقد اقتضت بعض المهن عليهم في التاريخ الإسلامي.

● جواز توليهم لمناصب في الدولة كالمسلمين إلا ما غلب عليه الصبغة الدينية كالإمامة ورئاسة الدولة والقيادة في الجيش والقضاء بين المسلمين والولاية على الصدقات ونحو ذلك... إذا توفرت فيهم الكفاءة والأمانة والإخلاص للدولة، بل هناك من العلماء من أجاز تولي الذمي " وزارة التنفيذ " (وزير التنفيذ هو الذي يبلغ أوامر الإمام ويقوم بتنفيذها ويمضي ما يصدر عنه من أحكام) دون وزارة التفويض التي يكمل فيها الإمام إلى الوزير تدبير الأمور السياسية والإدارية والاقتصادية بما يراه وهذا حفاظًا على أمن المسلمين لأن صنع القرار ليس بتنفيذه؛ قال الماوردي: " ويجوز أن يكون هذا الوزير من أهل الذمة وإن لم يجز أن يكون وزير التفويض منهم..."⁽²⁾، ويبقى الأمر موقوفًا على ما يحقق مصلحة المسلمين وأمنهم حسب تغيرات الزمان والمكان مما يضطلع به أهل العلم والفقه في كل عصر.

الفرع الثاني: أحكام علاقة المسلم بالكافر المحارب

أما إذا كان الآخر محاربًا لدين الله صاعدًا لدعوته فقد شرع الله تعالى الجهاد في سبيله لحفظ دين الله ونشره، وردّ أي عدوان عليه وذلك في كل زمان ومكان؛ كما سيأتي بيانه بضبط مفهومه أولًا ثم حكمه ودليله:

1. تعريف الجهاد:

لغة: بذل الإنسان جهده وطاقته⁽³⁾.

شرعًا: بذل المسلم طاقته وجهده في نصرته الإسلام ابتغاء مرضاة الله، ولهذا قيد الجهاد في

(1) الكاساني، علاء الدين أبو بكر بن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، 9 / 448.

(2) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، الأحكام السلطانية، 27.

(3) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، 1 / 708.

الإسلام بأنّه في سبيل الله ليدل على المعنى الضروري لتحقيق الجهاد الشرعي...⁽¹⁾، وهذا ما اتفق عليه الفقهاء وصرحوا به؛ فيعرفه الحنفية بأنّه: "بذل الجهد والطاقة بالقتال في سبيل الله بالنفس والمال واللسان أو غير ذلك أو المبالغة في ذلك"⁽²⁾، وقال ابن عرفة المالكي: "الجهاد قتال مسلم كافرا غير ذي عهد لإعلاء كلمة الله تعالى أو حضوره له أو دخوله أرضه"⁽³⁾.

وبذلك يتميز مفهوم الجهاد بأنّه في سبيل الله وليس للتسلط على الشعوب واستغلال ثرواتها فلا يصح إطلاق مصطلحات أخرى عليه كالحرب المقدسة ولا الحرب العادلة، لأنّ ذلك يعني عدة حقائق: "الأولى أنّ الجهاد لا يقوم لأسباب دينية فحسب، ولكنه لتغيير كل واقع يصطدم وقيم الإسلام فضلا على أنّ كل دواعي الجهاد ومراميه لا بد أن تخرج من بوتقة (في سبيل الله أساس شرعية الجهاد)، لأمن بوتقة الأغراض التي قادتها أمم وشعوب باسم الدين وهو منها براء، والحقيقة الثانية أنّ قصر الجهاد على الحرب تضيق لمعناه، لأنّه يستدعي مفاهيم كثيرة غير الحرب ترتبط به ارتباطاً وثيقاً مثل القتال والدعوة، والرباط، والغزو، والفتح، والأمن، والأمان، والحراسة، والوقائع والسير، وكلها تضيف أبعاداً جديدة ومتعددة لمعانيه، من حيث تعبيرها عن الجهاد بشكل أو آخر، والحقيقة الثالثة أنّ مفهوم الحرب المقدسة تثير في التصور الغربي تداعيات وممارسات جرت في عهود لم تكن من ورائها البشرية إلا شراسة الطبع والخلق، والهمجية وسفك الدماء، وهذا في حقيقته ليس من الجهاد في شيء، أما الحقيقة الرابعة فهي أنّ الحرب العادلة قد تكون صورة من صور الجهاد ولكنها ليست مرادفة له، ورغم ذلك فإنّ استخدام هذا المفهوم قد يوحي بأنّ ثمة حرباً أخرى غير عادلة قد أباحها الإسلام، تماماً كما قد يفهم من وجود حرب غير مقدسة بجانب الحرب المقدسة فيه"⁽⁴⁾.

(1) زيدان، عبد الكريم، أصول الدعوة، 272.

(2) الكاساني، بدائع الصنائع، 9 / 379.

(3) ابن عرفة، أبو عبد الله الأنصاري، شرح حدود ابن عرفة، 1 / 220، الخطاب، أبو عبد الله محمد بن محمد، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، 4 / 536.

(4) منجود، مصطفى محمود، الأبعاد السياسية لمفهوم الأمن في الإسلام، 578-579.

الفرع الثاني: حكمه ودليله

الجهاد أنواع، منه الجهاد باللسان وبالمال وبالنفس، وغالبًا ما يطلق الجهاد على القتال بالنفس في سبيل الله، وهذا حكمه أنه من فروض الكفاية في الأحوال الاعتيادية إذا حصلت به الكفاية، ولكنه يصير فرض عين، إذا احتل الكفرة بلدًا من بلاد الإسلام أو استنفر الإمام المسلمين؛ وقد ذكر ابن العربي الإجماع على ذلك فقال: "إذا كان النفيّر عامًّا لغلبة العدو على الحوزة أو استيلائه على الأسرى، كان النفيّر عامًّا ووجب الخروج خفافًا، وثقلًا، وركبانًا، ورجالًا وعبيدًا وأحرارًا، ومن كان له أب خرج من غير إذنه حتى يظهر دين الله وتحمي البيضة وتحفظ الحوزة، ويخزي الله العدو ويستنقذ الأسرى ولا خلاف في هذا..."⁽¹⁾.

ولهذا أمر الله بإعداد العدة اللازمة لمواجهة العدو في كل حين، فقال ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ الأنفال: 60، فكل ما به قوة وحاجة في القتال وجب تحصيله وإعداده وهذا يختلف باختلاف الأزمان والأحوال لأنّ ما لا يتم الواجب إلّا به فهو واجب، وهذا على مستوى الأفراد والدولة؛ قال ابن تيمية: "وتعلّم هذه الصناعة -أي صناعات الحرب وآلات القتال- هو من الأعمال الصالحة لمن يبتغي بها وجه الله فمن علم غيره كان شريكه في كل جهاد يجاهد به لا ينقص أحدهما من الأجر شيئاً"⁽²⁾، قال ابن جماعة: "ينبغي للسلطان وغيره من الأمراء والأجناد اتخاذ جياد الخيل بنية نصر دين الله تعالى والجهاد في سبيله، واتخاذ جيد السلاح المحتاج إليه في القتال اقتداء برسول الله والخلفاء الراشدين من بعده..⁽³⁾، ويقاس على ذلك ما تحتاجه الحرب الحديثة الآن من تكنولوجيا وعلوم وفنون الحرب ممّا يتوجب على المسلمين التفوق والبراعة فيها.

(1) ابن العربي، محمد بن عبد الله، أحكام القرآن، 2 / 517.

(2) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، 28 / 13.

(3) ابن جماعة، محمد بن إبراهيم، تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، 128.

وقد حثت عليه كثير من النصوص الشرعية وبينت فضله منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَرِّبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التوبة: 111، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تَحْرِيرِ نُفُسِكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الصف: 10 - 11، وهو في طليعة الأعمال عند الله ففي الحديث: «أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: إِيْمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ»⁽¹⁾، وغيرها من الآيات والأحاديث - مما لا يتسع المجال لحصرها - التي تبين بأنه أمر من الله ورسوله وليس أمراً ارتجالياً، وهذا يجعل المسلمين دائماً على أهبة واستعداد لقتال العدو كلما اقتضى الأمر ذلك.

المطلب الثالث: مفهوم التطبيع وحكم التعامل به مع الصهانية

في ظل كل ذلك ظهر في هذا العصر مصطلح التطبيع في علاقة المسلمين مع الصهانية ليغطي على ما سبق بيانه من تأصيل لعلاقة المسلم بالآخر، وهو ظاهرة خطيرة على المجتمعات الإسلامية لآثارها الوخيمة على الثوابت والمقدسات في ظل مسارعة بعض الدول العربية والإسلامية إليه، لذلك لابد من ضبط مفهومه وحكمه الشرعي ليتبين لكل مسلم موقفه منه كما يأتي:

الفرع الأول: تعريف التطبيع

تعريف التطبيع لغة: التطبيع من الفعل "طبع" والطبع والطبيعة الخليفة والسحجية التي جبل عليها الإنسان...⁽²⁾، والطَّبْعُ الختم وهو التأثير في الطين ونحوه والطَّائِعُ بالفتح الخاتم والكسر

(1) البخاري، محمد إسماعيل، صحيح البخاري، 1/14 رقم 26، كتاب الإيمان، باب "من قال أن الإيمان هو العمل"، مسلم، أبي الحسين بن الحجاج، صحيح مسلم، 1/88. رقم 135، كتاب الإيمان، باب "بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال".

(2) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب 8/232.

فيه لغة وطَبِعَ على الكتاب ختم وطبع السيف والدرهم عملهما... (1).

أما كلمة التطبيع فلا توجد في المعاجم العربية لأنها كلمة مستحدثة، فالمعنى الحالي للتطبيع Normalization اشتق من الكلمة الانجليزية Normal بمعنى العادي أو المتعارف عليه... ولكن مجمع اللغة العربية في القاهرة أجاز هذا الاستخدام قياساً على كثرة الاشتقاق من أسماء الأجناس، وهو هنا "الطبيعة" فهو يشبه قولهم: التمسير والتمدين والتجنيس "يشيع في الاستعمال الحديث قولهم: تطبيع العلاقات أو الحدود بين بلدين بمعنى جعلها طبيعية تجري على العادة والعرف، وقد يعترض على هذا بأنه ليس في اللغة "طَبَعَ" بالمعنى المتقدم، حتى يمكن أن يكون التطبيع مصدرًا له. غير أن العربية تسمح بالاشتقاق من أسماء الأجناس، وهو أمر أقرَّ المجمع قياسيته، وعلى هذا يكون التطبيع مأخوذاً من الطبيعة، والفعل من طبع - بالتضعيف - على معنى الجعل والتصيير، ويكون المراد بقولنا: تطبيع العلاقات أو الحدود، تصييرها إلى المعتاد المؤلف بين الدول. ولذلك ترى اللجنة أن مثل قول المعاصرين: تطبيع العلاقات أو الحدود قول جائز تبيحه الضوابط العربية". (2).

اصطلاحاً:

يعرف عبد الوهاب المسيري التطبيع بأنه: "تغيير ظاهرة ما بحيث تتفق في بنيتها وشكلها واتجاهها مع ما يعده البعض طبيعياً" (3).

والتطبيع مع الصهاينة يعني: "كل اتفاق رسمي أو غير رسمي أو تبادل تجاري، أو ثقافي، أو تعاون اقتصادي، مع إسرائيليين رسميين أو غير رسميين" (4).

وقد استعمله اليهود كثيراً على الرغم من المغالطة في المفهوم؛ حيث إن التطبيع هو

(1) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، 403.

(2) موقع مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 2/4.

(3) عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، 13/7.

(4) الراجحي، عادل، التطبيع.. يصبح العدو اللدود صديقاً حميماً 2.

عودة العلاقات إلى سابق عهدها بينما الأصل في العلاقة مع اليهود هو العداوة⁽¹⁾.
وبذلك يتضح أن المقصود بالتطبيع هو سلام دائم وليس عبارة عن هدنة مؤقتة
ومسألة يركن إليها المسلمون لضعفهم في زمن معين....⁽²⁾.
وهذا بالطبع يتنافى تمامًا مع الموقف الشرعي ممن اغتصب الأرض وقتل أهلها وشردهم
ونشر الفساد بكل مظاهره كما سيأتي بيانه بالدليل من القرآن والسنة:

الفرع الثاني: حكم التطبيع مع الصهاينة

التطبيع يتنافى مع عقيدة الولاء والبراء التي هي جزء من العقيدة الإسلامية للمسلم مما
يقتضي بيان معناها أولاً وما ينجر عنها ثانياً:

أولاً: معنى الولاء والبراء

1. معنى الولاء:

معنى الولاء:

لغة: يعني المحابة، والمناصرة، والمتابعة، والمخالفة، وعدم المعادة، والطاعة، والمصاهرة⁽³⁾.
شرعاً: الولاية هي النصرة، والمحبة، والإكرام، والاحترام، والكون مع المحبوبين ظاهراً وباطناً⁽⁴⁾.
معنى البراء:

لغة: من معانيه التبعاد، والتنزه، والأعذار، والعداوة، والمعنى العام الذي تستنبطه هذه المعاني
هو: الانفصال الذي يدل على الهجر، والتترك، وعدم الاقتراب من الشيء⁽⁵⁾.

(1) حمدان، غسان، التطبيع استراتيجية الاختراق الصهيوني، مجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلامي،
العدد 53/47.

(2) المرجع السابق، ص2.

(3) لسان العرب، 6/4921.

(4) القحطاني، محمد بن سعيد، الولاء والبراء في الإسلام، 89-90.

(5) لسان العرب، ج1/241.

شرعا: هو البعد، والخلاص، والعداوة بعد الإعذار والإنذار⁽¹⁾.

وفي الأصول المنزلة يتفق مع المعنى الثاني للولاء وهو ترك وهجرة كل ما ينأى بالمسلم عن ملته⁽²⁾.

فقد دل على ذلك الكثير من الآيات القرآنية منها ما يأتي:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ الممتحنة: 1.

﴿لَا تَحِدْ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ المجادلة: 22.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٥١) قَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَدِمِينَ^(٥٢) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ أَنْهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ^(٥٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِ^(٥٤) إِنَّهَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ^(٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ^(٥٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَ مُؤْمِنِينَ

﴿المائدة: 51 - 57.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ التوبة: 16.

(1) المرجع السابق، 89-90.

(2) منجود، مصطفى محمود، الأبعاد السياسية لمفهوم الأمن في الإسلام، 501، القادري، عبد الله بن أحمد، أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع، 316.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوْا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِن أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ آل عمران: 118.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُم عَلَىٰ آعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ آل عمران: 149.

هذه النصوص تدل على أنّ علاقة المسلم بغيره أفرادًا وجماعات مع غير المسلمين تبنى على أساس العقيدة وليست متروكة لأهواء البشر، فلا يحب المسلم إلا الله ولا يبغض إلا الله حتى ينال ولاية الله؛ قال ابن عمر: "أحب في الله وابغض في الله ووال في الله وعاد في الله فإنه لا تنال ولاية الله إلا بذلك، ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك وصارت مؤاخاة الناس في أمر الدنيا وإن ذلك لا يجزي عن أهله شيئاً"⁽¹⁾، وبذلك يكون الولاء بين المؤمنين أمراً عقدياً لا خيار فيه، والبراء من المشركين أمراً عقدياً لا نزاع فيه؛ فكما أوضح حامد عبد الماجد: "تؤلف العقيدة الإسلامية من خلال إعلاء قيمة "التوحيد" جوهر تلك العقيدة كيانا واحدا تربطه قيمة "الولاء" لكل من يؤمن بتلك العقيدة، وتميزه قيمة "البراء" من كل من لا يؤمن بهذه العقيدة، وقيمتا "الولاء والبراء" هما من القيم والمبادئ التي تؤسس الرابطة العقدية الإسلامية المشتقة من قيمة التوحيد وهي التي تجعل سائر المسلمين كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى...":

فعقيدة الولاء والبراء تمنع من المهادنة والمداراة والمخادعة على حساب الدين وهو ما اصطلح عليه التطبيع، وذلك لأنّ في مثل هذا التصرف خطراً على الأمن على الدين؛ لأنّها قد تجر إلى اتباع منهج الغير وقد توقع في شرك النفاق، وخطراً على أمن المسلمين لأنّها تشعر بالضعف وعدم القدرة على المواجهة مما يطمع العدو فيهم وهي تؤدي إلى التخلي عن المقدسات والثوابت، وتسهل للصهيانية تحقيق أطماعهم بأسهل الطرق وبأقل جهد⁽²⁾.

وخير مثال على ذلك أحداث غزة التي كشفت العالم كله عن حقيقته حيث استغل

(1) الطبراني، المعجم الكبير، 417/12.

(2) رافعي، ربيع، التطبيع العربي مع اسرائيل وأثره على حقوق الشعب الفلسطيني، العدد 8/ 95-105

الصهيانية ضعف المسلمين وتفرقهم في إبادة شعب أعزل بكل أنواع الأسلحة الممنوعة دوليًا على مرأى ومسمع من منظمات حقوق الإنسان التي أكدت أنّ الكفر ملة واحدة وأنّ التطبيع ما هو إلا خدعة صهيونية.

وعقيدة الولاء والبراء تقتضي من المسلمين الاستعداد الدائم لمواجهة العدو بإعداد العدة لذلك عملاً بقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ الأنفال: 60، وذلك حسب ما تقتضيه تغيرات الزمان والمكان وبحسب الاستطاعة من حيث نوع القوة التي يجب أن تعد لتكافأ مع قوة العدو سواء أكانت قوة عسكرية أم اقتصادية أم سياسية أم إعلامية وغيرها...

وأيضاً عقيدة الولاء والبراء تقتضي الحذر الدائم من الأعداء وعدم الركون إليهم لأنّ الكفر ملة واحدة، فقد يظهرون بوجه وحقيقتهم غير ذلك، قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ آل عمران: 118، وذلك من خلال الاعتداء أو التآمر وزرع الفتن وغيرها من الأساليب التي يتبعونها دون قيم تحكمهم.

المبحث الرابع

شروط علاقة المسلم بالآخر وضوابطها

من كل ما سبق يتبين أن علاقة المسلم بالآخر مقيدة بشروط وضوابط وليست على إطلاقها وتتحدد بحسب موقف الآخر من دين الله والدعوة الإسلامية وكيفية تعامله مع المسلم كما يأتي بيانه:

الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم هي السلم لا الحرب، وأنَّ البداية معهم ينبغي أن تكون دعوتهم إلى دين الإسلام كمرحلة أولى لا يسبقها غيرها، وفي هذه الحال لا يعدو الأمر أن يستجيبوا لتلك الدعوة، أو يردوها من غير أذى أو معاندة، أو يقفوا في طريق الدعوة ويمنعوا المسلمين من البلاغ، وتبعاً لذلك تتحدد علاقة المسلمين بهم على النحو الآتي:

1. فمن استجاب منهم للدعوة، واعتنق دين الإسلام، أصبح أخاً للمسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم. قال تعالى: ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفُصْلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ التوبة: 11.

2. ومن لم يقبل الدخول في الإسلام، لكنّه لم يقف في طريق دعوته، ولا قاتل من يدعو إليه، وسالم المسلمين سواء كان من أهل العهد أم لم يكن. فأمثال هؤلاء يكون الأصل في حقهم المسالمة، ما لم يعتدوا بقول أو فعل، فلهم حقوق وعليهم واجبات؛ وعلى هؤلاء تحمل الآيات التي أمر الله فيها بالسلم، وأباح فيها الإحسان للآخر غير المسلم، كقوله تعالى: ﴿ لَا يَنْهَكَ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ الممتحنة: ٨، وقوله: ﴿ فَإِنْ أَعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ النساء: 90.

3. من لم يرفض الإسلام فحسب بل وقف في طريق الدعوة إليه، أو نقض عهده مع المسلمين، أو اعتدي على أحد منهم بقول أو فعل، أو خطط لذلك مستقبلاً، فهؤلاء الأصل في حقهم الحرب، والجهاد في سبيل الله بكل أنواعه.

4. من اعتدى على بلاد المسلمين ومقدساتهم كالصهيينة وكل من عاونهم؛ فالعلاقة تقوم

على الحرب وإعداد القوة لا على السلم والتطبيع.

الخاتمة:

خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1. الموقف الشرعي الصحيح لضابط لعلاقة المسلم بالآخر يقوم على أساس السلم مع من سالم والحرب على من حارب.
2. التفسير الصحيح لنصوص القرآن الكريم الداعية للسلم والحوار مع غير المسلم فهو يصدق على من سالم ولم يقف في وجه الدعوة لدين الله، ولم يحارب الإسلام والمسلمين.
3. تضبط علاقة المسلم مع غير المسلم أحكام اعتقادية وأخلاقية وعملية في السلم والحرب مستمدو من كتاب الله وسنته صلى الله عليه وسلم.
4. التفسير الصحيح للنصوص القرآن الكريم الداعية لإعداد القوة وإرهاب العدو والجهاد في سبيل الله يصدق على من ناصب المسلمين العداوة ووقف في وجه الدعوة الإسلامية.
5. علاقة المسلم بالآخر لها حدود وشروط وضوابط وليست مطلقة.
6. التطبيع مع الصهيانية خدعة معاصرة لتشجيع الاستسلام وتحقيق مطامع الصهيانية وكل من والاهم.

المصادر والمراجع:

- الأنصاري، (1993). شرح حدود ابن عرفة. ط1. بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.
- البجاوي، أحكام القرآن. بيروت، لبنان: دار الفكر.
- البخاري، (2001) صحيح البخاري ط1. بيروت، لبنان: دار طوق النجاة.
- البيضاوي. تفسير البيضاوي. بيروت، لبنان: دار الفكر.
- ابن تيمية. مجموع الفتاوى.
- الجحني، (2001). الحماية الأمنية لحقوق الإنسان. الرياض، السعودية: مركز الدراسات والبحوث بالتعاون مع رابطة الجامعات الإسلامية، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية.

- ابن الجوزي. (1987). *زاد المسير في علم التفسير*. ط1. بيروت، لبنان: دار الفكر.
- حسين عدنان السيد، (2006). *العلاقات الدولية في الإسلام* ط1. بيروت، لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- الخطاب، (2003). *مواهب الجليل لشرح مختصر خليل*، بيروت، لبنان: دار عالم الكتب.
- حمدان غسان. (1994). *التطبيع: استراتيجية الاختراق الصهيوني*. مجلة البيان، ع 47.
- الرازي، (1995). *مختار الصحاح*. بيروت، لبنان: مكتبة لبنان ناشرون.
- رافعي ربيع، (2022). *التطبيع العربي مع إسرائيل وأثره على حقوق الشعب الفلسطيني*. مجلة القانون والعلوم السياسية العدد 8/ 95-105
- ابن رشد، (1988). *بداية المجتهد*. بيروت، لبنان: دار المعرفة.
- زيدان عبد الكريم، (2001). *أصول الدعوة* ط 9. بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة.
- السيوطي. (1993). *الدر المنثور*، بيروت، لبنان: دار الفكر.
- صالح عبد الكريم، (2003). *قواعد السلم والحرب بين الشريعة الإسلامية والقانون الدولي*، رسالة ماجستير. قسم الفقه وأصوله. كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر.
- الطبراني. (1983). *المعجم الكبير*، ط2. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.
- الطبري. (1986). *تاريخ الطبري*. ط1. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- عبد الفتاح إسماعيل، (1999). *مدخل القيم في إطار مرجعي لدراسة العلاقات الدولية في الإسلام* ط1. القاهرة، مصر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- عبد الله المسيري. (1999). *موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية*. م 7، ط1 القاهرة، مصر. دار الشروق.
- القحطاني، (1996). *الولاء والبراء في الإسلام*. ط7. القاهرة، مصر: الفتح للإعلام العربي.
- قويسى، (1993). *الوظيفة العقيدية للدولة الإسلامية*. القاهرة، مصر: دار التوزيع والنشر.
- ابن قيم الجوزية. (1994). *زاد المعاد في هدي خير العباد*، ط 27. بيروت، لبنان: مؤسسة

الرسالة؛ الكويت: مكتبة المنار الإسلامية.

- الكاساني، (1997). *بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع*، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- ابن كثير، (1988). *البداية والنهاية* ط 1 بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي.
- مالك بن أنس. *المدونة الكبرى*. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- المواردي. (1990). *الأحكام السلطانية* ط 1. بيروت، لبنان: دار الكتاب العربي.
- المباركفوري، (2007). *الرحيق المختوم* ط 19. المنصورة، مصر: دار الوفاء.
- المتقي الهندي. *كنز العمال*. بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة.
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة. *موقع مجمع اللغة العربية بالقاهرة*. القاهرة، مصر.
- مذكور محمد سلام. (1983). *معالم الدولة الإسلامية* ط 1. الكويت: مكتبة الفلاح.
- نريمان عبد الكريم، (1996). *معاملة غير المسلمين في الدولة الإسلامية*. القاهرة، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- أبو يوسف، *الخراج*. بيروت، لبنان: دار المعرفة.

**القرآن والعلم: استكشاف العلاقة
العميقة بينهما من خلال قوانين
الرياضيات والفيزياء والذكاء الاصطناعي
د. توفيق عبد الله الكامل
أستاذ التربية العلمية المساعد
جامعة سيئون/اليمن
Tawfiq844@gmail.com**

© نُشر هذا البحث وفقاً لشروط الرخصة Attribution international (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أجريت عليه.

للاقتباس: الكامل، توفيق عبدالله، القرآن والعلم: استكشاف العلاقة العميقة بينهما من خلال قوانين الرياضيات والفيزياء والذكاء الاصطناعي، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، عدد خاص للمؤتمر القرآني الدولي الثالث المجلد (2)، سبتمبر 2025: 111-155.

DOI: <https://doi.org/10.61821/3rdconfv2.0206>

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى استكشاف العلاقة العميقة بين القرآن والعلم من خلال قوانين الرياضيات والفيزياء والذكاء الاصطناعي، اتبع الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي والنوعي، واستخدم معه أداة المقابلة المفتوحة لتحقيق أهداف الدراسة. وتكونت عينة الدراسة من (10) مختصين في العلوم الطبيعية والعلوم الشرعية. وتوصلت الدراسة إلى النتائج الآتية: من لديهم قصور في أي من علوم القرآن أو علوم الحياة يؤدي بالضرورة إلى ظهور نظرة قاصرة؛ فمن يتحدث بلسان العلم دون دراية بعلوم القرآن قد يرى تعارض بينهما، وهذا التعارض قد يكون ناتجاً عن سوء الفهم، الذي قد يرجع إلى التعصب العلمي أو الحالة النفسية أو الحالة الاجتماعية. وبالمثل فإن من يرفض الحقائق العلمية من رجال الدين قد يعانون من نفس الأسباب. أغلب النظريات العلمية التي أثبتت التجارب صحتها وتحولت إلى حقائق لا تتعارض مع النصوص القرآنية، بل تتلاقى كثير منها مع معاني بعض الآيات. رفض الحقائق العلمية من قبل رجال الدين، أو رفض علوم الدين من قبل العلماء، يؤثر سلباً على الشباب ومستقبلهم، مما قد يؤدي إلى العزلة الفكرية، وتقليل فرص التعليم والعمل، والشك في كل شيء، والصراع الداخلي، والانتحار وعدم تطور المجتمع علمياً أو أخلاقياً.

الكلمات المفتاحية: القرآن، العلم، الدين، الرياضيات، الفيزياء، الذكاء الاصطناعي.

The Qur'an and Science: Exploring Their Deep Relationship Through the Laws of Mathematics, Physics, and Artificial Intelligence

Dr. Tawfiq Abdullah AL-Kamel

Assistant Professor of Science Education

Seiyun university- Yemen

©This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.

Citation: AL-Kamel , Tawfiq Abdullah, The Qur'an and Science: Exploring Their Deep Relationship Through the Laws of Mathematics, Physics, and Artificial Intelligence, Journal of the University of Holy Quran and Islamic Sciences, Special Issue of the third International Qur'anic Conference, Volume (2), September 2025:111-155.

DOI: <https://doi.org/10.61821/3rdconfv2.0206>.

Abstract:

This study aimed to explore the deep relationship between the Qur'an and science through the principles of mathematics, physics, and artificial intelligence. The researcher adopted an inductive, analytical, and qualitative approach, using open-ended interviews. The study sample consisted of ten experts in natural sciences and Islamic studies. Key findings include : A lack of knowledge in either Qur'anic sciences or life sciences leads to a limited perspective. Those who speak scientifically without understanding the Qur'an may see contradictions, often due to misunderstanding, scientific bias, or psychological and social factors. Likewise, religious figures rejecting scientific truths may do so for similar reasons. Most scientifically validated theories do not contradict the Qur'an. Many align with the meanings of certain verses. Rejecting science by religious scholars or rejecting religion by scientists negatively affects youth, leading to intellectual isolation, reduced opportunities, doubt, internal conflict, and even suicide, ultimately hindering societal advancement.

Keywords: Qur'an, Science, Religion, Mathematics, Physics, Intelligence Artificial.

المقدمة:

خلق الله الطبيعة وأودع فيها قوانين كونية مجردة لا يمكن الاهتداء لها إلا بواسطة التفكير والبحث والاكتشاف، سواء من خلال النظر إلى الطبيعة أو من خلال الاجتهاد فالبراهين الدينية قائمة على النصوص، بينما البراهين العلمية تخضع للمنطق أو للتجربة؛ فالعلم والدين يتفقان في السؤال عن الحقيقة ويختلفان في الأسلوب الذي يوصل إلى النتيجة. العلم والدين يعاضد كل منهما الآخر، من ينظر للدين والعلم من هذا المنظور يحاول أن يزيل غبار التنافي الذي أثاره المتشددون في الدين والرافضون للنتائج العلم، أو المتشددون في العلم ورافضو الدين؛ أما الاتجاه الثالث يركز على الخدمات المتبادلة بين العلم والدين، فهناك خدمات يقدم كل منهما للآخر، ومن أمثلة خدمة العلم للدين كشف رموز الطبيعة وأسرارها؛ ومن الخدمات التي يقدمها الدين للعلم أنه يدعو للتعقل والتفكير في الحقائق الكونية، وإثارة العقول، ويشجع على البحث والتنقيب عن أسرار الأمور والأشياء المخلوقة في عالم الطبيعة (عزيزي، 2019).

يقول الله سبحانه وتعالى في محكم التنزيل ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ، يَشْرَحْ صَدْرَهُ، لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، يُغْلِقْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأنعام: 125].

أشارت الدراسات العلمية الحديثة إلى أن الصعود إلى طبقات الجو العليا يؤدي إلى انخفاض الضغط الجوي ونقص الأوكسجين، ما يسبب ضيقًا وحرَجًا في التنفس (Hall & Hall, 2021; Williams & Kuipers & Mukai & Thirsk, 2009). وقد سبق القرآن الكريم إلى الإشارة لهذه الظاهرة في وصف دقيق يتطابق مع ما توصل إليه العلم المعاصر، وهو ما يُعد من مظاهر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

ويرى الباحث أن هذا القرآن العظيم مستمر في تحدي البشرية إلى قيام الساعة، بما يحتوي من إشارات علمية ولغوية وسلوكية واجتماعية هائلة، بل ويتعد ذلك لكل المجالات؛ وحين يقرأ المرء آيات القرآن الكريم بموضوعية وهو على شيء من الرياضيات والعلوم، يجد

الانسجام والتوافق الكبير بين القرآن والعلم، ويدرك شمول القرآن لهذه العلوم على جدتها وحدائتها في الزمان والمكان وتعدد مدارسها الفكرية، فيتيقن حينها بخلود القرآن.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية الدراسة من حاجة الشباب لمساعدتهم في وضع تفكيرهم في الطريق الصحيح وانتقاء لهم أسلوب منطقي ينظر للأمور من منظور علمي وديني معتدل يراعي جوانبهم النفسية والاجتماعية، والتأمل بعيداً عن التعصب، للوصول إلى الحقيقة.

مشكلة الدراسة:

هناك من يدعي أن هناك تعارض بين العلم والدين، وأن هناك فجوات بينهما. ومن خلال ملاحظة الباحث وقراءته حول هذا الموضوع والمتمثل في: تعارض المنهجيات أو تفسير الظواهر أو الأخلاق والقيم أو التحولات الثقافية. وجد أن المشكلة تكمن في أسلوب تفسير الظواهر الذي يتبعه كل من الأفراد أو الجماعات الدينية أو العلمية، ونتيجة لهذا الأسلوب قد تكون النتائج تعبر عن الحالة التي يعيشها الفرد المتشدد للدين أو المتشدد للعلم، وهذه النتيجة قد لا تعبر بالضرورة عن الظاهرة وإنما تعبر عن الحالة الذاتية التي يعيشها كل منهما.

وبذلك أحس الباحث بوجود مشكلة تستحق الدراسة، وتبلورت في السؤال الرئيس الآتي: ما التفاعل بين العلم والدين؟ استكشاف الروابط العميقة من خلال قوانين الرياضيات والفيزياء والدكاء الاصطناعي وسيتم الإجابة عن هذا السؤال من خلال ستة أسئلة:

- 1- ما العلاقة بين الدين والعلم؟
- 2- كيف يمكن للرياضيات أن تكون وسيلة للتفاعل بين العلم والدين؟
- 3- كيف يمكن للفيزياء أن تكون وسيلة للتفاعل بين العلم والدين؟
- 4- كيف يمكن للعلم أن يعزز من القيم الروحية للإنسان؟
- 5- كيف يمكن للعلم والدين أن يحققا الانسجام بينهما لفهم الكون؟
- 6- ما الدور الذي يقوم به الذكاء الاصطناعي في تحقيق الانسجام بين العلم والدين؟

أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة إلى تحقيق الآتي:

- التعرف على الدين والعلم والعلاقة بينهما.
- الكشف عن التفاعل الرياضي بين العلم والدين.
- الكشف عن التفاعل الفيزيائي بين العلم والدين.
- التعرف على الدور الإيجابي للعلم في تعزيز القيم الروحية للإنسان.
- اكتشاف العلاقة بين العلم والدين في فهم الكون.
- اكتشاف دور الذكاء الاصطناعي في تحقيق الانسجام بين العلم والدين.

منهج الدراسة:

اتبع الباحث المنهج المختلط الاستقرائي التحليلي والنوعي لمناسبته لطبيعة هذه الدراسة، واعتمد الباحث على دليل APA في التوثيق العلمي للمتن وقائمة المراجع.

عينة الدراسة:

تكونت عينة الدراسة من مجموعة من الخبراء والمتخصصين في العلوم الطبيعية والعلوم الشرعية والبالغ عددهم (10) أفراد، ولقد تنوع أفراد العينة بين متخصصي الفيزياء والكيمياء والأحياء والعلوم الشرعية، وهذه العينة المتنوعة تتفق مع أهداف البحث. كما يبينه جدول (1).

جدول (1) يوضح توزيع أفراد العينة حسب التخصص والجنس.

التخصص					الجنس			المتغير
المجموع	علوم شرعية	أحياء	كيمياء	فيزياء	المجموع	إناث	ذكور	المتغير
10	2	2	2	4	10	3	7	

أداة الدراسة:

استخدم الباحث أداة المقابلة المفتوحة وتكونت من عشرة أسئلة مفتوحة، ولقد تم

الطلب من أفراد العينة الإجابة عن هذه الأسئلة وتدوينها كتابيًا ثم إعادة إرسالها للباحث عبر تطبيق الواتس آب.

الدراسات السابقة:

هدفت دراسة عمري، الملحم، أبوخرمة، عمري وعمري (2020) إلى تحليل علمي ولغوي لقوله تعالى: (وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ). وربطها بظواهر فيزيائية كونية، ومعرفة العناصر الفيزيائية المرتبطة بتكوين الحديد، بدءًا من نشأته داخل النجوم إلى خروجه بفعل الانفجارات النجمية (السوبرنوفات) وانتشاره في الكون وتوصلت الدراسة إلى:

1. كلمة "أنزلنا" تشير إلى العمليات الكونية التي أدت إلى تكوين الحديد خارج الأرض ونقله إليها عبر ظواهر فيزيائية معقدة.
 2. الحديد يتكون في النجوم الضخمة نتيجة لعمليات الاندماج النووي، ويتم طرده عبر انفجارات السوبرنوفات إلى الفضاء.
 3. للحديد خصائص فيزيائية وكيميائية إذ يتميز بطاقة ارتباط نووية عالية تجعله العنصر الأكثر استقرارًا في الكون، مما يفسر وجوده بكميات كبيرة.
 4. تم استخدام دراسات ونماذج فيزيائية لدعم الإشارة القرآنية إلى الحديد ودوره في التكوين الكوني.
 5. تحليل لغوي يوضح استخدام الكلمة للدلالة على انتقال الحديد من النجوم عبر العمليات الكونية، وهو ما يتوافق مع النظريات الفيزيائية حول تكوين العناصر الثقيلة وانتقالها عبر انفجارات السوبرنوفات.
 - 6- الحديد يتمتع بأعلى طاقة ارتباط نووي لكل نواة (binding energy) ، مما يجعله العنصر الأكثر استقرارًا.
 - 7- يُعد الحديد عنصرًا محوريًا في بنية الكون، حيث يساهم في تشكيل لب الكواكب والأرض، ويلعب دورًا أساسيًا في الحياة على الأرض.
- هدفت دراسة (مصطفى، 2011) إلى معرفة الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في علوم

الرياضيات تناولت الدراسة:

1. الإقرار بالحقائق الرياضية في القرآن: يناقش كيفية احتواء القرآن على حقائق رياضية وأسس علمية، مثل استخدام الأرقام والأنماط الحسابية.
 2. علاقة القرآن بعلم الجبر: يبرز كيف استمد علم الجبر بعض مفاهيمه من القرآن الكريم، خاصة في تنظيم الحسابات والمقادير.
 3. تقديم أمثلة لصيغ رياضية واردة في القرآن، مثل استخدام الكسور المتسلسلة.
 4. مساهمة القرآن الكريم في تطور الفكر الرياضي وأساليبه.
- اتباع الباحث المنهج التحليلي الوصفي: لتفسير الآيات القرآنية المتعلقة بالرياضيات. وتوصلت الدراسة إلى أن:
- القرآن يتضمن أرقامًا دقيقة، وصيغًا رياضية تمثل إعجازًا علميًا. وأنه يعتبر كمرجع علمي في تطوير العلوم الرياضية.
- هدفت بکرو (2017أ)** التعرف إلى توضيح الإشارات القرآنية للعد والإحصاء في القرآن الكريم، وتناولت الدراسة:

- 1- العلاقة بين علم الإحصاء والتنظيم الكوني، بما في ذلك عدد السنين والحساب.
 2. الترتيب العددي لحروف وكلمات وآيات القرآن الكريم يشكل نظامًا متناسقًا يشير إلى مصدره الإلهي.
 3. أمثلة على الإعجاز العددي تشمل تكرار كلمات مثل (الدنيا) و(الآخرة) بعدد متساوٍ.
 3. لكل كلمة قرآنية بناء رقمي محدد يمكن تحليله إحصائيًا باستخدام الحاسوب.
 4. الإحصاء كدليل على التوحيد والرقم (واحد) يعبر عن وحدانية الله.
- توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

- القرآن الكريم يعجز عقول البشر ليس فقط ببلاغته، بل أيضًا بدقته الرقمية.
- علم الإحصاء أداة لفهم الإعجاز القرآني وإبراز التناسق العددي بين عناصر النص القرآني.

هدفت دراسة بكر (2017ب) إلى محاولة استنتاج بعض المصفوفات الرياضية من النصوص القرآنية، حيث تم تحليل محتوى القرآن الكريم بناءً على مفاهيم الترتيب والتنظيم الرياضي. يعتمد الباحث على أن القرآن الكريم مصفوفة مرتبة تحتوي على السور، الآيات، الكلمات، والحروف، مما يتيح إمكانية تنظيم البيانات القرآنية في شكل مصفوفات رياضية (عددية أو حرفية).

وتناولت الدراسة:

1. مفاهيم الترتيب والتنظيم في القرآن من خلال الكلمات (مثل مصفوفة) و(الصف) .
دُكرت كلمة (مصفوفة) مرتين في القرآن، وأشار إلى مفاهيم الترتيب والتنظيم في آيات وسور عديدة.
2. تمثل المصفوفة هيكلًا رئيسيًا للبيانات القرآنية، سواء كانت حرفية أو عددية.
أمثلة: مصفوفة كلمات آية. مصفوفة عدد الحروف في كلمات الآية. مصفوفة عدد تكرار الكلمات أو الحروف.
3. مصفوفات تحتوي على نصوص وأرقام مترابطة.
4. استخدام برنامج MATLAB لتحليل البيانات القرآنية، حيث يتم إدخال النصوص كبيانات سلسلة حرفية أو عددية لإجراء العمليات الرياضية والإحصائية عليها. وتوصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:
- التأكيد على أهمية دراسة القرآن الكريم باستخدام أدوات رياضية وبرمجية حديثة.
- اعتبار المصفوفات السطرية الشكل الأمثل للتعامل مع البيانات القرآنية.

التعقيب على الدراسات السابقة:

مراجعة الباحث للدراسات السابقة، يتضح أن أغلب الدراسات ركزت على الإعجاز العددي في القرآن أو على جانب محدد منه كآية قرآنية، وهذا الدراسة ركزت على العلاقة العميقة بين القرآن والعلم وأن هذه العلاقة يمكن اكتشافها من خلال قوانين الرياضيات أو الفيزياء أو الذكاء الاصطناعي التي تحقق الانسجام بينهما.

مصطلحات الدراسة:

القرآن: يسمى كلام الله تعالى الذي أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم كتاباً وقرآنًا وقرآنًا، ومعنى القرآن معنى الجمع وسمي قرآنًا لأنه يجمع السور فيضمها؛ وقوله تعالى إن علينا جمعه وقرآنه، أي: جمعه وقراءته. (ابن منظور، 2010، ص123).

العلم: هو مصدر من الفعل عَلِمَ، وهو إدراك الشيء على حقيقته، كما أنه المعرفة واليقين (مجمع اللغة العربية، 2008، 624).

اصطلاحًا: هو مجموعة من النظريات والوقائع والحقائق، بالإضافة إلى مناهج البحث المتواجدة في جميع المؤلفات العلمية، كما يعرف أيضًا بأنه نسق من المعارف العلمية المتراكمة. **الدين:** بكسر الدال، جمع أديان؛ ما يتدينُّ به الإنسان. وضع آلهي يُرشد إلى الحق من الاعتقادات وإلى الخير في السلوك والمعاملات وما شرعه الله من أحكام (قلعه جي، 1996، ص189). هو طاعة المرء والتزامه لما يعتنقه من فكر ومبادئ.

الرياضيات: يعرفها الباحث بعلم الأعداد والفراغ وقياس الكميات والمقادير، وغالبًا نستخدم هذا العلم للبحث عن نمط أو علاقات لتعرف على قيمة متغير مجهول أو أكثر أو أي شكل هندسي.

الفيزياء: هي ذلك الفرع من المعرفة الذي يعطي إجابات منظمة عن أسئلتنا حول العالم الطبيعي بالطريقة العلمية. والفيزياء علم كمي هدفه وصف جميع الظواهر في العالم الطبيعي بدلالة عدد قليل من العلاقات الأساسية بين خواص المادة القابلة للقياس والطاقة (بوش وجيرد، 2001).

الذكاء الاصطناعي (Artificial Intelligence (AI): هو مجال من مجالات علوم الحاسب يركز على بناء أنظمة قادرة على أداء مهام تتطلب عادة ذكاءً بشريًا، مثل: التعلم والاستدلال والتطوير الذاتي ويطلق عليه أيضًا ذكاء الآلة. (الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي، ص42، 2022).

المبحث الأول

الإجابة عن السؤال الأول " ما العلاقة بين الدين والعلم؟"

إن للعلم قفزات هائلة في التاريخ على أثرها تتغير أفكارنا ومجتمعنا بل ومعيشتنا من ملابس ومأكل ومشرب وما إلى غير ذلك، ولقد وصل الإنسان إلى القمر، وأطلق مركبات فضائية تحوم حول المجموعة الشمسية، وذهب الإنسان بتفكيره ليفسر ماذا يحدث داخل هذا الكون المذهل، ذو التصميم والضبط الدقيق، والنظام الذي فيه تسود حركة الأجرام السماوية الصغيرة بين الأجرام العملاقة، وكل في فلك يسبحون؛ ثم انتقل عقل الإنسان من الفضاء الكوني إلى الفضاء الذري، ثم إلى عالم الجينات.

المطلب الأول: العلم والقرآن

إن معطيات هذا العصر الجديدة في العلم والمعرفة الحديثة والمعاصرة، التي جاءت بها الثورات العلمية في مطلع القرن العشرين، أوجدت تحديًا جديدًا يقود بالفرد إلى منطلق متجدد يتخذ العلم نفسه وسيلة وسلاحًا مضادًا للتصدي للتيار الإلحادي والمعارف والفلسفات الضالة فليس هنالك ما يجعل العلم مناقضًا للدين ولا ما يجعل الدين مناقضًا للعلم إلا تلك المغالطات التي جاءت إلى العلم من الإلحاديين أو الخرافات التي تسربت إلى الدين والفكر الديني من مصادر بشرية، بعضها بقصد وبعضها الآخر دون قصد، وهي كلها ليست من الدين الحق ومن العلم في شيء (الطائي، 2010).

استطاع الإنسان أن يحل الشفرة الجينية التي تتكون من ثلاثة بلايين حرف في DNA والوصول إلى أعماق الهندسة الوراثية الجينية، التي أدت بدورها إلى استنساخ أعضاء للإنسان، ومع نهاية القرن العشرين ظهرت ثلاث ثورات علمية كبرى متعاقبة الكونتم والكمبيوتر والجينوم. وقبلها كانت نظريتنا الجاذبية والنسبية وكان لهما إسهام كبير في حركة العلم. وبمثل ما احتل نيوتن وأينشتاين وماكس بلانك مواقع بارزة في حقل نظرية العلم، احتل ابن الهيثم وجاليليو وواطسون وكريك وغيرهم مواقع بارزة في تطبيقات العلم وانطلاقاته الملموسة، وأصبح العلم بالغ الرفعة مع توالي قوانين العلم، وتعاقبت إنجازاته التكنولوجية المذهلة من

الميكروسكوب إلى التلسكوب إلى الفمتوسكوب. ومن دراسات الكائنات إلى دراسات الخلايا إلى دراسات الجزيئات. ومن دراسات الجزيئات في الخلايا إلى دراسات الأسس الجينية وهكذا يتطور العلم في ظل مفاهيم جديدة للزمان والمكان (زويل، 2010).

ومع هذا التطور للعلم إلا أن العلم لازال يعاني من النقص وعدم الدقة ولعالم الرياضيات الشهير برتراند راسل مقولة يمكن الاستشهاد بها حين قال: الرياضيات هي المادة التي يصعب دوماً أن نعرف الشيء الذي يدور الحديث حوله، ويصعب معرفة ما إذا كان ما نقوله صحيحاً أو غير صحيح (شبورير، 1987). فالنظام الرياضي يعاني من قصور خاصة فيما يتعلق بأسس الرياضيات التي هي القاعدة لكل بناء رياضي. فعلى سبيل المثال المسلمات الرياضية يضعها عالم ويسلم بصدقها، وهي أقل وضوح من البديهية لأنها من صنع العقل ومن أمثلة المسلمات مسلمة إقليدس (الكل أكبر من الجزء)؛ وهذه المسلمة أصبحت في الرياضيات الحديثة ليست أكيدة ممكن حدوث عكس ذلك، ومن النظريات التي وضعها عالم الرياضيات إقليدس (عند السطح المستوي من نقطة خارجه لا يمكن رسم مستقيم إلا مستقيم واحد موازي له) لكن الرياضيات الحديثة أثبتت عكس هذه النظرية. وكان هذا النقص يراد العلماء إلى أن جاء عالم الرياضيات كورت جودل، حيث أثبت ذلك من خلال نظرياته الشهيرة عدم الاكتمال والتي تنص على أن (حدود جميع الأنظمة الشكلية في الحساب) أي برهن على عدم اكتمال الأنساق الشكلية (axiomatic) التي تفترض الصياغة الشكلية لعلم حساب الأعداد الطبيعية. وقد أثبت أن ما من نسق من هذه الأنساق يحتوي في ذاته دليل تماسكه (consistency) بمعنى أن هذه الأنساق تحتوي على قضايا داخل إطارها، مما لا يمكن البرهنة عليه، ولا يمكن دحضه على السواء (دعبول، الأحمد، قابيل والبواب، 2018) وحتى الآن لا يوجد عالم جادل في هذه النظرية.

وهذا النقص ينطبق على العلوم الطبيعية تماماً فغالباً ما نسمع عن نظرية حتى يظهر عالم آخر يبين خطأ مكتشفها مثلاً: نظرية الجاذبية للنوتن والتي كان يفسرها على أنها انجذاب لجسمين في الفضاء الجسم الكبير يجذب الصغير. حتى جاء أينشتاين وخالف هذا

التفسير بأن الجاذبية هي عبارة عن تحذب الزمان، وأيضاً نظرية الضوء، وتفسير عملية الاحتراق كانت في فترة ما عبارة عن نظريات، ومع تطور العلم أصبحت غير صحيحة. إلى أن جاء عالم الفيزياء الشهير هيزنبرج وتوصل إلى مبدأ اللايقين في القياس بالنسبة للتجارب الفيزيائية؛ وأن العالم تحكمه احتمالات وليس حتمية.

ويرى ستيفن هوكنج (Stephen Hawking) أن مبدأ اللايقين له تأثير ليس فقط في العالم المجهرى؛ بل حتى في إحصاءات الجريمة، وشؤون الحرب والقتال، وحركة الأجرام السماوية في مجرات الكون القصية. أصبحت كل اليقينيات موضع شك، وبغته بدا الأمل في المعرفة زائفاً. لقد تبين في نهاية المطاف، وخلافاً لما اعتقد أينشتاين، أن ثمة من يلعب بالنرد؛ أن ثمة من يرمي به حيث لا يراه أحد (لندلي، 2009).

قال تعالى ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (سورة الرحمن: 29) لا يستغني عنه من في السماوات والأرض، يرفع قومًا ويضع آخرين؛ ويحدث أمرًا (الطبري، 2000، ص186).

فمن حكمته تعالى أن جعل هذا القرآن الكريم ثابتاً في نصه، ويقتضي صلاحه، أن يكون متحرراً في معناه ليناسب كل زمان حتى قيام الساعة، ويتجدد معناه ليناسب كل جيل بما وصل له من وعي وفهم. ولقد بين الله سبحانه وتعالى هذه المرحلة التي سيصل إليها الإنسان من هذا التناغم بين العلم والدين قال تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (سورة فصلت: 53). هذه الآية تشير إلى فضاء العلم والمعرفة وتوجيه من الله للبشر، صالحين وطالحين إلى أنه سيربهم آياته في الأفاق، أي في العالم الكبير عالم النجوم والمجرات والفلك وفي عالم الذرة؛ وفي داخل أنفسهم. أن الدماغ يعتبر من أكثر الأشياء تعقيداً في الكون، لا يزيد حجمه عن كرة تنس، وهو يطفو داخل محلول من سائل رقيق ويتدثر في نسيج رقيق يشبه نسيج العنكبوت، وهو لين بحيث يمكن لإصبع اليد أن تغوص فيه بسهولة (نيوكويست، 2007). هناك مجموعة من النظريات التي تحاول أن تفسر لماذا دماغ الإنسان مميزاً عن سائر الحيوانات الأخرى؛ أولى

هذه النظريات أرجعت سبب هذه الميزة إلى وزن الدماغ الذي يعادل 1.5 كج، أي ما يعادل نحو ثلث وزن دماغ الفيل وخمس وزن دماغ الحوت، وهذا يعني أن حجم دماغ الإنسان بالنسبة لجسمه يعتبر كبيراً مقارنة بالثدييات الأخرى، ولقد وجد أن نسبة حجم دماغ القرد اكبوشي إلى جسمه أعلى من الغوريلا، ومع ذلك تعتبر الغوريلا أكثر ذكاء. وهناء من الواضح أن الحجم ليس مقياساً لذلك.

النظرية الثانية التي تحاول تفسير قدرة دماغ الإنسان إلى عدد الخلايا العصبية وهي وحدات معالجة في الدماغ، وتذكر أخصائية الأعصاب البرازيلية سوزانا هيركولانو-هوزيل من جامعة فاندربيلت، بولاية تينيسي الأمريكية، التي استحدثت طرقاً جديدة لحساب عدد الخلايا العصبية، أن لدى البشر نحو 86 مليار خلية عصبية. وعليه قد لا يكون عدد الخلايا العصبية فقط هو العامل الأهم، بل أيضاً أماكن وجودها. تشير هيوكونو-هوزيل إلى أن قدراتنا الرائعة تنبثق من وجود عدد كبير من الخلايا العصبية الموجودة في القشرة الدماغية، وهي عبارة عن طبقة رمادية تتكون من الأخاديد والتلافيف تساعد الإنسان على التفكير بشكل أفضل (عالم جديد، 2022). وهذه مجموعة حقائق عن الدماغ: -

1. يستهلك الدماغ 20% من وزن طاقة الجسم، 20% من الأكسجين الوارد إلى الجسم.
2. يصل الدماغ 8 جالون دم في الساعة.
3. يحتاج الدماغ إلى 8-12 كأس ماء يومياً. وليس عصيراً
4. 90% من خلايا الدماغ غروية، 10% خلايا عصبية وهي المسؤولة عن التفكير.
5. لو فقدنا 2/1 مليون خلية عصبية يومياً، وعشنا قروناً، فلن نفقد شيئاً من طاقة الدماغ. فلدينا 100 بليون نيرون (خلية).
6. التعلم هو تغير فيزيولوجي يحدث في خلايا الدماغ العصبية. (عبيدات وأبو السميد، 2014).

وتعتبر هذه النسب وهذه الأرقام الرياضية مصدر قلق للعلماء لماذا جاءت بهذا

التقدير؛ ورغم كل ما سبق فلقد وجد العلماء أن نسبة ما يعرفونه عن الدماغ يساوي 0.05% فقط، وهذه النسبة مساوية لما يعرفه العلماء عن الكون؛ وما نسبته 95% يمثل الجزء المظلم للدماغ وهذا ما لا يعرفه العلماء. والغريب أن هذه النسبة مساوية للطاقة المظلمة في الكون التي يجهلها العلماء حتى الآن.

المطلب الثاني: فهم العلاقة بين العلم والدين.

نشير في هذا المطلب إلى وجود علاقات عميقة بين القرآن والعلم سواء علم الرياضيات أو علوم الفيزياء أو غيرها، تحتاج إلى اكتشاف على سبيل المثال قال تعالى ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ خِطِّ الْأُنثِيَّتَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ ائْتْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ ؕ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ: 11].

هذه الآية تتضمن نط رياضي يمكن تمثيله كالاتي $\langle 3/1, 2/1, 6/2, 3/1 \rangle$ $<6/1$

هذه المتوالية هي متوالية عددية متناقصة في هيئة كسور. حيث إن البسط يظل ثابتاً أو يتغير بشكل بسيط، بينما المقام يزداد تدريجياً، مما يؤدي إلى أن القيم تصبح أصغر. ويمكن ملاحظة ذلك وفق الحسابات:

$$3/2 = 0.666 \dots$$

$$2/1 = 0.5$$

$$6/2 = 0.333 \dots$$

$$3/1 = 0.333 \dots$$

$$6/1 = 0.166 \dots$$

القيم تتناقص بشكل عام. ومع ذلك، لا يوجد فرق ثابت بين حدود المتتالية، لذلك

هذه كسورية متناقصة. تشير هذه الأعداد النسبية إلى نقصان ميراث الميت، بعد تجميعه، وتوزيعه بين الورثة.

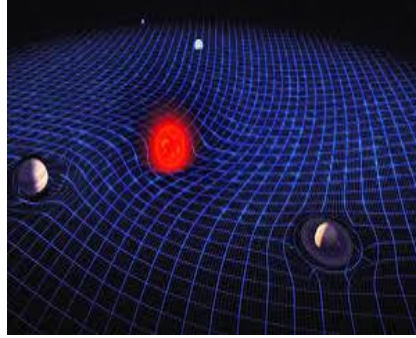
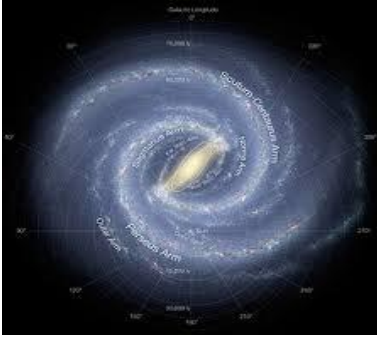
والمدحش أن هذه المتولية الخاصة بالميراث تحتوي على كسور عشرية منتهية، وبعضها غير منته، والرسول محمد صلى الله عليه وسلم كان أميًا لا يجيد القراءة ولا الحساب؛ وهذا النوع من الأعداد لم يكن معروفًا ولا معمولًا به في الجزيرة العربية؛ إنه لدليل على أن القرآن كلام الله.

ويؤكد (مصطفى، 2011) أن بعض المتعلمين في القرن الواحد والعشرين الذين درسوا الحساب لفترة طويلة في المدارس والجامعات لا يستطيعون التعامل مع هذا النظام من الكسور ويعتبرونه معقدًا بالنسبة لهم. ولهذا جعل القرآن تعلم نظام الأعداد الكسرية واجب لقسمة أنصبة الموارث بين الناس، ولم يأت أحد بعلم بديل عنه، بل استندت عليه الكثير من العلوم. الجاذبية الأرضية: ينص قانون الجاذبية لنيوتن (قوتا التجاذب بين جسمين ماديين في الكون تتناسب طرديًا مع حاصل ضرب كتلتيهما، وعكسيًا مع مربع المسافة بين مركزيهما (سلامة، 2014، ص 179). وعادة يتم كتابته كالآتي:

$$F=(G\times m_1\times m_2)/r^2$$

حيث F هي القوة الناتجة عن الجاذبية، G هو ثابت الجذب العام بين الكتل، m_1 هي كتلة الجسم الأول، m_2 هي كتلة الجسم الثاني، r هو البعد بين الجسمين. وهذا القانون اكتشفه العالم الإنجليزي إسحاق نيوتن. إذ يصف ظاهرة الجاذبية بين جسمين؛ والمشكلة التي واجهة نيوتن أنه لم يكن لديه أدنى تفسير لسبب حدوث الجاذبية. بمعنى آخر أنه لا يعرف طريقة عمل قوة الجاذبية، حتى جاء العالم ألبرت أينشتاين في القرن العشرين وأعطى تفسيرًا جديدًا لحدوث الجاذبية، وقدم نظريته النسبية المبنية على فكرة أن للفضاء أربعة أبعاد الطول والعرض والارتفاع والزمن، وكلها تشكل نسيجًا واحدًا أسماه الزمكان وهو يتعوج ويمتد قرب الأجسام الثقيلة بالكون كالكواكب والنجوم. وهذا النسيج هو الجاذبية من وجهة نظر أينشتاين، وأن الكواكب تبقى في مدارها ليس بسبب تأثير الشمس المباشر عليها، وإنما بسبب أنها تتبع انحناء معين

في النسيج المكاني الذي خلقه وجود الشمس.



شكل (1) مجرة درب التبانة بواسطة الكمبيوتر فيها خيوط الجاذبية (ويكيبيديا).

ولقد عبر القرآن عن حقيقة الجاذبية هذه بقوله تعالى ﴿خَلَقَ السَّمٰوٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۚ وَالْقٰى فِى الْاَرْضِ رَواْسِىَ اَنْ تَمِيْدَ بِكُمْ ۚ وَبَثَّ فِيْهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ۚ وَاَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَآءً فَاَنْبَتْنَا فِيْهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيْمٍ﴾ [سُورَةُ لُقْمَانَ: 10]

الله سبحانه وتعالى عالم غيب السماوات والأرض، ولقد خلق البشر على هيئة لا نرى منها إلا العالم ما فوق المجهرى، ولقد أخبرنا عن بعض علوم الغيب، كوجود الملائكة والجن والجنة والنار... وغيرها، وهناك عوالم تركها الله للعقل ليكتشفها، وإذا رجعنا إلى نسيج الزمكان نجد أنه يمثل أعمدة وخطوط صغيرة جدًا لا نراها بالإمكانات المتوفرة الآن، لكن حسابات الرياضيات تثبت وجودها، ويحتاج الإنسان إلى إمكانيات أكثر مما هو عليه اليوم للوصول إلى رؤيتها. ولذلك عندما تُقرأ الآية بغير عمد وألقى في الأرض... لكان النفي مطلق لعدم الرؤية، ولكن سبحانه وتعالى أرجع الرؤية للهيئة التي خلق البشر عليها، قبل أعمال العقل، وعندما يمتلك الإنسان تكنولوجيا تصوير أكثر تقدماً، سوف يجد خيوط الجاذبية، والرؤية في الآية السابقة تشبه رؤية الجن. في قوله تعالى عن الشياطين ﴿يٰٓبٰنِىْٓ اٰدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطٰنُ كَمَا اَخْرَجَ اٰبٰىيَكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ اٰتِهَمَا ۚ اِنَّهُ يَرٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِّنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۚ اِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطٰنَ اَوْلِيَّاءَ لِلَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ﴾ [سُورَةُ الْاَعْرَافِ: 27]. ولذلك لن يستغرب الإنسان في المستقبل عندما يسمع عن وجود آلة تستطيع تصوير هذه الكائنات التي تتفوق على البشر من حيث تعدد الأبعاد التي تتواجد فيها، واكتشاف وجود أماكنها.

ووفق نظرية الأبعاد يمكن أن يوجد للجن خمسة أبعاد يمكن التنقل من خلالها بين عالمين، العالم الذي يتواجدون فيه له خمسة أبعاد وعندما يتشبهون بالحيوانات ينتقلون إلى العالم الثلاثي الأبعاد الذي هو عالمنا؛ كما أن الملائكة تتفوق عليهم من حيث عدد الأبعاد والعوالم التي تستطيع التواجد فيها، ولديها القدرة على دخول عالم الجن والأنس والتشبه بالجان أو الإنسان، ولذلك الجن لا تستطيع رؤية الملائكة إلا في حالتين عندما تتشبه الملائكة بالجن أو الإنسان، أما عندما يكون الملك على هيئته التي خلقه الله عليها، لا تستطيع بقية المخلوقات الفيزيائية أو غير الفيزيائية رؤيتها إلا بمشية الله عندما يطوع هذه المخلوقات للأنبياء كما حدث مع الرسول صلى الله عليه وسلم وبعض الأنبياء. قال تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى وَثُلُثَ وَرُبْعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة فاطر: 1].

المبحث الثاني

الإجابة عن السؤال " كيف يمكن للرياضيات أن تكون وسيلة للتفاعل بين العلم والدين؟" الرياضيات علم مجرد، والمصطلحات الرياضية تدل على الكم، والعدد يدل على كمية المعدود والمقدار قابل للزيادة أو النقصان، وعند قياس المقدار يطلق عليه اسم الكم. والأرقام والصيغ الرياضية يمكن اكتشافها من خلال التفكير في أعماق الكون المسخر للإنسان وبين آيات القرآن، ولولا الضبط الدقيق لكل الأحداث الحاصلة داخل هذا الكون الهائل، لما أستطاع الإنسان الوصول إلى المعرفة التي يتباهى بها اليوم، أو صياغة النظريات والقوانين التي يدعي أنها مكتنته من فهم الطبيعة وما يدور حولها؛ نفسه هذا الضبط الذي مكنه بشغف من الوصول إلى ما وصل إليه هو نفسه موجود داخل وبين آيات القرآن الكريم؛ والفرق هو أن طبيعة وفضول الإنسان في الأغلب تبحث وراء المجهول وليس المعلوم، ودائماً البحث بالفطرة وراء المجهول تلتقي بالضرورة مع المعلوم، فمثلاً غاية خلق الكون والأرض من المعلوم في القرآن، لكن أحداث كل منهما مجهول يحتاج إلى تفكير.

الأرض تدور في مدارها حول الشمس بسرعة تقدر بـ(29.78) كم/ث، وهذا الدوران نصف دائري، أي أن الأرض لا تأخذ دورة كاملة حول الشمس، والشمس تجري بسرعة هائلة حول مركز المجرة، والمجرة تجري في الفضاء، الكل في حركة دوّوبة لا يوجد شيء ثابت في الكون (الكحيل، 2015).

قال تعالى ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (سورة الأنعام: 96) الله سبحانه وتعالى شق ضياء الصباح من ظلام الليل، فهنا الليل هو الدالة الأصلية؛ والنهار هو الدالة المشتقة أو المفاضلة [د(الليل)] / = النهار، وجعل الله الشمس والقمر كل يجري في فلكه بحساب دقيق لا يتغير ولا يخرج عن الشكل الهندسي الذي قدره الله فيه. وشق النهار من الليل هناء لحظي أي في لحظة ظهور الليل ينسلخ النهار، ولا يترتب على هذه الظاهرة حدث الأول أو الثاني.

وقال تعالى ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي

فَلَكِ يَسْبَحُونَ ﴿ (سُورَةُ يَس: 40). كان حدوثها في وقت واحد. كان اعتقاد الناس قديماً بأن الشمس تشرق ثم تغيب والأمر كذلك بالنسبة للقمر وأن الليل سابق النهار، فالله جل وعلا نفى أن يكون الليل سابق النهار لأن الناس كانوا يعتقدون أن الليل يسبق النهار فالله صرح هذا المفهوم لعبادة؛ وأكد سبحانه الاعتقاد الآخر الذي كان سائداً بين الناس بأن النهار لم يسبق الليل. لأن حدوث الليل والنهار يكون في وقت واحد فعندما تكون الأرض تواجه للشمس يكون نهاراً والجانب الآخر للأرض يكون ليلاً ويستمر هذا الدوران الناتج من كروية الأرض ودورانها. كما أن الشمس والقمر كلٌّ في مداره البيضاوي الذي لا يخرج عنه سنتيمتر واحد وإلى أن يشاء الله، فالشمس في مدارها لا تدرك القمر، والقمر في مداره لا يدرك الشمس، وهو أحد أجرام المجموعة الشمسية هو تابع للأرض والأرض تتبع المجموعة الشمسية وهذه المجموعة في حالة جريان مستمر.

وقال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ [سُورَةُ الْإِسْرَاءِ: 12].

يمتن الله على خلقه بهذا القرآن العظيم، وهذه الآيات العظام والتي يتضح فيها المعاكسة بين الليل والنهار، الليل للسكون والهدوء والنهار للانتشار وطلب العيش، وليُعرف الناس بنعمه عليهم، هذه الآيات توضح أنهم لا يطيقون الليل الأبدي ولا النهار الأبدي ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ لَئِنْ تَسْمَعُونَ﴾ [سُورَةُ الْقَصَصِ: 71]، ولذلك سبحانه جعل ظهور أحدهما يمنع حدوث الآخر في نفس المكان. في هذه الآية تظهر متوالية، فمحونا آية الليل أي أذهب الله أثر الليل، والليل سالب (معاكس) للنهار ستكون قيمته (-1) وجعلنا آية النهار مبصرة أي الإبصار يعاكس المحو ولذلك النهار تكون قيمته (1)، وبمأن الليل والنهار يتعاقبان إلى ما شاء الله لهما. تكون هذه هي المتوالية الهندسية للتعاقب الليل والنهار:

$$ح_n = \langle 1 - (-1)^{n+1} \rangle = \langle 1, -1, 1, -1, 1, -1, \dots \rangle, \exists n \text{ ط}^*$$



شكل (2) صورتين للأرض من موضعين مختلفين

كشفت الأبحاث في علوم الإحصاء والاحتمالات وعلوم الحياة أن الكون لا يمكن أن يكون قد حصل مصادفة أبداً، ذلك لأن فرصة تكوين جزئ واحد من البروتين الذي هو قوام الحياة في الخلية لا تنتهي عن طريق الصدفة المحضة إلا بنسبة 1: 10^{260} (أي واحد مقسوماً على 10 مضروبة في نفسها 260 مرة) وهذا مقدار ضئيل جداً يقترب من الصفر (كريك، 1988). وهذا الحدث يستلزم كمية من المادة أكثر مما يتسع له هذا الكون بملايين المرات. ويتطلب تكوين هذا الجزيء على سطح الأرض وحدها عن طريق المصادفة بلايين البلايين من السنوات قدرها عالم الإحصاء السويسري تشارلز يوجين جاي بأنها 10^{243} سنة علماً أن عمر الكون لا يتعدى 20 مليار سنة فقط (علماء الطبيعة الأمريكيين، 2004).

المبحث الثالث

الإجابة عن السؤال الثالث "كيف يمكن للفيزياء أن تكون وسيلة للتفاعل بين العلم والدين؟"

الإدراك الحسي المباشرة للإنسان غير قادرة على استيعاب وتصور أكثر من ثلاثة أبعاد مكانية، والفكرة التي جاء بها أينشتاين حول الأبعاد الأربعة المتضمنة للزمن، كانت خروجاً عن المألوف، ونوعاً من التجريد الذي يتضمن الاعتراف بوجود عوالم أخرى تفعل فعلها في العالم الحسي خارجاً عنه. فالزمكان الرباعي لا يمكن تصوره، بل يتعامل معها الفيزيائيين بصيغ رياضية ممثلة بالرموز الصماء التي يتلاعبون بها وفقاً لقواعد وأصول المنطق الرياضي المعتمدة والمثبتة، فيما نترك التصور الحسي جانباً في هذه المجالات. ولقد جاءت نظرية الكم لتكشف عن وجود عالم لما وراء المادة، وإن التغيرات الحاصلة في المادة ليست حتمية، وإنما تقدير احتمالي تتحرك خلاله تلك المتغيرات دون أن يكون هنالك من سبيل إلى القطع بحصول الحدث قطعاً نهائياً وغائياً (الطائي، 2010).

"عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي ذَرٍّ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ: "تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنُ لَهَا، وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ فَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنُ فَلَا يُؤْذَنُ لَهَا، يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا" (صحيح البخاري، ج4، ص107، 3199).

وقال تعالى ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ هَآذَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [سُورَةُ يَس: 38]

الشمس عبارة عن كرة ضخمة متوهجة من الغاز الساخن، يتكون معظم هذا الغاز من الهيدروجين حوالي 70% والهيليوم حوالي 28%. ويشكل الكربون والنيوتروجين والأكسجين 1.5% وتتكون النسبة الأخرى البالغة 0.5% من كميات صغيرة من العديد من العناصر الأخرى مثل النيون والحديد والسيليكون والمغنيسيوم والكبريت (Cool) Cosmos, 2024. يتركز في الشمس نحو: 99.86% من مجموع مادة المجموعة الشمسية، أما الجزء الضئيل الباقي من مادة المجموعة الشمسية وهو 14% يتوزع بين

الكواكب التسعة، وأن سبعة أعشار هذا الجزء يشكل كوكب المشتري؛ والشمس كرة (غازية) وليست صلبة كالأرض؛ ومساحة سطحها أكبر من مساحة الأرض 12000 مرة؛ وحجمها أكبر من حجم الأرض بـ 1305000 مرة؛ وكثافتها ربع كثافة الأرض أي 1.4 لأن كثافة الأرض 5.6. وأثبت الباحثون الفرنسيون في 1976 في معمل الفيزياء الخاصة بالنجوم والكواكب في فريزيرولوبويسون أن الشمس تنفس أي طبيعة التنفس بعكس السيارات الأخرى (أبوخليل، 1977). وكثافتها أقل من الأرض لأنها تتكون في معظمها من عناصر خفيفة. وتجري الشمس ومعها المجموعة الشمسية حول مجرتنا درب التبانة بسرعة 250 كم/ث في مدار إهليجي، وتستغرق 240 مليون سنة كي تكمل دورة كاملة حول المجرة، وعمرها والمجموعة الشمسية 5000 مليار سنة، وهو ما يكفي لإكمال نحو عشرين دورة حول مركز المجرة، وكل المجرات تقع داخل كون عمره 14 مليار سنة ضوئية (جربين، 2015).

أثبت العلم أن الشمس كرة من الغازات المتقدة قطرها حوالي 1,392,684 كم، وهو ما يعادل 109 أضعاف قطر الأرض؛ وكتلتها 2×10^{30} كجم وهو ما يعادل قدر كتلة الأرض 333,400 كجم مرة؛ وكتلتها ليست موزعة توزيعاً متساوياً على حجمها إذ أن كثافة الطبقات الخارجية للشمس في غاية الانخفاض (أقل من واحد على المليون من كثافة الماء) بينما تتزايد الكثافة كلما اتجهنا نحو المركز حيث تصل إلى مائة مرة قدر كثافة الماء. ودرجة حرارة سطح الشمس الخارجي 6000 درجة مئوية، وتتصاعد درجة الحرارة بسرعة وبانتظام إلى أن تصل إلى حوالي 20 مليون درجة عند المركز، ودرجة الحرارة في باطن الشمس تمثل القدر المطلوب لاندماج الهيدروجين إلى هيليوم وإنتاج الطاقة النووية التي تخرج على هيئة أشعة جاما التي تمتص بواسطة الغاز المحيط فتنتج الطاقة الحرارية والضوء بجميع أمواجه المرئية وغير المرئية وتنبعث هذه الطاقة في جميع الاتجاهات حول الشمس بمعدل 58×10^{22} حصان، يخلص الأرض منها جزء من 3200 مليون جزء ورغم هذا فإن الميل المربع من سطح الأرض يستقبل فقط ما يعادل 5 مليون حصان من الطاقة الشمسية (حسب النبي، 1991).

تعد الشمس جسمًا كرويًا شديد الحرارة يتكون من كتلة كثيفة من الغازات المتوهجة وتقع في قلب النظام الشمسي معظمها من الهيدروجين والهيليوم، والتي تجمعت قبل نحو 4.6 بليون سنة. هناك ثقب في منتصف الشمس، اختفت كتلة أكبر من الأرض بـ 1500 مرة، وكل ما نعرفه عن تصرفات الشمس يقول إن هذه الكتلة يجب أن تكون هناك- لكن عندما نحلل البيانات المرمزة في ضوء الشمس لا نجد لتلك القطعة من المادة أي أثر، وهذا الحدث زعزع فهم العلماء للكيفية التي تعمل بها الشمس؛ ويشير سارباني باسو (Sarbani Basu) من جامعة بيل: إذا أخطأنا في معرفة الشمس، فإننا نخطئ في كل شيء آخر (العلوم الطبيعية، 2017).

ويمكن القول أن فيزياء الكم لها وجود أكبر في العالم المجهرى، إلا أن حديث أبي ذر إذ نظرنا له نظرة استنباطية وحسب قوانين نظرية الكم، حيث أن الشمس هي كتلة كبيرة من الغازات مكونة من الذرات والجزيئات والفوتونات، وما ينطبق على الضوء وطبيعته ينطبق على الشمس وطبيعتها لأن الشمس هي مصدر الضوء، أي أن عالم الكم موجود داخل الشمس، والشمس هي حالة غازية وليست صلبة، بمعنى أن الشمس حسب قوانين ميكانيكا الكم ومبدأ الاحتمالية ممكن أن تتواجد في مكانين مختلفين، صورتها المادية الغازية التي نراها كل يوم، وصورة أخرى ربما غير منظورة لنا في العين المجردة، وحتى بالاستعانة بالمكروسكوبات الموجودة حاليًا على الأقل. وعليه الشمس تذهب وتسجد عند العرش بطبيعتها الفوتونية أو الضوئية، وليست بطبيعتها التي نراها.

العروج و(عَرَجَ) الشيء - عُرُوجًا: ارتفع وعلا فهو عَرِيج، فلان أعرج، وفي التنزيل ﴿تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [سُورَةُ الْمَعَارِجِ: 4]؛ (إِنْعَرَجَ) الشيء: انعطف ومال يمنه ويسره. يقال: انعرج النهر، وانعرج الطريق. وانعرجت الشمس: مالت للغروب (مجمع اللغة العربية، 2008، ص 591). الهندسة الحديثة (برنارد ريمان 1854، يانوش بوياني، 1832، نيكولاي لوباتشيفسكي 1829، كارك غاوس 1824) وضحت معنى الآية ولماذا تم استخدام لفظ العروج، إذ أثبتت هذه الهندسة أن الخطوط المستقيمة تُرسم في الفضاء كأقواس دائرية وحلزونات

وإهليجية؛ وهذه الهندسة تتقاطع مع النظرية النسبية لأينشتاين.

قال تعالى ﴿يُذَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يُعْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [سُورَةُ السَّجْدَةِ: 5] هذه الآية تشير ضمناً إلى سرعة الضوء وهي السرعة الكونية، والخطوات الآتية توضيح ذلك:

$$\text{أولاً: يجب تذكر قانون السرعة الذي يدرس في المرحلة الثانوية وهو السرعة} = \frac{\text{المسافة}}{\text{الزمن}}$$

ثانياً: متوسط السرعة المدارية للقمر = 3682.07 كم/س هذه القيمة معترف بها من وكالة ناسا الأمريكية؛ هذه السرعة مرصودة على أرض متحركة في مسار دائري حول الشمس، وبذلك تكون هذه السرعة أكبر من سرعة القمر وهو يدور حول أرض ساكنة، مما يعني أن سرعة القمر تتغير مقداراً واتجاهاً؛ وبعد عمليات حسابية بسيطة يمكن الحصول على متوسط السرعة المدارية للقمر وهو يدور حول أرض ساكنة، بعد التخلص رياضياً من تأثير فلك الأرض حول الشمس وبذلك تكون السرعة المدارية الحقيقية للقمر هي 3282.82315 كم/س؛ زمن الشهر القمري النجمي 655.71986 ساعة لأن زمن اليوم الأرضي النجمي = 86164.0906 ثانية (حسب النبي، 1991).

وعليه نضرب السرعة المدارية الحقيقية للقمر × زمن الشهر النجمي نحصل على ف = 2152612.336322759 كم، هذه المسافة الشهرية التي يقطعها القمر عند دورانه حول الأرض، والآن نضرب الناتج السابق في 12 للحصول على المسافة السنوية التي يقطعها القمر والتي تساوي 25831348.035873108 كم؛ والآن سنقوم بضرب هذا العدد في 1000 لان الآية تتحدث عن ألف سنة مما تعدون سنحصل على ما يقطعه القمر في ألف سنة من مسافة قدرها

$$25831348035.873108 \text{ كم.}$$

ثالثاً: يتم حساب زمن اليوم، الذي يحتوي 24 ساعة، وفيه 1440 دقيقة، وفيه 86400 ثانية، وهذا يعتبر اليوم الأرضي الافتراضي، لكن اليوم الأرضي الدقيق بالنسبة للنجوم يسمى باليوم النجمي - اليوم

النجمي هو الوقت الذي تستغرقه الأرض لتدور حول محورها بالنسبة إلى النجوم الثابتة والبعيدة في السماء- وطوله 86164.0906 ثانية، ويسمى الشهر بالنسبة للنجوم بالشهر النجمي وطوله 27.32166088 يومًا (دودح، 2006). الآن نعوض في المعادلة السابقة للحصول على سرعة الضوء:

$$\text{السرعة} = \frac{25831348035.873108}{86164.0906} = 299792.458 \text{ كم/ث وهي سرعة}$$

الضوء في علم الفيزياء بدقة.

ويعتبر العلماء أن هذه السرعة هي الوحيدة المطلقة في الكون، ولا يمكن أن توجد سرعة أكبر منها. ويرى الباحث أن هذا القول صحيح في إطار هذا العصر وما وصلنا إليه من تكنولوجيا، لكن مع تقدم العلم ستصبح هذه السرعة نسبية وليست مطلقة، لأن الكون نسبي بكل ما فيه، وهذه السرعة ناتجة من النجوم وغيرها من الأجرام السماوية التي تزودنا بمصادر الضوء وهي بذاتها نسبية؛ ولا يمكن للشيء النسبي أن يولد المطلق، هذه المسألة ستترك للأبحاث وتقدم علم الكم والكونيات.

المبحث الرابع

الإجابة عن السؤال الرابع "دور العلم في تعزيز القيم الروحية؟"

المطلب الأول: الأسباب التي تؤدي إلى الإلحاد

يشير (Burris, 2022) أن الملحدون لديهم مشاعر أقل إيجابية وأنهم يظهرون مشاعر سلبية أكثر، ويظهرون الإلحادية أكثر عندما لا يجدون لأنفسهم مكانة في المجتمع، كما أنه يتم الحكم عليهم بأنهم أقل ثقة في المجتمع.

ودعوة الطبيعيين على أن الطبيعة أوجدت نفسها، مثلت حيرة لهم، بأن وضعتهم في سؤال آخر، من أوجد الطبيعة ومن يتحكم في قوانينها؟ ولكي يتهربون من الإجابة عن هذا السؤال يدعون وجود قانون، يتحكم في كل القوانين وهو ليس جزء منهم، وأنهم سيتوصلون له يوماً ما؛ وينتهي بهم الأمر إلى وجود مشرع ومشغل لهذه القوانين، ولا بد من وجود قيوم لهذه القوانين، وهنا يظهر اضطرابهم النفسي، فلا يريدون الاعتراف بأن الله الحي القيوم هو من يتحكم في هذه القوانين التي تسير وتضبط الكون.

أن العالم يخضع للمنطق، فأحداثه لا تحكمها النزوات بل القانون القائم على الضبط الدقيق لهذه الأحداث؛ وهدف العلم هو اكتشاف هذا النسق الدقيق، ولا يمكن وصفه إلا بالمصطلحات الرياضية (جينز، 1998).

ووفق قوانين الاحتمالات والإحصاء لا يمكن أن تكون الصدفة مطلقة، وإنما تكون وفق احتمالية جوازيه محددة بفترة. وحتى فكرة الأكوان المتعددة وظهور الكون الذي نحن فيه بالصدفة، لا يمكن أن يقبل علمياً لأن ذات السؤال يطرح على الطبيعيين أنفسهم وهو من يتحكم باحتمالات هذه الأكوان. وأما بالنسبة لأزلية الكون فأن قوانين الفيزياء الحديثة والرياضيات الحديثة تعارض بشدة هذه الفكرة، ولا يوجد أي أساس علمي ثابت أو حقيقي عند العلماء وحتى الطبيعيين منهم يدعم فكرة أزلية المادة؛ بل إن العلم الحديث - الفيزياء النسبية والكمية والرياضيات الحديثة - أثبت عكس ذلك تمام بوجود نقطة بدء للكون؛ وبذلك انهارت أهم قاعدة يتمسك بها الملحدون وهي "أزلية المادة".

ولقد جاءت فكرة وجود بداية للكون من نظرية التوسع التي يشهدها الكون حيث أكتشف الإنسان أن النجوم تتجمع في حشد كبير يدعى المجرة وأن المجرة الواحدة تحتوي في المتوسط على أكثر من مائة بليون نجم، بالإضافة إلى كميات هائلة من التراب والغاز الكوني، وأوضحت المراصد الحديثة لنا وجود أكثر من 2 بليون مجرة في هذا الكون العظيم، وأن المجرات تفصلها مسافات تفوق الوصف والخيال، وهي في حالة تباعد مستمرة عن بعضها البعض منذ نشأة الكون وفق ما تقرره نظرية الانفجار الكوني العظيم (حسب النبي، 1991).

قال تعالى ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (سُورَةُ الذَّارِيَاتِ: 47)؛ وقال تعالى ﴿فَلَا أُفْسِسُ مَوَاقِعَ النُّجُومِ﴾ (سُورَةُ الْوَاقِعَةِ: 75)، وهاتان الآيتان تشيران إلى نظرية تمدد الكون.

العالم بول سي فيتر كان ملحدًا ثم رجع إلى الدين ويقول عن نفسه العوامل الأساسية الداخلة في جعلني ملحدًا لم تكن فكرية، وإنما اجتماعية ونفسية، وكنت أخرج في الغرب من كوني شرقي؛ ورغبت في أن أكون جزءًا من العالم العلماني الجديد الفاتن الذي كنت أنتقل فيه؛ ومن الأسباب التي دفعني للإلحاد أيضا رغبت في أن يقبلني العلماء ذوو القوة والتأثير، حيث جمعت بشكل كبير بين طموحاتهم المهنية الشديدة ورفضهم للدين؛ وأيضا الجو السائد في المجتمع الغربي أن الإلحاد جزءًا من الاستقلال الشخصي (فيتز، 2013).

ولقد عرض عالم النفس الأمريكي بنيامين هلاهي في دراسة بعنوان (النمط النفسي للملحد) نتيجة ما توصل إليه بخصوص عينة الدراسة، التي أجريت على 320 عضوًا من أعضاء الاتحاد الأمريكي لتقدم الإلحاد، ليتضح أن نصف من تبناوا الإلحاد قبل سن العشرين - وهم أغلبية العينة - فقدوا أحد والديهم قبل هذا السن، وأن عددًا كبيرًا منهم عانى من أزمات تربوية في طفولته وصباه (Hallahmi, 2011).

تأثير الملحدين على الشباب:

إن الملحدين يستخدمون المغالطات المنطقية التي لا يستطيع الشباب اكتشافها مثلًا الاحتكام إلى قول العالم الكبير، أو الاحتكام إلى قانون جميع القوانين الذي سيتم اكتشافه

يومًا ما.

مثلاً على ذلك أشهر عالم فيزياء ملحد ومروج للإلحاد يستخدم المغالطات المنطقية هو العالم لورنس كراوس لديه متابعون كثر ومن ضمن ما يقول: أن هناك ثلاث قوى موجودة في الطبيعة الكهرومغناطيسية، والجاذبية، والطاقة النووية القوية والضعيفة إذ اتحدت هذه القوى يمكنها تحويل العدم إلى وجود مثل تخليق أشياء في الطبيعة مثل الحيوانات وغيرها... والمغالطة هناء التي يضلل بها كراوس هي أنه احتكم إلى قانون الجاذبية وقانون الجاذبية هو قانون في الطبيعة يستند إلى مجموعة قوانين أخرى؛ وهو لا يمثل قوة خارجية، ولذلك قانون الجاذبية لا يمكن أن يكون قانون لجميع القوانين ولا يمتلك هذه الخاصية (الطائي، 2015).

ستيفن هوكينج تبنى التصور الإلحادي للكون وهو أشهر علماء الفيزياء بل أن كثير من العلماء يعتبرونه أية في العلم، وهو يقول "لأنه هناك قانون مثل الجاذبية، فأن الكون يمكنه أن يخلق نفسه من اللاشيء" ليعلن إلحاده للعالم ولقد قال "ليس من الضروري أن يشعل الإله فتيل بداية الكون حتى يسير كما هو عليه".

العالم البريطاني ستيفن هوكينج عام 1963م أصيب بمرض التصلب الجانبي الضموري، وكان عمره حينذاك 21 عامًا فقط، قال له الطبيب المعالج بأنه تبقى له سنتان فقط ليعيشها، فحزن حزناً شديداً، وكتب واصفاً مشاعره: "شعرت بأن هذا غير عادل تماماً، لماذا يحدث هذا لي؟ في هذا الوقت، ظننت بأن حياتي قد انتهت، وأني لن أشعر بطاقتي الحقيقية أبداً" ورغم ذلك استمر على قيد الحياة، وصارت حياته موضعاً للعديد من الإنجازات العلمية، لكنه مرة أخرى تعرض لحادثة مؤلمة، ففي عام 1985م وأثناء رحلته إلى جنيف أصيب بالالتهاب الرئوي، واضطر الأطباء إلى إجراء ثقب في رقبته لتمكينه من التنفس، وأصيب بالشلل مما أفقده القدرة على النطق بشكل كامل، لكنه استمر ماضياً في مشواره العلمي رغم حالته التي كان عليها، وهو قعيد على كرسي متحرك، ونشر العديد من الكتب والذي اشتهر بها مثل كتاب "تاريخ موجز للزمن". (السيد، 2022). وكان يقول في كتابه الأخير " ليس هناك إله؛ لا يوجد أحد يؤثر في الكون. وأضاف على مدى قرون، كان يُعتقد أن الأشخاص المعاقين

مثلي يعيشون تحت لعنه ألحقها الله، لكن الأفضل أن أعتقد أن كل شيء يمكن تفسيره بطريقة أخرى، من خلال قوانين الطبيعة (Sample, 2018؛ مجدي، 2018).

وبعد هذا الاستقرار الموجز من حياة ستيفن هوكينج يتضح أن إلحاده كان بسبب الحالة النفسية الناتجة عن المرض الذي أصابه منذ شبابه واستمر معه وهو في حالة شلل على كرسي متحرك إلى أن توفي في 2018/3/14م. والمفارقة الغريبة في حياة هذا العالم عندما ذهب إلى الطبيب وجد عنده مرض التصلب الجانبي الضموري وأن حياته تبقى منها سوى سنتين، إلا أنه استمر أكثر من 50 عامًا بعد ذلك، المفترض أن هذا العمر المديد يغير نظرتة نحو الوجود، رغم أن أبحاثه طوال حياته يبحث فيها عن الله. وكان لا يؤمن إلا بالتجربة والمنهج التجريبي، وما فعل فيه الطبيب هو تشخيص عن طريق التجربة والتي هي إحدى أدوات المنهج التجريبي الذي يدعي إيمانه به.

المطلب الثاني "كيف يمكن للعلم والدين أن يحققا الانسجام بينهما لفهم الكون"

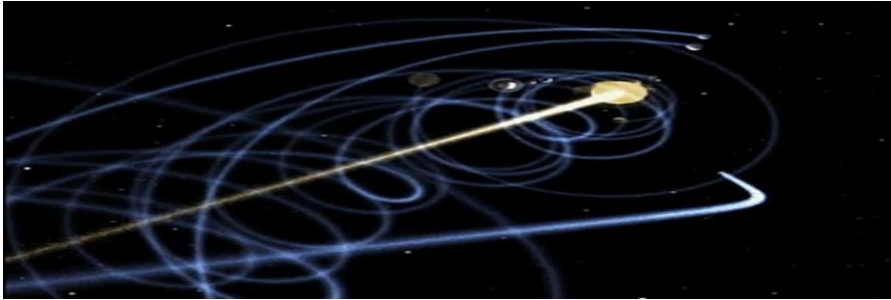
وبالرجوع إلى الحديث عن الشمس يقول تعالى ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ هَآ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [سُورَةُ يَس: 38]. فالآية تشير صراحة إلى أن الشمس تجري، وكلمة تجري ليست كما تمشي أو تسبح، وإنما الجريان يشبه جريان الخيل أو الإنسان... وخلافًا للاعتقاد الذي كان سائدًا لقرون طويلة أن الأرض ثابتة وأن الشمس تدور حولها، ثم تغير هذا الاعتقاد مع النهضة العلمية الحديثة منذ القرن السابع عشر لينظر العلماء وقتها إلى الشمس على أنها ثابتة وأن الكواكب تدور حولها. ولكن بعد اكتشاف المجرات وبعد الدراسات الدقيقة التي أجريت على الشمس تبين أن الشمس تسير وتتحرك بشكل حلزوني وليس في خط مستقيم. وأنها لها ثلاث حركات الأولى تتحرك حول مركز المجرة بسرعة تبلغ 240 كم/ث، والأخرى تتحرك باتجاه مركزها؛ ولقد بينت الدراسات أن الشمس تتحرك حركة دورانية وتتذبذب يمينًا وشمالًا، مثل الإنسان عندما يجري ويميل لليمين واليسار، ولذلك فهي ترسم من خلال حركتها مسارًا متعرجًا في الفضاء، وهناك حركة ثالثة للشمس لاحظها العلماء حديثًا وهي حركتها مع المجرة (درب التبانة) وهي

مجرتنا وتسير بسرعة 600 كم/ث ومعها جميع النجوم ومنها شمسنا (الكحيل، 2015).

ويمكن القول إن الجريان يعني أن هناك صعودًا وهبوطًا؛ وهذا هو الوصف الدقيق للجريان، أي الحركة بشكل حلزوني متعرج للشمس، ولذلك الحركة في خط مستقيم ممكن أن تعني أن السرعة ثابتة وأن التسارع صفر وفق قوانين الفيزياء الكلاسيكية؛ لكن تبين أن الخطوط المستقيمة لا وجود لها في الفضاء وفق ما تنص عليه مفاهيم الهندسة الحديثة والفيزياء النسبية، ولذلك الكون عبارة عن دوائر وحلزونات ومنحنيات. وعليه فإن الحركة الحقيقية للشمس هي عبارة عن حركة تموجيه اهتزازية أشبه بأمواج البحر، وكواكب المجموعة الشمسية لها نفس الحركة الحلزونية نتيجة لتلك التموجات.



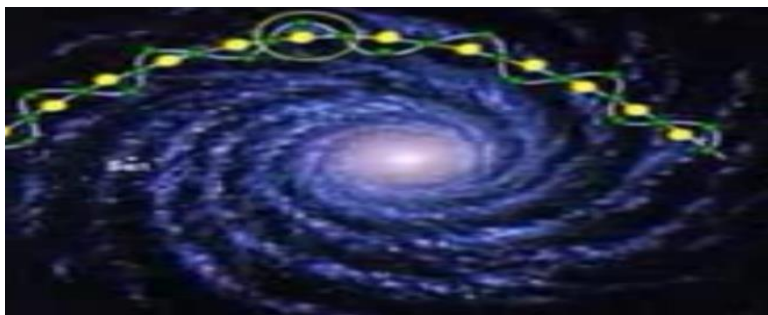
شكل (3) تقريبي بالكمبيوتر يوضح جريان الشمس بحركة اهتزازية تموجيه



شكل (4) تقريبي بالكمبيوتر يوضح جريان الشمس حول المجرة ونحو المركز ومعها المجموعة الشمسية

مصدر الصور (الكحيل، 2015)

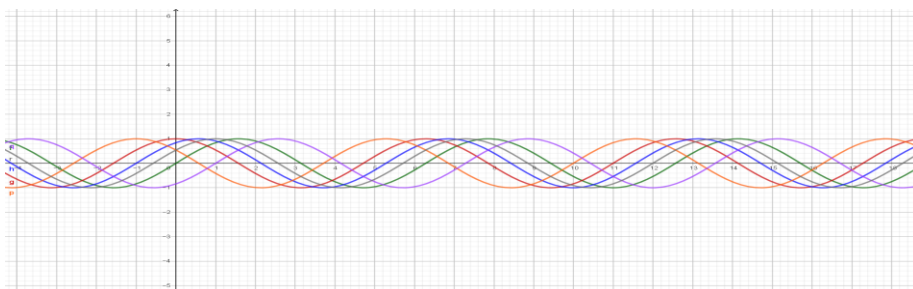
وتأخذ الأرض في حركتها حول الشمس شكل (نصف دائري) حلزوني متعرج صعودًا وهبوطًا والشكل الآتي يوضح كيفية دوران الأرض حول الشمس.



شكل (5) يوضح شكل حركة الأرض حول الشمس (الكحيل، 2015)

ومن الناحية الرياضية حركة الشمس والكواكب باستخدام الصيغ الرياضية للجيب

وجيب التمام وعلى النحو الآتي:



شكل (6) يوضح حركة الشمس والكواكب في الفضاء حسب دالتي الجيب وجيب التمام (الباحث)

المبحث الخامس

الإجابة عن السؤال السادس " ما الدور الذي يلعبه الذكاء الاصطناعي في تحقيق

الانسجام بين العلم والدين؟"

استعان الباحث في هذا المبحث بتقنيات الذكاء الاصطناعي Chat GPT ويمكن أن يكون أداة فعالة في استكشاف العلاقة العميقة بين القرآن الكريم والعلم من خلال تطبيق تقنيات متقدمة تعتمد على الرياضيات والفيزياء، مع الحفاظ على الطابع الإيماني والروحي للنصوص القرآنية. ولقد قام الباحث بتوجيه سلوك البرنامج بموضوعية ومهنية، وهذه بعض الطرق التي يمكن من خلالها تحقيق ذلك:

1. تحليل النصوص باستخدام تقنيات معالجة اللغة الطبيعية (NLP)

تقسيم النصوص القرآنية: يمكن للذكاء الاصطناعي تحليل الآيات المتعلقة بالعلوم (مثل خلق الإنسان، الكون، المياه، الجبال) لاكتشاف القوانين التي قد تتشابه مع قوانين العلوم أو الرياضيات.

النمذجة: استخدام تقنيات مثل النماذج اللغوية الكبيرة مثل (GPT) لفهم سياق الكلمات وتحليل العلاقة بين النصوص القرآنية والمفاهيم العلمية.

تم طرح سؤال على الذكاء الاصطناعي ما الإعجاز العلمي في قوله تعالى ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [سُورَةُ طه: 55] كانت الإجابة كما يأتي:

هذه الآية تحمل معاني عميقة يمكن الربط بينها وبين العديد من الحقائق العلمية التي اكتشفت حديثاً في مجالات عدة، مثل علوم الفضاء والجيولوجيا وعلوم الأحياء. فيما يلي تفسير علمي دقيق لهذه الآية موثق بمراجع علمية:

1. "مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ":

يشير هذا الجزء من الآية إلى أن الإنسان خُلق من الأرض. وقد أظهرت الدراسات العلمية أن المواد الكيميائية الأساسية التي يتكون منها جسم الإنسان مثل الكربون،

والهيدروجين، والأوكسجين، والنيتروجين، والكالسيوم، والفسفور كلها موجودة في تربة الأرض. ويحصل عليها الإنسان من خلال الألبان ولحوم الحيوانات، وعمل هذه العناصر يشير إلى دورة المواد في الطبيعة، ووجود العناصر الأساسية للحياة على كوكب الأرض) سمير، (NASA, 2011؛ 2019).

2. "فِيهَا نُعِيدُكُمْ":

وهذا الجزء الثاني من الآية يتحدث عن عملية الموت، حيث يُعاد الإنسان إلى الأرض بعد وفاته. هناك عمليات كيميائية تحدث في الأرض، مثل تحلل الجسد تدريجياً بفعل البكتيريا والعمليات البيوكيميائية، حيث تتحول العناصر المكونة له إلى مكونات التربة، مما يعيدها إلى مصدرها الأصلي.

3. "وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى":

كما أن هذا الجزء يشير إلى عملية البعث أي ولادة الإنسان من الأرض؛ العلم الحديث يؤكد أن العناصر الكيميائية التي يتكون منها جسم الإنسان تبقى في الأرض (National Geographic, 2020 & NASA, 2011). وفي يوم القيامة، سيعيد الله بقدرته تركيب الإنسان من هذه العناصر، وهو وعد إلهي لا شك فيه.

ويرى الباحث أن الإعجاز العلمي في هذه الآية أيضاً يشير إلى قانون حفظ الطاقة والذي ينص على أن (المادة لا تفنى ولا تستحدث من العدم، وإنما تتحول من شكل إلى آخر) تجدد الحياة والمواد في الطبيعة من خلال العمليات البيولوجية والكيميائية، وهو ما يتوافق مع العديد من الاكتشافات العلمية الحديثة التي توضح كيف أن الأرض هي مصدر الحياة ومكان العودة إليها بعد الوفاة. العلماء يتفقون على أن الحياة على الأرض تعتمد على تفاعل معقد بين العناصر الكيميائية التي تشكل الأرض والكائنات الحية.

هذا التفسير يبرز كيف تتوافق الآية مع مفاهيم علمية معاصرة تشير إلى تفاعل الأرض مع الحياة من خلال موادها وأحيائها.

2. تطبيق النمذجة الرياضية

النسب الرقمية والإعجاز العددي: يمكن استخدام الذكاء الاصطناعي لاستكشاف الأنماط الرقمية في القرآن (مثل عدد مرات ذكر كلمات معينة) وربطها بمفاهيم رياضية أو فيزيائية.

تحليل العلاقات المتغيرة: يمكن إنشاء نماذج رياضية تصف العلاقة بين الظواهر المذكورة في القرآن وبين الظواهر الطبيعية.

النمذجة الرياضية في القرآن الكريم تتجلى في العديد من الآيات التي تعتمد على الأرقام، النسب، التقدير، والتوازن. يمكن الاستفادة من هذه الإشارات لإجراء تحليلات ونمذجة رياضية. وفيما يأتي أمثلة توضيحية:

1. النسب الرياضية في الميراث

في سورة النساء، حدد الله تعالى أنصبة الورثة بنسب دقيقة. مثال:

قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ﴾ [النساء: 11].

النمذجة: إذا كان نصيب الأنثى x ، فإن نصيب الذكر هو $2x$.

وبذلك سيكون المجموع الكلي $x+2x=y$. وبفرض أن y هو الوارث = 1

إذن، نصيب الأنثى = $1/3$ من الميراث، ونصيب الذكر = $2/3$.

2. التوازن الكوني في سورة الرحمن

قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ، أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ [الرحمن: 7-8].

النمذجة: يشير الميزان إلى الاتزان الرياضي والفيزيائي. في الكون، يمكننا تمثيل القوى أو العلاقات الكونية بمعادلات خطية أو تفاضلية تضمن التوازن، هذه الآية يمكن أن تشير إلى أشهر معادلة كونية في التاريخ للعالم ألبرت أينشتاين $E=MC^2$ والتي تعني أن الطاقة تساوي الكتلة ضرب مربع سرعة الضوء.

3. الإشارة إلى مضاعفات العدد سبعة

قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: 12].

النمذجة: هنا يمكن استخدام النظام الرياضي المبني على الرقم 7 كنموذج دوري أو

كسلسلة. مثلاً:

إذا كانت السماء تُعبر بوحدة K ، فإن المجموع الكلي للسموات والأرضين هو $7K+7K=14K$.

4. النمذجة الاحتمالية في آية الغزوة

قال تعالى: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 249].

النمذجة: يمكن صياغة هذه الآية رياضياً من منظور الاحتمالات، حيث تكون نتيجة المعركة متعلقة بمزيج من العوامل: فكلمة قليلة تلمح إلى النصر والفوز بأذن الله، والآية يمكن أن تشير إلى مفهوم احتمالي وهو كلمة على الأقل أي يشير إلى حدوث الزيادة المفاجئة وهو ما حدث في غزوة بدر فالزيادة حصلت بنزول الملائكة ومساعدتهم للمسلمين حتى تحقق النصر.

3. البحث عن توافق المفاهيم العلمية والقرآنية

التشابه مع النظريات العلمية: الذكاء الاصطناعي يمكنه الربط بين المفاهيم العلمية المكتشفة (مثل توسع الكون) وبين ما ورد في القرآن الكريم، باستخدام تقنيات استخراج المعرفة.

نمذجة الظواهر الطبيعية: الذكاء الاصطناعي يمكنه دراسة الظواهر الفيزيائية والرياضية

مثل

حركة الكواكب أو انكسار الضوء ومحاولة فهم إذا ما كان هناك توافق ضمني مع

إشارات قرآنية.

4. التعلم العميق واكتشاف الأنماط.

الشبكات العصبية العميقة: يمكن استخدامها لاكتشاف أنماط مخفية بين النصوص

القرآنية ومعلومات علمية، مما يسمح بالتعرف على القوانين الطبيعية المضمرة في النصوص.

النماذج التنبؤية: يمكن تطوير نماذج قادرة على تفسير العلاقة بين نصوص قرآنية

وتطورات علمية مستقبلية.

5. ربط العلوم الروحية والمادية

التفسير العلمي للروحانيات: دراسة العلاقة بين الإيمان والعلم من منظور قوانين طبيعية (مثل قوانين الطاقة والوعي) قد تعطي أبعادًا جديدة لفهم الآيات.

تجارب تفاعلية: إنشاء تجارب تعليمية باستخدام الذكاء الاصطناعي لتفسير الآيات المتعلقة بالخلق أو الكون عبر محاكاة الظواهر العلمية.

6. أمثلة عملية

دراسة قوانين الكون: مثل العلاقة بين تمدد الكون "والسماء بنيناها بأيدي وإنا لموسعون" وبين اكتشاف توسع الكون في علم الفيزياء.

النظم الإيكولوجية: مثل تحليل نظام المياه ودورة الحياة في القرآن باستخدام النمذجة البيئية.

تم طرح على الذكاء الاصطناعي مجموعة من الأسئلة وهي:

السؤال الأول: ما أسباب انتشار ظاهرة الإلحاد؟

فكانت الإجابة هي: ظاهرة الإلحاد وانتشارها تعود إلى مجموعة من العوامل التي تتنوع بين الفردية، والاجتماعية، والثقافية. من بين الأسباب الأكثر شيوعًا:

-الصدام بين الدين والعلم:

البعض يرى أن الأديان تقدم تفسيرات للكون والحياة تتعارض مع النظريات العلمية الحديثة، مما يجعلهم يختارون الاعتماد على العلم بدلاً من الدين. ويمكن مساعدة هؤلاء بأن هناك العديد من العلماء المسلمين الذين لا يرون تعارضًا بين إيمانهم والاكتشافات العلمية، وعلى رجال العلم أن يحترموا المعتقدات الدينية، لأن ذلك قد يؤدي إلى رفض أكبر للعلم.

-التأثير الاجتماعي والثقافي:

في المجتمعات ذات التوجه العلماني، قد يتزايد الإلحاد كنتيجة لتأثير وسائل الإعلام، التعليم، والانفتاح على أفكار جديدة تدعو للتفكير الحر والنقد.

-رد الفعل على التطرف الديني:

انتشار التطرف، العنف باسم الدين، أو استغلال السلطة الدينية قد يؤدي البعض إلى الابتعاد عن الدين بالكامل.

-الأزمات الشخصية أو الاجتماعية:

قد تكون المآسي الشخصية أو الفشل في العثور على إجابات لأسئلة وجودية سبباً في تخلي البعض عن المعتقدات الدينية.

-تأثير التعليم والفلسفة:

دراسة الفلسفة أو العلوم الاجتماعية، التي تطرح أسئلة حول الدين والوجود، قد تجعل البعض يعيد التفكير في معتقداته.

-غياب القدوة الدينية:

ضعف تمثيل الدين بشكل صحيح، أو ظهور رجال دين غير أكفاء أخلاقياً وفكرياً، قد يدفع البعض إلى التشكيك أو ترك الدين.

-الدافع النفسي:

بعض الأفراد يرون في الإلحاد تحرراً من القيود الدينية، خاصة في أمور الحريات الشخصية.

-تأثير الإنترنت:

الإنترنت يتيح الوصول إلى أفكار نقدية تجاه الدين، بالإضافة إلى الحوارات والنقاشات التي قد تثير شكوكاً لدى الأفراد.

لمعالجة هذه الظاهرة:

1. يجب العمل على تقديم تفسيرات دينية عقلانية تتوافق مع العلم.

2. تعزيز الحوار بين الأديان والفلسفات المختلفة.

3. نشر التعليم الديني الوسطي والمعتدل.

4. معالجة قضايا التطرف، والفساد، وسوء استخدام الدين.

السؤال الثاني: كيف يتم التعامل مع الملحدين، وكانت الإجابة باتباع خطة علمية منهجية

تتضمن:

- 1- البحث والاستقصاء: جمع معلومات حول الأسباب التي تدفع هؤلاء للعزوف عن الدين، مثل التجارب الشخصية أو سوء الفهم.
- 2- الحوار المفتوح: ابدأ بحوار صريح وهادئ، مع التركيز على الاستماع لمخاوفهم وتفهم وجهات نظرهم.
- 3- تقديم معلومات مدعومة: استخدام حقائق علمية وتاريخية لتوضيح نقاط الالتقاء بين العلم والدين.
- 4- التوعية والإرشاد: تقديم لهم مصادر موثوقة تساعد على فهم أعمق للدين بطريقة علمية.
- 5- التجارب الواقعية: إشراكهم في نقاشات وورش عمل تظهر لهم تأثير الإيمان في تحسين جوانب حياتهم.

السؤال الثالث: كيف يمكن للعلم أن يفسر جوانب من الإيمان بشكل إيجابي ومفيد على سبيل المثال:

- (أ) علم النفس الإيجابي: يظهر أن الإيمان والممارسات الروحية مثل الصلاة والتأمل يمكن أن تحسن الصحة النفسية وتقلل من مستويات التوتر والقلق.
- (ب) علم الاجتماع: دراسات عديدة تبين أن المجتمعات التي تتمتع بقيم دينية قوية غالبًا ما تكون أكثر تماسكًا ودعمًا للأفراد.
- (ج) علم الأعصاب: هناك أبحاث تشير إلى أن الإيمان يمكن أن يؤثر إيجابيًا على نشاط الدماغ، مما يساعد في تحسين المزاج والشعور بالرضا.

نتائج الدراسة:

وبناءً على عرض الأدب المتعلق بالعلاقة بين العلم والقرآن من خلال قوانين الرياضيات والفيزياء والذكاء الاصطناعي وأراء عينة الدراسة من الخبراء والمختصين توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1- العلم حقيقة تلازم الإنسان والتوسع الهائل فيه نتيجة لحاجة الإنسان له، والعلاقة بينه وبين القرآن علاقة انسجام تام وهذه العلاقة، تظهر لدى الموضوعيين المستبصرين، ممن يمتلكون علم القرآن وعلوم الطبيعة أو علوم الإنسان.

2- من لديهم قصور في أي من علوم القرآن أو علوم حياة الإنسان تؤدي بالضرورة إلى ظهور نظرة قاصرة فالذي يتحدث بلسان العلم وهو لا يفقه شي من علوم القرآن يجد التعارض وهذا التعارض قد يكون سببه سوء الفهم الذي هو نتيجة للحدة العلمية أو الحالة النفسية أو الحالة الاجتماعية أو.....؛ وبالمثل فالذي يرفض الحقائق العلمية من رجال الدين تظهر عندهم نظرة قاصرة إلى العلم، وهذه النظرة قد تكون لها نفس الأسباب السابقة، أو قد تكون بسبب سماع الشبهات التي تثار حول التعارض ممن يعانون من نفس الأسباب أصلاً.

3- القرآن الكريم كتاب هداية وعلم وعمل، وهناك آيات كثيرة ذكرت بعضها في سياق هذا البحث.

4- أغلب النظريات العلمية التي أثبتت التجارب صحتها، وتحولت إلى حقائق لا تتعارض مع النصوص القرآنية، بل تدخل كثير من هذه النظريات في معانيها.

5- رفض الحقائق العلمية أو رفض علوم الدين لها أثرها على الشباب ومستقبلهم ومنها: العزلة الفكرية، وتقليل فرص التعليم والعمل، والشك في كل شيء، والصراع الداخلي، والانتحار وعدم تطور المجتمع علمياً أو أخلاقياً.

6- الشباب يحتاجون إلى البحث عن المعرفة، والتعلم الذاتي، والتواصل الكوني والروحي، والتفكير النقدي، والتوازن بين العلم والدين والتكامل المعرفي، والاستمرارية والصبر.

التوصيات:

1. توعية الشباب وخاصة طلبة المدارس والجامعات بالتأمل والتفكير في الآيات القرآنية وربطها بالعلوم.
2. إدخال مقرر أو موضوعات للمناهج الدراسية تتعلق بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية.

3. إقامة دورات خاصة بأساليب الاستكشاف والتفكير العلاقي والنمطي والتشعبي لمساعد الطلاب على إدراك العلاقة والانسجام بين الآيات القرآنية والحقائق العلمية.
 4. توجيه المنظمات الدينية من ذوي الاهتمام المشترك، ومن العلماء والباحثين إلى تدريب برامج خاصة بالذكاء الاصطناعي، ومرتبطة بالشبكة العنكبوتية العالمية وبلغات متعددة، الغرض منها اكتشاف العلاقة بين العلم والدين وإثراء المحتوى المتعلق بهذا الموضوع على نطاق واسع.
 5. توجيه طلبة الجامعات والمدارس والمعلمين والباحثين إلى منصات الذكاء الاصطناعي كـ ChatGPT؛ DeepSeek وعمل محاورات مع هذه البرامج حول هذه العلاقة والتوجه نحوها كون هذا البرامج تتعلم وتستفيد بصورة آلية من المحادثات.
- المقترحات:**

1. إجراء دراسة مسحية توضح عدد الملحددين على مستوى اليمن والعالم العربي.
2. إجراء مزيد من الدراسات المماثلة التي تؤكد على وجود الانسجام بين القرآن والعلم.
3. إجراء دراسة مماثلة الغرض منها دراسة العلاقة بين العلم والسنة النبوية كالتطبيقات الزراعية...

المراجع

- ابن منظور، جمال (2010). لسان العرب، السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ج1، ص123.
- أبو خليل، شوقي (1977). الإنسان بين العلم والدين، الطبعة الثانية، دمشق: دار الفكر.
- بكرو، خالد (2017). رياضيات القرآن الكريم المصنفات، المجلة الدولية للتطبيقات الإسلامية في علم الحاسب والتقنية، 5 (3)، ص14-28.
- بكرو، خالد (2017). رياضيات القرآن الكريم الإحصاء، إندونيسيا: المؤتمر الدولي الخامس للتطبيقات الإسلامية في علوم الحاسوب وتقنياته.
- بوش، فريدريك وجيرد، دافيد (2001). أساسيات الفيزياء (ترجمة سعيد الجزائري ومحمد

سليمان)، الطبعة الأولى: مص: الدار الدولية للاستثمارات الثقافية.
 جينز، جيمس (1998). *الفيزياء والفلسفة* (ترجمة جعفر رجب)، مصر: دار المعارف.
 جرين، جون (2015). *المجرات مقدمة قصيرة جدًا* (ترجمة محمد فتحي خضر)، الطبعة الأولى، مصر: مؤسسة هنداوي.
 حسب النبي، منصور (1991). *الكون والإعجاز العلمي للقرآن*، الطبعة الثانية، القاهرة: دار الفكر العربي.
 دودح، محمد (2006). *سرعة الضوء في القرآن الكريم*، الطبعة الأولى: الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
 دعبول، موفق والأحمد، خضر وقابيل، بشير والبواب، مروان (2018). *معجم مصطلحات الرياضيات*، دمشق: مجمع اللغة العربية بدمشق.
 زويل، أحمد (2010). *عصر العلم*، الطبعة الثانية عشر، القاهرة: دار الشروق.
 السيد، إبراهيم (2022). *ستيفن هوكينج.. الفيزيائي اللامع والفيلسوف الفاشل*، الجزيرة، تم الاسترجاع 2025/1/10 من www.aljazeera.net
 سمير، رقية (2019). *العناصر الكيميائية في جسم الإنسان*، مجلة كوكب العلم، تم الاسترجاع 2024/12/20 من

<https://www.bibalex.org/sciplanet/ar/article/details.asp?x?id=12462>

سلامة، ميرفانا (2014). *معجم الفيزياء (التعريفات العلمية)*، الطبعة الثانية، الأردن: دار صفاء للنشر والتوزيع.

شبورير، زلاتكا (1987). *الرياضيات في حياتنا* (ترجمة فاطمة المما)، الكويت: عالم المعرفة.
 الطائي، محمد (2010). *صيورة الكون مدارج العلم ومعارج الإيمان*، الأردن: عالم الكتب.
 الطائي، محمد (2015). *الخلق من عدم*، تم الاسترجاع 2017/4/1 من

<https://youtube.com/@basilaltaie?si=Er4fqgdaYlCKY>

nms الطبري، محمد (2000). جامع البيان في تأويل القرآن، الطبعة

الأولى، بيروت: مؤسسة الرسالة، المجلد السابع.

عالم جديد (2022). معجزة الخلق الكبرى.. عجائب دماغ الإنسان الثمانية (ترجمة فريق

الجزيرة)، تم الاسترجاع 2024/10/22 من

www.aljazeera.net

علماء الطبيعة الأمريكيين (2004). الله يتجلى في عصر العلم (ترجمة الدمرداش عبد المجيد

سرحان)، دمشق: دار القلم.

العلوم (2017). محتبئة على مرأى من الجميع: لغز كتلة الشمس المفقودة، الكويت:

مجلة العلوم، تم الاسترجاع من <https://oloom.aspdkw.com>

عمري، حسين والملحم، عبد العزيز وأبو خرمة، محمود وعمري، حمزة وعمري، تسنيم

(2020). الإعجاز الفيزيائي الكوني في قوله تعالى (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد)،

تم الاسترجاع 2024/11/25 من

<https://www.researchgate.net/publication/343980162>

عزيزي، مصطفى (2019). العلم والدين، الطبعة الأولى، العراق: مؤسسة الدليل للدراسات

والبحوث العقدية.

عبيدات، ذوقان وأبو السميد، سهيلة (2014). استراتيجيات التدريس في القرن الحادي

والعشرين، الطبعة الثالثة، الأردن: دار الفكر.

عودة، سامح (2018). لماذا ينتشر الإلحاد؟.. إليك أبرز الدوافع النفسية الخفية، الجزيرة، تم

الاسترجاع من www.aljazeera.net

الكحيل، عبد الدائم (2015). مستقر الشمس - الشمس في أرقام، تم الاسترجاع

www.kaheel7.com/ar 2024/11/30 من

فيتز، بول (2013). نفسية الإلحاد (ترجمة مركز دلائل)، الطبعة الثانية، الرياض: مركز

دلائل.

قلعه جي، محمد (1996). معجم لغة الفقهاء، الطبعة الأولى، لبنان: دار النفائس.
كريك، فرانسيس (1988). طبيعة الحياة (ترجمة أحمد مستجير)، الكويت: عالم المعرفة.
لندلي، ديفيد (2009). مبدأ الريبة (ترجمة نجيب الحصادي). الإمارات: كلمة للثقافة والتراث.

مجمع اللغة العربية (2008). المعجم الوسيط، الطبعة الرابعة، القاهرة: الشروق الدولية.
محمدي، إنجي (2018). هل أنكر عالم الفيزياء الراحل ستيفن هوكينج وجود الله، تم الاسترجاع من 20025/1/31 من <https://m.youm7.com>
مصطفى، جمال (2011). الإعجاز العلمي للقرآن في علوم الرياضيات، جامعة إفريقيا العالمية: المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية.
نيوكوريست، هـ (2007) أسرار المخ.. نظرة فاحصة على ما يدور داخل رأسك، الطبعة الأولى، مصر: نخضة مصر.

الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي (2012). معجم البيانات والذكاء الاصطناعي، الطبعة الأولى، السعودية.

Akrin, K; Rafferty, J. (2024). Miller-Urey experiment, Retrieved from: 20/12/2024

<https://www.britannica.com/science/Miller>

Burris, C. T. (2022). Poker-faced and godless: Expressive suppression and atheism. Psychology of Religion and Spirituality, 14(3), 351–361. From: <https://doi.org/10.1037/rel0000361>

Cool Cosmos (2024). What is the Sun made of?, Retrieved 1/11/2024 from: https://coolcosmos-ipac-caltech-edu.translate.google/ask/4-what-is-the-sun-made-of-?_x_tr_sl=en&_x_tr_tl=ar&_x_tr_hl=ar&_x_tr_pto=rq

Hallahmi, B. (2011). Psychological type of atheist, Retrieved 1/11/2024 from: <https://theguardian.com>

Hall, E, J & Hall, E, M. (2021). Guyton and Hall Textbook of

- Medical Physiology*, 14ed: Philadelphia, PA, from <http://www.archive.org>
- NASA Earth Science(2011): *The Carbon Cycle*, Retrieved 20/12/2024 from: <https://earthobservatory.nasa.gov/features/CarbonCycle>
- National Geographic(2020) : *Soil Microbiology*, Retrieved 31/12/2024 from: <https://youtu.be/7lRFObgeb8?si=Kil7INXPxjZSC0W>
- Sample, I (2018). *Stephen Hawking, science's brightest star, dies aged 76*. Retrieved 31/01/2025 from: <https://www.theguardian.com/science/>
- Williams, D& Kuipers, A& Mukai, C& Thirsk, R. (2009). Acclimation during space flight: effects on human physiology, *CMAJ*, 180(13), pp1317-1323, from: <https://pmc.ncbi.nlm.nih.gov/articles/PMC2696527/>

العلم في القرآن الكريم

محاضرات ومحاذير

د. سعد سعيد كرامة الغتيني

دكتورة في الحديث وعلوم السنة

جامعة صنعاء

A777201453@gmail.com

© تُشر هذا البحث وفقاً لشروط الرخصة Attribution international (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أجريت عليه.

للاقتباس: الغتيني، سعد سعيد، العلم في القرآن الكريم محاضرات ومحاذير، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، عدد خاص للمؤتمر القرآني الدولي الثالث المجلد (2)، سبتمبر 2025: 156-201.

DOI: <https://doi.org/10.61821/3rdconfv2.0207>

الملخص:

تناول البحث التحفيز على العلم والاهتمام به، والحذر من الوقوع فيما يفسد على المتعلم علمه، ويذهب أجره، والبحث يحتوي محورين رئيسيين هما: المحور الأول: محفزات في القرآن الكريم للحرص على العلم والاهتمام به، وهي: العلم اصطفاء من الله لعبده، والرسوخ في العلم يثمر الإيمان، والدعوة إلى الله تعالى بالعلم، الإيمان بالحق، وإخبات القلب إلى الله تعالى، ومقام الخشية من الله تعالى للعلماء، وبالعلم تعرف حقيقة الدنيا، والعلم والجهد في سبيل الله تعالى تكامل لا تناقض. المحور الثاني: محاذير تعليمية من زاوية النظر القرآني، وقد تناول البحث سبعة محاذير، وهي: اتباع المتشابه في العلم، وبذل العلم ثمنًا لنيل المكاسب الدنيوية، والاختلاف والبغى بعد العلم من صفات أهل الكتاب، والبطر في العلم سبب لعذاب الله، والإعراض عن العلم يورث التولي عن ذكر الله والغفلة عن الآخرة، وعدم العمل بالعلم أو عدم فهمه سبب للدم، واتباع الهوى بعد العلم. واعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي، والمنهج الوصفي، والمنهج التحليلي. خلص البحث إلى عدد من النتائج، منها: أن تعلم العلم الموصل إلى الله تعالى، هو اصطفاء من الله لعباده، وأن ثمرة العلم النافع خشية الله تعالى، وأن القلب السليم من الزيغ يؤمن بالمحكمات، ويردُّ إليها المتشابهات، وخلص البحث في توصياته: إلى غرس محبة العلم والتعلم لدى الأجيال المسلمة، وذلك بإيجاد المحاضن العلمية والتربوية، ووضع البرامج المتدرجة في العلم مع الحرص على تدبر القرآن الكريم، واستنباط الحلول الصحيحة لمشكلات الحياة العامة.

الكلمات المفتاحية: العلم، المحفزات، المحاذير.

**Science in the Holy Quran
Motivations and Cautions
Dr. Saad Saeed Karamah Al-Ghannini
PhD in Hadith and Sunnah Sciences
Sana'a University**

©This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.

Citation: Al-Ghannini, Saad Saeed, Science in the Holy Quran Motivations and Cautions, Journal of the University of Holy Quran and Islamic Sciences, Special Issue of the third International Qur'anic Conference, Volume (2), September 2025:111-201.

DOI: <https://doi.org/10.61821/3rdconfv2.0207>.

Abstract:

The research addresses the importance of encouraging the pursuit of knowledge and paying attention to it, while warning against behaviors that may corrupt the learner's knowledge and nullify its reward. The study is structured around two main axes: First Axis: Quranic Motivations for Seeking and Valuing Knowledge. This section highlights several motivations found in the Qur'an that urge individuals to pursue knowledge, including: Knowledge as a divine selection for the servant, Deep-rooted knowledge leads to true faith, Calling to Allah through knowledge, Belief in the truth and humility of the heart before Allah, The elevated status of scholars who fear Allah, Knowledge reveals the reality of worldly life, Knowledge and striving in the path of Allah are complementary, not contradictory. Second Axis: Educational Warnings from a Quranic Perspective, The research explores seven key warnings, including: Following ambiguous aspects of knowledge, Using knowledge as a means to gain worldly benefits, Disputes and transgression after acquiring knowledge—traits of the People of the Book, Arrogance in knowledge as a cause of divine punishment, Turning away from knowledge leads to neglecting the remembrance of Allah and heedlessness of the Hereafter, Failing to act upon knowledge or misunderstanding it leads to blame. Following desires after acquiring knowledge. The

researcher employed the inductive, descriptive, and analytical approaches. Key Findings Among the conclusions reached: Learning knowledge that leads to Allah is a divine selection for His servants, the fruit of beneficial knowledge is the fear of Allah, A sound heart, free from deviation, believes in the clear verses and refers ambiguous ones back to them. The study recommends instilling a love for knowledge and learning among Muslim generations by: Establishing educational and nurturing environments, Designing gradual learning programs, Encouraging reflection on the Qur'an, Deriving practical solutions for common life challenges.

Keywords: Knowledge, Motivators, Cautions.

المقدمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وآله وصحبه، أما بعد:

فإن جامعة القرآن الكريم والعلوم الإنسانية – اليمن – أعلنت عن انعقاد المؤتمر القرآني الدولي الثالث الموسوم بـ: (القرآن الكريم ومشكلات الأمة المعاصرة) والذي يتضمن ثمانية محاور رئيسة، وكان منها محور الخامس: (القرآن الكريم ومشكلات الأمة التعليمية).

فأحببت المشاركة فيه ببحث بعنوان (العلم في القرآن الكريم.. محفزات ومحاذير). لقد عنت الشريعة الإسلامية بالعلم أبلغ العناية، بياناً لشرفه، وتعظيماً لقدره، وتوضيحاً لأنواعه ومصادره، وحلاً لمشكلاته في الحياة الدنيا، وتوضيحاً لأثره في الدنيا والآخرة، وإشادة بتعلمه وطلبه، وترهيباً من القعود عنه مباشرة، أو بعدم سؤال أهله.

ولذلك كان للعلم في الشريعة الإسلامية حيز كبير من كتاب الله عز وجل، ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أمر يحتاج إلى بذل جهد كبير فيه،⁽¹⁾ ومن ذلك لا بد من إلقاء نظرات على مشكلات الأمة التعليمية، والنظر فيها من زاوية الحل القرآني لها.

(1) من مقال "مفهوم العلم في القرآن" في مجلة البيان د. الجيلالي المريني، أستاذ الفقه وأصوله، جامعة

السلطان محمد بن عبد الله، فاس، المغرب.

لقد أشاد القرآن الكريم بأهمية التعلم والتعليم من أول نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عليه وهو يتحنث لربه في غار حراء الليالي ذوات العدد، يتأمل في الكون العظيم الذي خلقه الله تعالى، قوله جل وعلا: ﴿أَفَرَأَى بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ سورة العلق: الآية (1).

ولم يأمر الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من طلب الزيادة في شيء إلا في العلم فقال سبحانه: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۝١١٤﴾ سورة طه: الآية (114) وذلك لأن كل شيء إذا كثر وزاد رخص، إلا العلم فإنه إذا كثر وزاد لدى طالبه، صار غالباً عالياً ذا قيمة عظيمة، ولهذا لا يستوي من يعلم والذي لا يعلم، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝١﴾ سورة الزمر: الآية (9)

وبقدر اهتمام المؤمن بالعلم وتحصيله والعمل به، تكون رفعة في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١١﴾ سورة المجادلة: الآية (11) فالعلماء هم الذين يعظمون مقام الله ويخشونه حق خشيته؛ لأنهم عرفوا صفاته وشرعه ودلائل قدرته، وهذه أعظم ثمرة للعلم خص الله بها أهل العلم من بين سائر خلقه قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝٢٨﴾ سورة فاطر: الآية (28)

فالعلم تظهر فضيلته ومنزلته في الدنيا والآخرة، فأهله هم الناطقون بالحق في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وأن لقولهم اعتباراً عند الله وعند خلقه، قال الله تعالى مخبراً قولهم يوم القيامة ﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ۝٢٧﴾ سورة النحل: الآية (27). فهذه بعض خصائص وفضائل العلم وأهله، ولذا صار لازماً على طلابه البحث عن مشكلات الأمة التعليمية في القرآن الكريم حتى تتفادها وتحصل على الأجر الكبير والعلم الوفير الذي يقربها من ربها سبحانه وتعالى.

ولقد استفدت في بحثي هذا في ذكر المعنى الإجمالي للآيات وبعض الفوائد الإيمانية والتربوية من كتاب "المختصر

في التفسير "مركز تفسير للدراسات القرآنية، وكذلك "القرآن تدبر وعمل" مركز المنهاج للإشراف والتدريب التربوي، فجزاها الله عني خير الجزاء، وكتب لهما الحسنى في الدنيا والآخرة.

أهمية البحث:

1. كونه متعلق بالعلم الذي هو أشرف مطلوب، وقد اهتم الله به في كتابه من أول ما نزل.
2. يوضح المحفزات المتعلقة بالعلم والتعليم في القرآن الكريم وكيفية الاستفادة منها.
3. يُبين المحاذير في العلم التي يجب على كل طالب للعلم الحذر من الوقوع فيها.

أهداف البحث:

1. إيضاح الرؤية القرآنية في الاهتمام بالعلم والحرص عليه.
2. التعرف على أهم ما يجب على طالب العلم الحذر منه أثناء طلبه للعلم، وبعده.
3. المشاركة في المؤتمر القرآني الثالث بجامعة القرآن والعلوم الإنسانية.

مشكلة البحث:

العلم والتعليم، كيف نحرص على طلبه؟ وكيف نحذر من كل ما يناقضه أو يبعده عن الطريق الصحيح؟ من خلال القرآن الكريم؛ كي نسعى في طريق العلم على بصيرة وفهم لنهوض المجتمع المسلم.

حدود البحث:

يتبين حدود البحث من خلال العنوان (العلم في القرآن الكريم محفزات ومحاذير) فهو يبحث حول العلم وما يتعلق به من محفزات أو محاذير من خلال القرآن، وما يفسر به من السنة النبوية، وأقوال الصحابة، واللغة العربية، مع الاستعانة في ذلك بكتب التفسير عامة، وربط ذلك بواقع الأمة الإسلامية.

منهج البحث:

اعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي، والمنهج الوصفي، والمنهج التحليلي، وذلك بدراسة وتحليل المحفزات مع بيان المعلومات عنها، ثم بيان المحاذير في العلم وخطرها على المتعلم، التي تسهم في معالجة الإشكالات العلمية والتعليمية.

الدراسات السابقة:

اهتم المسلمون بالدراسات القرآنية قديماً وحديثاً، في مواضيع كثيرة من أهمها موضوع العلم في القرآن الكريم فمن هذه الدراسات الحديثة ما يأتي:

1. العلم والعقل في القرآن للشيخ يوسف القرضاوي، وقد بين في كتابه تعريف العلم بأنه يشمل كل معرفة تنكشف بها حقائق الأشياء، سواء كان دينياً أو دنيوياً، ثم ذكر معالم مهمة في القرآن وتعامله مع العقل البشري، وهو لم يتطرق للمشكلات التعليمية.
2. مكانة العلم في القرآن تأليف يحيى أحمد الدرديري، المطبعة السلفية 1346هـ 1945م، فهو يتحدث عن مكانة العلم وفضله ومنزله من العبادات الأخرى، مما لا علاقة له ببحثنا هذا.

3. العلم في القرآن الكريم، د/ بليل عبد الكريم، 1431هـ 2009م، وهو يتحدث عن تعريف العلم وأقسامه، ومراتبه، وضوابطه، وهو ليس حول موضوع بحثنا هذا.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، ومحورين لكل محور سبعة مباحث، وخاتمة: المقدمة وفيها ملخص البحث، وأهمية البحث، وأهدافه، ومنهجه، وحدوده، والدراسات السابقة.

المحور الأول: محفزات للعلم في القرآن الكريم: وفيه سبعة مباحث:

- المبحث الأول: العلم اصطفاً من الله لعبده.
- المبحث الثاني: الرسوخ في العلم يثمر الإيمان.
- المبحث الثالث: الدعوة إلى الله تعالى بالعلم.
- المبحث الرابع: الإيمان بالحق، وإخبات القلب إلى الله تعالى.

المبحث الخامس: مقام الخشية من الله تعالى للعلماء.

المبحث السادس: بالعلم تعرف حقيقة الدنيا.

المبحث السابع: العلم والجهاد في سبيل الله تعالى تكامل لا تناقض.

المحور الثاني: محاذير في طلب العلم من النظر القرآني: وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: اتباع المتشابه في العلم.

المبحث الثاني: بذل العلم ثمنًا لنيل المكاسب الدنيوية.

المبحث الثالث: الاختلاف والبغي بعد العلم من صفات أهل الكتاب.

المبحث الرابع: البطر في العلم سبب لعذاب الله.

المبحث الخامس: الإعراض عن العلم يورث التولي عن ذكر الله، والغفلة عن الآخرة.

المبحث السادس: عدم العمل بالعلم أو عدم فهمه سبب للذم.

المبحث السابع: اتباع الهوى بعد العلم.

الخاتمة: التوصيات والنتائج.

هذا ما يسر الله لي جمعه وترتيبه في هذا البحث، الذي سأل الله تعالى أن يرزقنا العلم

النافع والعمل الصالح، وأن يجعله خالصًا لوجه الكريم، وأن يغفر لي ويرحمني ووالدي

والمسلمين.

المحور الأول:

محفّزات للعلم في القرآن الكريم:

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول

العلم اصطفاً من الله لعبده:

إن من اصطفاه الله من عباده، ورثه علم الكتاب، والعمل به، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْثَرْنَا الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُؤِذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ سورة فاطر: الآية (32).

قال ابن جزى - رحمه الله -: قال عمر وابن مسعود وابن عباس وكعب وعائشة وأكثر المفسرين: هذه الأصناف الثلاثة في أمة محمد صلى الله عليه وسلم؛ فالظالم لنفسه: العاصي، والسابق: التقى، والمقتصد: بينهما. (1)

قال السعدي - رحمه الله -: فكلهم اصطفاهم الله تعالى، لورثة هذا الكتاب، وإن تفاوتت مراتبهم، وتميزت أحوالهم، فلكل منهم قسط من وراثته، حتى الظالم لنفسه، فإن ما معه من أصل الإيمان، ولوم الإيمان، وأعمال الإيمان، من وراثته الكتاب؛ لأن المراد بوراثته الكتاب، وراثته علمه وعمله، ودراسة ألفاظه واستخراج معانيه، وقوله (يؤذن الله) راجع إلى السابق بالخيرات؛ لئلا يغتر بعمله، بل ما سبق إلى الخيرات إلا بتوفيق الله تعالى ومعاونته، فينبغي له أن يشتغل بشكر الله تعالى على ما أنعم به عليه. (2)

تأمل كيف شمل ربنا - تبارك وتعالى - الظالم لنفسه مع عباده المصطفين، ما دام أنه على صلة بكتاب الله علماً وعملاً حتى وإن حصل منه تقصير، وظلم لنفسه بالمعاصي، فبالعلم يترقى في سلم العبودية لله تعالى، حتى يصل إلى درجة السابقين بالخيرات يؤذن الله

(1) ابن جزى، محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل (176/2).

(2) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص 809).

تعالى.

فقد اختار الله لبي إسرائيل ملكاً عليهم؛ وذلك بسبب أن زاده عليهم سعة في العلم وقوة في الجسم، فهو يؤتي ملكه من يشاء بحكمته ورحمته، والله واسع الفضل يعطي من يشاء، عليم بمن يستحقه من خلقه، كما أخبر الله عنه إذ قال لهم نبيهم، قال الله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٢٧) سورة البقرة: الآية (247) قال ابن كثير - رحمه الله -: أي أتم علماً وقامة منكم، ومن ههنا ينبغي أن يكون الملك ذا علم، وشكل حسن، وقوة شديدة في بدنه ونفسه. (1)

قال أبو حيان - رحمه الله -: شرفه بخصلتين، هما في ذاته: الخلق العظيم، والأخرى التي هي الفضل الجسيم، واستغنى بهذين الوصفين الذاتيين عن الوصفين الخارجيين عن الذات، وهما الفخر بالعظم الرميم، والاستكثار بالمال الذي مرتعه وخيم. (2)

قال صاحب المنار - رحمه الله -: وأما المال فليس بركن من أركان تأسيس الملك؛ لأن المزايا الثلاث (3) إذا وجدت سهّل على صاحبها الإتيان بالمال، وإنا لنعرف في الناس من أسس دولة وهو فقير أُمّي، ولكن استعداداه ومعرفته بحال الأمة التي سادها، وشجاعته كانت كافية للاستيلاء عليها، والاستعانة بأهل العلم والإدارة والشجعان على تمكين سلطته فيها. (4)

فالمُلك إن لم يكن كذلك أي على علم وقوة في البدن والنفس، حلّت في الممالك الفوضى، وغلب الفسادُ الصّلاح، وكانت النهاية إلى دمار وهلاك، والواقع والتاريخ خير شاهد.

(1) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم (285/1).

(2) أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير (191/2).

(3) استنبط الثالثة من قوله تعالى (إن الله اصطفاه عليكم) قال: هي الاستعداد الفطري.

(4) رشيد رضا، محمد رشيد بن علي، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) (379/2)

المبحث الثاني

الرسوخ في العلم يثمر الإيمان:

فإن الراسخين في العلم المتمكنين منه يقولون: آمنا بالقرآن كله؛ لأنه كله من عند ربنا، وما يتذكر ويتعظ إلا أصحاب العقول السليمة، قال الله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ سورة آل عمران: الآية (7).

قال الألوسي - رحمه الله -: فيه مدحاً للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر؛ لما أنهم قد تجردت عقولهم عما يغشاها من الركون إلى الأهواء الزائغة المكدره لها، واستعدوا إلى الاهتداء إلى معالم الحق، والعروج إلى معارج الصدق. (1)

فالرسوخ في العلم والتمكن فيه يؤدي بصاحبه إلى الإيمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وبما جاء به من أصول الإيمان، كما أخبر الله صنف من أهل الكتاب، قال الله تعالى: ﴿لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ سورة النساء: الآية (162).

قال السعدي - رحمه الله -: لما ذكر معائب أهل الكتاب، ذكر الممدوحين منهم فقال: (لكن الراسخون في العلم) أي: الذين ثبت العلم في قلوبهم، ورسخ الإيقان في أفئدتهم؛ فأثمر لهم الإيمان التام العام (بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) وأثمر لهم الأعمال الصالحة من: إقامة الصلاة إيتاء الزكاة للذين هما أفضل الأعمال، وقد اشتملتا على الإخلاص للمعبود، والإحسان إلى العبيد. (2)

إن الرسوخ في العلم لا يكون إلا بالربانية فيه، وذلك بالعمل بالعلم، وتربية الناس والإصلاح لأموالهم بتعليمهم الكتاب المنزل، ومدارسهم إياه حفظاً وفهماً، قال الله تعالى:

(1) الألوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (81/2).

(2) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص 233).

﴿ وَلَٰكِنْ كُونُوا رَبَّٰنِينَ يَمَّا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ ﴿٧٩﴾ سورة آل عمران: الآية (79).

قال البغوي - رحمه الله -: (ربانيين) قال سعيد بن جبير: العالم الذي يعمل بعلمه... وقيل: الربانيون فوق الأحبار، والأحبار العلماء، والربانيون: الذين جمعوا مع العلم البصارة بسياسة الناس. (1)

وقال البقاعي - رحمه الله - عند تفسير الآية: الربانيون: أي تابعين طريق الرب، منسوبين إليه بكمال العلم المزيّن بالعمل؛ فإن الرباني هو الشديد التمسك بدين الله سبحانه وتعالى وطاقته... قوله: (وبما كنتم تدرسون) فإن فائدة الدرس: العلم، وفائدة العلم: العمل، ومنه الحث على الخير، والمراقبة للخالق. (2)

(1) البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن (60/2).

(2) البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (118/2).

المبحث الثالث

الدعوة إلى الله تعالى بالعلم

فإن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وطريقته التي يدعو الناس إليها، قائمة على حجة واضحة، وكذلك يدعو أتباعه المهتدين بهديه المستنيرين بسنته، وهذا فارق بين دعوة الأنبياء وأتباعهم، ودعوة غيرهم، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ سورة يوسف: الآية (108).

قال ابن عاشور - رحمه الله -: وفي الآية دلالة على أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، والمؤمنين الذين آمنوا به مأمورون بأن يدعوا إلى الإيمان بما يستطيعون. (1)

وهذه طريقة الأنبياء من قبل في الدعوة إلى الله تعالى، فقد أخبر الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام عندما دعا أباه إلى الإسلام وترك الشرك، حاجة بالعلم الذي أوتيته من طريق الوحي، قال الله تعالى: ﴿يَتَّبِعْتَنِي فَإِنْ قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ سورة مريم: الآية (43) قال السعدي - رحمه الله -: فأخبره بعلمه وأن ذلك موجب لاتباعك إياي، وإنك إن أعطيتني اهتديت إلى صراط مستقيم. (2)

والدعوة في الإسلام لا تكون دعوة على الحقيقة حتى تكون إلى الله أولاً، ثم إلى سبيله، وذلك لا يكون إلا بالعلم بالله تعالى، وأسماءه وصفاته، والعلم بشرعه ودينه، وهي سبب للثبات على الدين، والاعتزاز به، فقد أمر الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يدعو الناس إلى الله تعالى بإخلاص التوحيد لله، فإنه على طريق مستقيم لا اعوجاج فيه، قال الله تعالى: ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ﴾ سورة الحج: الآية (67).

وأمره أن ينتبه أن يصدّه أحد عن آيات الله التي أنزلها الله عليه، فيترك تلاوتها وتبليغها، وأن يدعو الناس إلى الإيمان بالله وتوحيده، والعمل بشرعه، ولا يكوننّ من المشركين

(1) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير (65/13).

(2) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص576).

الذين يعبدون مع الله غيره، بل يكن من الموحدين الذين لا يعبدون إلا الله وحده، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٨٧) سورة القصص: الآية (87).

وكذلك أمر الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وأمرته تبعاً له في ذلك بالقيام الدعوة إلى سبيله الذي هو دين الإسلام بما يقتضيه حال المدعو وفهمه وانقياده قال الله تبارك وتعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّثْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١٢٥) سورة النحل: الآية (125).

قال ابن جزري - رحمه الله -: المراد بالسبيل هنا الإسلام، و(الحكمة) هي الكلام الذي يظهر صوابه، و(الموعظة) هي الترغيب والترهيب، والجدال هو الرد على المخالف. (1)
فالدعوة إلى الله تعالى وإلى دينه إذا لم تكن على علم، كان فيها من النقص والخلل بقدر نقصها من العلم والبصيرة، ولذا فأى دعوة لا تتبنى في مشروعها الدعوي الاهتمام بالعلم والحرص عليه، تكون هشة البناء، ضعيفة المخرجات، فإذا أردنا للدعوة أن تؤتي ثمارها وينتفع بها الناس في دينهم ودنياهم؛ فلنهتم بالعلم كتاباً وسنة، أصولاً وفروعاً، وعلوم الآلة الأخرى كاللغة بجميع فروعها، وغيرها.

(1) ابن جزري، محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل (438/1).

المبحث الرابع

الإيمان بالحق واخبات القلب إلى الله تعالى

يتيقن الذين أعطاهم الله العلم أن القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق الذي أوحى به الله إلى رسوله، فيزدادوا إيماناً به، فتخضع له قلوبهم وتخضع، وأن الله يهديهم بذلك إلى طريق الحق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، جزاءً لهم على خضوعهم له، قال الله تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝٥٤﴾ سورة الأنبياء: الآية (54).

قال البقاعي - رحمه الله -: (فيؤمنوا به) لما ظهر لهم من صحته بما ظهر من ضعف تلك الشبهة، (فتخبت) أي: تطمئن وتخضع (له قلوبهم) وتسكن به قلوبهم؛ فإن الله جعل فيها السكينة. (1)

أن من عرفوا الوحي إذا يقرأ عليهم القرآن يخرون على وجوههم ساجدين لله شكراً، وينزهون الله تعالى عن خُلف الوعد، فما وعد به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم كائن وواقع لا محالة، ويكون من خشيته عندما يقعون على وجوههم ساجدين لله، ويزيدهم سماع القرآن وتدبر معانيه خضوعاً لله وخشيةً له، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۝١٠٩﴾ سورة الإسراء: الآية (107. 109).

قال القرطبي - رحمه الله -: (ويخرون للأذقان يبكون) هذه مبالغة في صفتهم، ومدح لهم، وحق لكل من توسم بالعلم، وحصل منه شيئاً أن يجري إلى هذه المرتبة؛ فيخضع عند استماع القرآن، ويتواضع، ويدل، وفي مسند الدارمي أبي محمد عن التيمي قال: ((من أوتي من العلم

(1) البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (165/5).

ما لم ييكه لخليق ألا يكون أوتي علماً؛ لأن الله تعالى نعت العلماء⁽¹⁾ ثم تلا هذه الآية. (2)
 فإن من عرف الله تعالى بأسمائه وصفاته، عظّمه حق تعظيمه، وقدره حق قدره، أقبل
 عليه بكلّيته فالقلب في إخبات، والعين تفيض بالدمع، واللسان يلهج بالذكر، والجوارح
 مدعنة منقاداً، فأى مرتبة أعلى من هذه المرتبة، وأى شرف يبلغه أهل العلم بتلك المنزلة.
 العلم بلّغ قومًا ذروة الشرف وصاحب العلم محفوظٌ من الخرف
 يا صاحب العلم مهلاً لا تدنسه بالموبقات فما للعلم من خلف⁽³⁾

(1) الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، سنن الدارمي (335/1)، سنن الدارمي، باب من قال العلم
 الخشية وتقوى الله (229) قال محققه: إسناده جيد. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل
 القرآن (579/17).

(2) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن (341/10).

(3) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، جامع بيان العلم وفضله (244/1).

المبحث الخامس

مقام الخشية من الله تعالى للعلماء:

إنما يعظم الله ويخشاه هم العالمون به سبحانه؛ لأنهم عرفوا أسمائه وصفاته وشرعه ودلائل قدرته، فهم أهل خشيته والخوف منه، فمن كان لله أعرف كان منه أخوف، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (٢٨) سورة فاطر: الآية (28). قال الطبري - رحمه الله -: "لأن من علم ذلك أيقن بعقابه على معصيته؛ فخافه ورهبه خشية منه أن يعاقبه" (1).

قال القرطبي - رحمه الله -: قال الربيع بن أنس: "من لم يخش الله تعالى فليس بعالم" وعن ابن مسعود رضي الله عنه "كفى بخشية الله علماً، وبالاغترار به جهلاً" وعن مجاهد قال: "إنما الفقيه من يخاف الله عز وجل" (2).

وقال ابن عاشور - رحمه الله -: والمراد بالعلماء: العلماء بالله وبالشرعية، وعلى حسب مقدار العلم في ذلك تقوى الخشية؛ فأما العلماء بعلوم لا تتعلق بمعرفة الله وثوابه وعقابه على وجهها؛ فليست علومهم بمقربة لهم من خشية الله. (3)

قال ابن مسعود - رضي الله عنه - (إنما العلم خشية الله) (4)، وقال الإمام مالك - رحمه الله - (العلم نور لا يأنس إلا بقلب تقى خاشع) (5) وقال ابن مفلح - رحمه الله -: وعن أحمد أنه قال كان معروف الكرخي من الأبدال مجاب الدعوة وذكر في مجلس أحمد فقال بعض من حضر: هو قصير العلم، فقال له أحمد: أمسك عافاك الله وهل يراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف، وقال عبد الله: قلت لأبي: هل كان مع معروف شيء من العلم؟ فقال لي: يا بُني

(1) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن (364/19).

(2) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن (343/14).

(3) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التنوير والتحرير (304/22).

(4) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، جامع بيان العلم وفضله (758/1).

(5) القاضي عياض، عياض بن موسى، ترتيب المدارك وتقريب المسالك (60/2).

كان معه رأس العلم خشية الله تعالى. (1)

وقال ابن كثير - رحمه الله - : "إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى، وكلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل؛ كانت الخشية له أعظم وأكثر" (2)

وقال السعدي - رحمه الله - : (فكل من كان بالله أعلم، كان له أكثر خشية، وأوجب له خشية الله الانكفاف عن المعاصي، والاستعداد للقاء مَنْ يخشاه، وهذا دليل على فضل العلم، فإنه داع إلى خشية الله، وأهل خشيته هم أهل كرامته، كما قال تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ سورة البينة: الآية (8). (3)

ولا تكون الخشية في العلم إلا لمن أخلص في طلبه، وكان قصده فيه للآخرة، قال الإمام الذهبي - رحمه الله - (من طلب العلم للآخرة، كسره علمه، وخشع قلبه، واستكانت نفسه، وكان على نفسه بالمرصاد) (4)

ولهذا كان من أهم ما يتحلى به طالب العلم في طلبه للعلم الخشية، قال الشيخ بكر أبو زيد - رحمه الله - : فالزم خشية الله في السر والعلن، فإن خير البرية من يخشى الله تعالى، وما يخشاه إلا عالم، إذن فخير البرية هو العالم، ولا يغيب عن بالك أن العالم لا يعد عالماً إلا إذا كان عاملاً، ولا يعمل العالم بعلمه إلا إذا لزمته خشية الله. (5)

فإن لم يخش الطالب من الله، فلينظر في هذا العلم الذي يطلبه، أي علم هو؟ فليس هو الذي سأل نبيُّنا المزيّد منه، ولا الذي بشّر بأن الحيتان تستغفر لمعلمه، ولا الذي من

(1) ابن مفلح، محمد بن مفلح، الآداب الشرعية والمنح المرعية (2/235).

(2) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم (6/544).

(3) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص 809).

(4) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، الكبائر (ص 78).

(5) بكر أبو زيد، بكر بن عبد الله، حلية طالب العلم (ص 144).

سلك سبيله سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة. (1)

(1) الشثري، مشاري بن سعد، ارتياض العلوم (ص222).

المبحث السادس

بالعلم تعرف حقيقة الدنيا

فأهل العلم هم أهل الحكمة والنجاة من فتن الحياة الدنيا، لأن العلم يوجه صاحبه إلى الصواب، وفهم الأمور على حقيقتها، فهذا قارون عندما خرج على قومه في زينته، تمنى من يريد الحياة الدنيا ولم يعرف حقيقتها، أن يكون له مثل قارون، ولكن الذين أعطوا العلم حين رأوا قارون في زينته، وسمعوا ما تمناه أصحابه قالوا: ويلكم ثواب الله في الآخرة، وما أعدّه الله من النعيم لمن آمن به وعمل صالحًا، خير مما أعطي قارون من زهرة الحياة الدنيا، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ سورة القصص: الآية (80).

قال الألوسي - رحمه الله -: (وقال الذين أوتوا العلم) أي: بأحوال الدنيا والآخرة كما ينبغي... وإنما لم يوصفوا بإرادة ثواب الآخرة تنبيهًا على أن العلم بأحوال النشأتين يقتضي الإعراض عن الأولى، والإقبال على الأخرى حتمًا، وأن تمنى المتمنين ليس إلا لعدم علمهم بهما كما ينبغي. (1)

ولقد فهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الأمر فهمًا صحيحًا سليمًا، حتى قال أبي بن كعب - رضي الله عنه - موصيًا يقول: (ولا تغبط الحي إلا بما تغبط الميت) أي: انظر ما الذي يغبط به الميت؟ والجواب بلا ريب: هو العمل الصالح، فكذلك: لو رأيت على أحد نعمة دنيوية، مالا، أو جاهًا، أو غير ذلك مما يغبط به الأحياء، فتذكر ما الذي يغبط به هذا الإنسان لو مات الآن. (2)

إن معرفة هذه الدنيا على حقيقتها هي التي تنشئ في العبد الحرص على ما ينفعه بعد الموت، تأمل فيما قاله الإمام الغزالي - رحمه الله - في الإحياء عن هذه القضية المهمة: ولا يبقى مع العبد بعد الموت إلا ثلاث صفات، صفاء القلب أعني طهارته من الأدناس، وأنسه

(1) الألوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (327/10).

(2) المقبل، عمر بن عبد الله، مواظب الصحابة (ص196).

بذكر الله تعالى، وحبه لله عز وجل، وصفاء القلب وطهارته لا يحصلان إلا بالكف عن شهوات الدنيا، والأنس لا يحصل إلا بكثرة ذكر الله تعالى، والمواظبة عليه، والحب لا يحصل إلا بالمعرفة، والمعرفة لا تحصل إلا بدوام الفكر، وهذه الصفات الثلاث هي المسعادات المنجيات بعد الموت. (1)

فإذا فهم الإنسان حقيقة الدنيا، والغاية من وجوده فيها، ووظيفته منها، فإنه حينئذ يقنع من الثياب بما يواريه، ومن البنيان ما يؤويه، ومن الطعام ما يسدُّ جوعته، ووعى حديث رسولنا الكريم - صلى الله عليه وسلم - ((من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا)). (2)

(1) الغزالي، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين (220/3).

(2) الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، (574/4) كتاب الزهد، باب في التوكل على الله (2346) وقال: هذا حديث حسن غريب، وحسنه الألباني.

المبحث السابع

العلم والجهاد في سبيل الله تكامل لا تناقض

قيام الدين لا يكون إلا بأهل العلم وأهل الجهاد، ويجب التفقه في الدين مثله مثل الجهاد، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بعث السرايا إلى بعض النواحي يختار لها طائفة من أصحابه رضي الله عنهم، وطائفة يرافقونه صلى الله عليه وسلم، ويتفقهون في الدين بما يسمعون منه من القرآن وأحكام الشرع، وينذرون قومهم إذا رجعوا إليهم بما تعلمونه، رجاء أن يحذروا من عذاب الله وعقابه، فيمتثلوا أوامره، ويحْتَنِبُوا نَوَاهِيهِ، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانُ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (١٢٢) سورة التوبة: الآية (122).

قال ابن القيم - رحمه الله -: الآية تكون قد اشتملت بيان حكم النافرين والقاعدين، وعلى بيان اشتراكهم في الجهاد والعلم، فالنافرون أهل الجهاد، والقاعدون أهل التفقه، والدين إنما يتم بالجهاد والعلم، فإذا اشغلت طائفة بالجهاد، وطائفة بالتفقه في الدين، ثم يُعَلِّمُ أهل الفقه المجاهدين إذا رجعوا إليهم، حصلت المصلحة بالعلم والجهاد، وهذا الأليق بالآية، والأكمل لمعناها، وأما إذا جعل النفير فيها نفيًا لطلب العلم لم يكن فيها تعرض للجهاد مع إخراج النفير عن موضعه. (1)

قال السعدي - رحمه الله -: وفي هذه الآية أيضًا دليل وإرشاد وتنبية لطيف، لفائدة مهمة، وهي أن المسلمين ينبغي لهم أن يعدوا لكل مصلحة من مصالحهم العامة، من يقوم بها، ويوفر وقته عليها، ويجتهد فيها، ولا يلتفت إلى غيرها؛ لتقوم مصالحهم، وتتم منافعهم، ولتكون وجهة جميعهم، ونهاية ما يقصدون قصدًا واحدًا، وهو قيام مصلحة دينهم ودنياهم، ولو تفرقت الطرق، وتعددت المشارب، فالأعمال متباينة، والقصد واحد، وهذه من الحكمة العامة النافعة في جميع الأمور. (2)

(1) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، بدائع الفوائد (190/4).

(2) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المَنَان (ص408).

وهكذا يربط الحق سبحانه بين التفقه في الدين الذي هو أصل العلم، وبين النفير للجهاد في سبيل الله تعالى التي هي الحركة الإيجابية الفاعلة في الحياة؛ لأن الدين لا يقوم إلا بهما؛ فلا يصح جهاد في سبيل الله تعالى إلا على علم بأمر الله وما أراده من شرعية الجهاد، وما تتبعه من أحكام، كما أنه لا تصح معرفة وعلوم ليس لها حركة وجهد في واقع الحياة التي نعيشها، وذلك ببذل الجهد حتى يقع ما يحبه الله سبحانه وتعالى في الأرض، وذلك بالجهاد في سبيل الله بمعناه الواسع الشامل جهاد النفس أولاً ثم جهاد الشيطان ثم جهاد أرباب البدع والمنكرات، ثم جهاد الكافرين.

المحور الثاني

محاذير في طلب العلم من النظر القرآني

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول

اتباع المتشابه في العلم

المتشابهات: هي التي تحمل أكثر من معنى، التي يلتبس معناها على أكثر الناس، فأهل الزيغ وهم الذين في قلوبهم ميل عن الحق يتركون المحكم: وهو واضح الدلالة الذي لا لبس فيه، ويأخذون بالمتشابه المحتمل؛ يبتغون بذلك إثارة الشبهة، وإضلال الناس، ولا يعلم حقيقة معاني هذه الآيات وعاقبتها التي تؤول إليها إلا الله، والراسخون في العلم المتمكنون منه يقولون: آمنا بالقرآن كله؛ أنه كله من عند ربنا، ويفسرون المتشابه بما أحكم منه، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾﴾ سورة آل عمران: الآية (7).

والمحكمات معظم الكتاب وأكثره، قال ابن عطية - رحمه الله -: "معناه الإعلام بأنها معظم الكتاب وعمدة ما فيه؛ إذ المحكم في آيات الله كثير، وقد فصل ولم يفرط في شيء منه" (1). وهذه المحكمات التي يفهمها كل عاقل من الناس، فلا تحتاج إلى شرح من عالم لبيانها، وكما أنها مفهومة المعنى فهي مرضية عند أهل الدين، كما يقرر هذا المعنى ابن كثير في تفسيره، عن مقاتل بن حيان قال: (ليس من أهل دين إلا ويرضى بهن). (2)

ولهذا قال الطبري - رحمه الله - : (وأما المحكمات فإنهن اللواتي قد أحكمن بالبيان والتفصيل، وأثبتت حججهن وأدلتهن على ما جعلنا أدلة عليه من حلال وحرام، ووعد

(1) ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (401/1).

(2) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم (7/2).

ووعيد، وثواب وعقاب، وأمر وزجر، وخبر ومثل، وعظة وعبرة، وما أشبه ذلك... وإنما سمّاهن أمّ الكتاب لأنهن معظم الكتاب، وموضع مفزع أهله عند الحاجة إليه، وكذلك تفعل العرب؛ تسمي الجامع معظم الشيء أمّا له، فتسمى راية القوم التي تجمعهم في العساكر: أمّهم، والمدبر معظم أمر القرية والبلدة: أمّها). (1)

قال السعدي - رحمه الله - : قوله تعالى (وما يذكر) أي: يتعظ بمواعظ الله ويقبل نصحه وتعليمه إلا (أولوا الألباب) أي: أهل العقول الرزينة لبّ العالم، وخلاصة بني آدم يصل التذكير إلى عقولهم، فيتذكرون ما ينفعهم فيفعلونه، وما يضرهم فيتركونه، وأما من عداهم فهتهم القشور التي لا حاصل لها ولا نتيجة تحتها، لا ينفعهم الزجر والتذكير لخلوهم من العقول النافعة. ثم أخبر عن الراسخين في العلم أنهم يدعون ويقولون: (ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) أي: لا تملها عن الحق جهلاً وعناداً منا، بل اجعلنا مستقيمين هادين مهتدين، فثبتنا على هدايتك وعافنا مما ابتليت به الزائغين (وهب لنا من لدنك رحمة) أي: عظمة توفقنا بها للخيرات وتعصمنا بها من المنكرات (إنك أنت الوهاب) أي: واسع العطايا والهبات، كثير الإحسان الذي عمّ جودك جميع البريات. (ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد) فمجازيهم بأعمالهم حسننها وسيئها.

ثم قال: وقد أثنى الله على الراسخين في العلم بسبع صفات هي عنوان سعادة العبد: إحداها: العلم الذي هو الطريق الموصل إلى الله، المبين لأحكامه وشرائعه، الثانية: الرسوخ في العلم، وهذا قدر زائد على مجرد العلم؛ فإن الراسخ في العلم يقتضي أن يكون عالماً محققاً، وعارفاً مدققاً، قد علّمه الله ظاهر العلم وباطنه، فرسخ قدمه في أسرار الشريعة علماً وحالاً وعملاً، الثالثة: أنه وصفهم بالإيمان بجميع كتابه، وردّ لمتشابهه إلى محكمه، بقوله (يقولون ءامنا به كل من ربا) الرابعة: أنهم سألوا الله العفو والعافية مما ابتلى به الزائغون المنحرفون، الخامسة: اعترافهم بمنة الله عليهم بالهداية وذلك قوله (ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) السادسة: أنهم مع هذا سألوه رحمته المتضمنة حصول كل خير واندفاع كل شر، وتوسلوا إليه

(1) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن (189/5).

باسمه الوهاب، السابعة: أنه أخبر عن إيمانهم بإيقانهم بيوم القيامة وخوفهم منه، وهذا موجب للعمل الرادع عن الزلل.⁽¹⁾

قال الألوسي . رحمه الله . : فيها مدحاً للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر؛ لما أنهم قد تجردت عقولهم عما يغشاها من الركون إلى الأهواء الزائغة المكدره لها، واستعدوا إلى الاهتداء إلى معالم الحق، والعروج إلى معارج الصدق.⁽²⁾

وإن من أعظم المشكلات في العلم هي اتباع المتشابه، وترك المحكم الواضح؛ لأجل الفتنة والهوى، وليس اتباعاً للدليل الصحيح القاطع، قال الإمام الشاطبي - رحمه الله - في الاعتصام: كذلك ذكر في أهل الزيغ أنهم يتبعون المتشابه ابتغاء الفتنة، فهم يطلبون به أهواءهم؛ لحصول الفتنة، فليس في نظرهم إذا في الدليل نظر المستبصر حتى يكون هواه تحت حكمه، بل نظر من حكم بهوى، ثم أتى بالدليل كالشاهد له، ولم يذكر مثل ذلك في الراسخين، فهم إذن بضد هؤلاء، حيث وقفوا في المتشابه، فلم يحكموا فيه ولا عليه سوى التسليم، وهذا المعنى خاص بمن طلب الحق من الأدلة، لا يدخل فيه من طلب في الأدلة ما يصحح هواه السابق.⁽³⁾

واليوم إذ تعاني الأمة من الدعوات المكثفة لحرف الإنسان عن فطرته وللتشويش على محكمات دينه؛ فإن الحاجة تزداد إلى الدعوة إليها، وتثبيتها في الناس، والدفاع عنها بالقلم واللسان والبيان، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبدروس العلم وخطب الجمعة، وعلى صفحات الإنترنت ومواقع التواصل، وعلى أي منبر يؤمه الناس، وبأي وسيلة تصل إلى هذه النتيجة.⁽⁴⁾

(1) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المآان (ص 126. 127).

(2) الألوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (81/2).

(3) الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الاعتصام (283/1).

(4) الزهراني، فايز بن سعيد، غمامتان (ص 69).

المبحث الثالث

الاختلاف والبغي بعد العلم من صفات أهل الكتاب

فإن أهل الكتاب من اليهود والنصارى إنما اختلفوا في دينهم وافترقوا شيعاً وأحزاباً إلا من بعد ما قامت عليهم الحجة بما جاءهم من العلم، حسداً وحرصاً على الدنيا، فتركوا الدين المقبول عند الله وهو الإسلام الذي هو الانقياد لله وحده بالطاعة، واستسلام لله بالعبودية، وهو الدين الحق الذي ختم الله به رسالاته، ولا يقبل الله من أحد دين سواه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا ۚ بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرُ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝١٩﴾ سورة آل عمران: الآية (19).

وقد ذكر الله تعالى أن المختلفين اختلفوا بعد ما جاءتهم البينات بعياً بينهم فلذلك ذمهم الله؛ لأن العلم جاءهم من الله واضحاً جلياً فاختلفوا، قاصدين البغي معرضين عن الهدى، مع علمهم بالحق، ولم يكونوا باختلافهم مجتهدين مخطئين، قال الزجاج: اختلفوا للبغي، لا لقصد البرهان. (1)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : سبب الاجتماع والألفة: جمع الدين والعمل به كله؛ وهو عبادة الله وحده لا شريك له كما أمر باطنًا وظاهرًا. وسبب الفرقة: ترك حظ مما أمر العبد به، والبغي بينهم. ونتيجة الجماعة: رحمة الله، ورضوانه، وصلواته، وسعادة الدنيا والآخرة، وبياض الوجوه. ونتيجة الفرقة: عذاب الله، ولعنته، وسواد الوجوه، وبراءة الرسول صلى الله عليه وسلم منهم. (2)

قال السعدي - رحمه الله -: وإنما اختلفت أهل الكتاب بعدما جاءتهم كتبهم تحثهم على الاجتماع على دين الله، بعياً بينهم، وظلمًا وعدوانًا من أنفسهم، وإلا فقد جاءهم السبب الأكبر الموجب أن يتبعوا الحق ويتركوا الاختلاف، وهذا من كفرهم... وفي قوله (فإن الله سريع الحساب) فيجازي كل عامل بعمله، وخصوصاً من ترك الحق بعد معرفته، فهذا يستحق

(1) الغنيمان، عبدالله بن محمد، ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة (ص30).

(2) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى (17/1).

الوعيد الشديد والعقاب الأليم. (1)

وقد ذكر الله في أكثر من موضع من كتابه، أن تفرق المشركين والكفار من أهل الكتاب بعد ما قامت عليهم الحجة ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم إليهم، وما كان تفرقهم إلا بسبب البغي والظلم، وهذه عاقبة ترك العلم، بعدم الانقياد لما يرشد إليه من الحق والعدل واليقين، قال سبحانه: ﴿وَمَا نَفَرَقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِّ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ۝١٤﴾ سورة الشورى: الآية (14) قال القرطبي — رحمه الله — : بغياً من بعضهم على بعض طلباً للرياسة؛ فليس تفرقهم لقصور في البيان والحجج، ولكن للبغي والظلم والاشتغال بالدنيا. (2)

بل وأعطاهم الله دلائل توضح الحق من الباطل، فما اختلفوا إلا من بعد ما قامت عليهم الحجج بعث نبياً محمد صلى الله عليه وسلم، وما جرهم إلى هذا الاختلاف إلا بغي بعضهم على بعض حرصاً على الرئاسة والجاه، فالله يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون في الدنيا، فيبين من كان محقاً، ومن كان مبطلاً، قال تبارك وتعالى: ﴿وَأَيَّتَنَّهُمْ يَنْتَزِعُ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ سورة الجاثية: الآية (17).

وكان سبب تفرق أهل الكتاب وهم اليهود الذين أعطوا التوراة، والنصارى الذين أعطوا الإنجيل، إلا من بعد ما بعث الله نبيهم إليهم، فمنهم من أسلم، ومنهم من تهادى في كفره مع علمه بصدق نبيّه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَةُ ۝٤﴾ سورة البينة: الآية (4).

قال ابن جزى - رحمه الله -: وإنما خص الذين أوتوا الكتاب بالذكر هنا بعد ذكرهم مع غيرهم في أول السورة؛ لأنهم كانوا يعلمون صحة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بما

(1) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المآان (ص 130).

(2) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن (12/16).

يجدون في كتبهم من ذكره. (1)

إن الاجتماع والاعتصام على دين الله تعالى، هو من أعظم مقاصد هذا الدين، فبقدر معرفة العبد لدينه يكون اجتماعه عليه مع إخوانه المسلمين، وإذا ترك شيء من دينه فلم يتعلمه، حلت به الفرقة والاختلاف، قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

وما الدين إلا أن تقام شريعة وتأمين سبل بيننا وشعاب

قال صاحب كتاب "ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة": وكل ما أوجب فتنة أو فرقة بين المؤمنين فليس هو من الدين، سواء كان قولاً أو فعلاً، والفتنة والفرقة لا تقعان إلا من ترك ما أمر الله به، والله تعالى أمر بالحق والعدل وأمر بالصبر، والفتنة تكون من ترك الحق، أو من ترك الصبر. (2)

(1) ابن جزي، محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل (501/2).

(2) الغنيمان، عبدالله بن محمد، ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة (ص18).

المبحث الرابع

البطر في العلم سبب لعذاب الله

ذكر الله في كتابه أقوامًا جاءتهم رسلهم بالبراهين الواضحة كذبوا بها، ورضوا بالتمسك بما عندهم من العلم المنافي لما جاءتهم به رسلهم، ونزل بهم ما كانوا يسخرون منه من العذاب الذي كانت تخوفهم رسلهم منه، كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (٨٢) سورة غافر: الآية (83).

قال السعدي - رحمه الله - : (وفرحوا بما عندهم من العلم) المناقض لدين الرسل، ومن المعلوم أن فرحهم به يدل على شدة رضاهم به وتمسكهم، ومعاداة الحق الذي جاءت به الرسل، وجعل باطلهم حقًا، وهذا عام لجميع العلوم التي نوقض بها ما جاءت به الرسل، ومن أحقها بالدخول في هذا: علوم الفلسفة، والمنطق اليوناني، الذي رُدَّت به كثير من آيات القرآن، ونقصت قدره من القلوب، وجعلت أدلته اليقينية القاطعة أدلة لفظية لا تفيد شيئًا من اليقين، ويقدم عليها عقول أهل السفه والباطل، وهذا من أعظم الإلحاد في آيات الله، والمعارضة لها والمناقضة.⁽¹⁾

وقال ابن جزى - رحمه الله - : الضمير يعود على الأمم المكذبين، وفي تفسير علمهم وجوه: أحدها: أنه ما كانوا يعتقدون من أنهم لا يبعثون ولا يحاسبون، والثاني: أنه علمهم بمنافع الدنيا ووجوه كسبها، والثالث: أنه علم الفلاسفة الذين يحتقرون علوم الشرائع.⁽²⁾

قال ابن القيم - رحمه الله - : ولهذا كان أكمل الأمم علمًا أتباع الرسل، وإن كان غيرهم أحقق منهم في علم النجوم والهندسة، وعلم الكم المتصل والمنفصل، وعلم النبض والقارورة والأبوال ومعرفة قوامها، ونحوها من العلوم التي لما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم بها وآثروها على علوم الرسل، وهي كما قال الواقف على نهايتها: " ظنونٌ كاذبةٌ، وإن بعض الظن إثمٌ "، وهي علوم غير نافعة، فنعوذ بالله من علم لا ينفع، وإن نفعت فنفعها

(1) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المثنان (ص 875).

(2) ابن جزى، محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل (2/236).

بالنسبة إلى علوم الأنبياء كنفع العيش العاجل بالنسبة إلى الآخرة ودوامها.
فليس العلم في الحقيقة إلا ما أخبرت به الرسل عن الله عز وجل طلباً وخبراً، فهو العلم
المزكي للنفوس، المكمل للفطر، المصحح للعقول، الذي خصّه الله باسم العلم، وسمى ما
عارضه ظناً لا يغني من الحق شيئاً وحرصاً وكذباً.⁽¹⁾

فتعلم أخي الطالب للعلم ما جاءت به رسل الله عليهم السلام، الذين خاتمهم محمد
صلى الله عليه وسلم الذي جاء بالشرعة المهيمنة على ما قبلها من الشرائع، فما فيها من
خير ونفع هو موجود في شريعته صلى الله عليه وسلم، فبذلك فلتفرح وتقرّ عينك، وإياك أن
تفرح بما سواها من العلوم المخالفة لها؛ فهو من الفرح المذموم الذي يؤدي إلى الأشر والكبر
ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(1) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة (121/1).

المبحث الخامس

الإعراض عن العلم يورث التولي عن ذكر الله، والغفلة عن الآخرة:

من لا يعلم الإيمان وأحكام الشرع، إنما يعلم ظاهرًا من الحياة الدنيا ما يتعلق بكسب المعاش، وبناء الحضارة المادية، وهو عن الآخرة التي هي دار الحياة الحقيقية معرض، لا يلتفت إليها، كما أخبر الله عنهم: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (٧) سورة الروم: الآية (7).

قال البغوي - رحمه الله -: يعني أمر معاشهم وكيف يكتسبون ويتجرون، ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون، وكيف يبنون ويعيشون، (وهم عن الآخرة هم غافلون)، ساهون عنها جاهلون، لا يتفكرون فيها ولا يعملون لها. (1)

وقال البقاعي - رحمه الله -: قال الحسن - رحمه الله -: "إن أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه ولا يخطئ؛ وهو لا يحسن يصلي" وأمثال هذا لهم كثير، وهو إن كان عند أهل الدنيا عظيمًا فهو عند الله حقير، فلذلك حقره؛ لأنهم ما زادوا فيه على أن ساووا البهائم في إدراكها ما ينفعها؛ فتستجلبه بضروب من الحيل، وما يضُرُّها فتدفعه بأنواع من الخداع. (2)

قال السعدي - رحمه الله - في تفسيره عند هذه الآية: قد توجهت قلوبهم وأهواؤهم وإراداتهم إلى الدنيا وشهواتها وحطامها، فعملت لها وسعت، وأقبلت بها وأدبرت، وغفلت عن الآخرة، فلا الجنة تشتاق إليها، ولا النار تخافها وتخشاها، ولا المقام بين يدي الله ولقائه يروعها ويزعجها، وهذا علامة الشقاء، وعنوان الغفلة عن الآخرة ... قد رآهم أهل البصائر النافذة في جهلهم يتخبطون، وفي ضلالهم يعمهون، وفي بطلهم يترددون، ... فعرفوا أن الأمر لله، والحكم له في عباده، وإن هو إلا توفيقه وخذلانه؛ فخافوا ربهم، وسألوه أن يتم لهم ما وهبهم من نور العقول الإيمان، حتى يصلوا إليه ويحلوا بساحته. (3)

(1) البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن (262/6).

(2) البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (45/15).

(3) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المَنان (ص748).

وكذلك فإن الذي يُدبر عن ذكر الله ولم يعبأ به، ولم يُرد إلا الحياة الدنيا، فهو لا يعمل لآخرته؛ لأنه لا يؤمن بها، هذا هو مبلغه من العلم لأنه جاهل، لم يصل إلى اليقين، قال الله تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْ مَن تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۚ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَن اهْتَدَى ۚ ﴾ سورة النجم: الآية (29، 30).

قال ابن عاشور - رحمه الله -: بعد أن وصف مداركهم الباطلة وضلالهم فزع عليه أمر نبيّه بالإعراض عنهم؛ ذلك لأن ما تقدم من وصف ضلالهم كان نتيجة إعراضهم عن ذكر الله . وهو التولي عن الذكر. فحق أن يكون جزاؤهم عن ذلك الإعراض إعراضاً عنهم.⁽¹⁾

وقال السعدي - رحمه الله -: أمر الله رسوله بالإعراض عمن تولى عن ذكره، الذي هو الذكر الحكيم، والقرآن العظيم، والنبأ الكريم، فأعرض عن العلوم النافعة، ولم يرد إلا الحياة الدنيا، فهذا منتهى إرادته، ومن المعلوم أن العبد لا يعمل إلا للشيء الذي يريده، فسعيهم مقصور على الدنيا ولذاتها وشهواتها، كيف حصلت حصلوها، وبأي طريق سنحت ابتدروها. (ذلك مبلغهم من العلم) أي: هذا منتهى علمهم وغايته، وأما المؤمنون بالآخرة المصدقون بها أولو الالباب والعقول فهمتهم وإرادتهم للدار الآخرة، وعلومهم أفضل العلوم وأجلها، وهو العلم المأخوذ من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.⁽²⁾

وقال القرطبي - رحمه الله -: في قوله تعالى (ذلك مبلغهم من العلم) أي إنما يبصرون أمر دنياهم، ويجهلون أمر دينهم، قال القراء - رحمه الله -: صغرهم وازدري بهم؛ أي ذلك قدر عقولهم ونهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة.⁽³⁾

فاحرص أخي على العلم النافع؛ حتى لا تكون ممن تولى عن ذكر ربه سبحانه، وغفل عن الآخرة، فيضعف لديك العلم، فتحسر الدنيا والآخرة، قال ابن القيم - رحمه الله -: فالعلم يضعف قطعاً بالغفلة والإعراض واتباع الهوى وإيثار الشهوات، وهذه الأمور توجب شبهات

(1) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التنوير والتحرير (116/27، 117).

(2) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المآان (ص 967).

(3) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن (105/17).

وتأويلات تضاده، فتأمل هذا الموضع حق تأمل فإنه من أسرار القدر والشرع والعدل.⁽¹⁾

(1) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص173).

المبحث السادس

عدم العمل بالعلم أو عدم فهمه سبب للذم

فقد رغب الشرع إلى العمل بالعلم، وأن ذلك رفعة من الله لصاحبه، وعصمة من الشيطان، وذكر قصة الرجل من بني إسرائيل الذي أعطاه آياته فعلمها، وفهم الحق الذي دلت عليه، ولكنه لم يعمل بها، بل تركها وانخلع منها، فلحقه الشيطان، وصار قريباً له، فأصبح من الضالين الهالكين، بعد أن كان من المهديين الناجين، ولو شاء الله نفعه بهذه الآيات لرفعه بها؛ بأن يوفقه للعمل بها فيرتفع في الدنيا والآخرة، ولكنه اختار ما يؤدي إلى خذلانه حين مال إلى شهوات الدنيا مؤثراً دنياه على آخرته، وأتبع ما تهواه نفسه من الباطل، فمثله في شدة الحرص على الدنيا كمثّل الكلب لا يزال لاهثاً في كل حال، إن كان رابضاً لهث، وإن طُرِدَ لهث، ذلك المثل المذكور مثل القوم الضالين بتكذيبهم بآياتنا، فاقصص - أيها الرسول - القصص عليهم؛ رجاء أن يتفكروا فينزعجوا عما هم فيه من التكذيب والضلال، قال الله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱنْسَلَخَ مِنْهَا فَٱتَّبَعَهُ الشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَٰوِينَ ۚ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ فَشَلَاهُ ۚ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ بِءَايَاتِنَا فَٱقْصِصْ ٱلْقَصْصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۚ﴾ سورة الأعراف: الآية (175. 176).

قال السعدي - رحمه الله -: عند قوله تعالى: (فانسلك منها) أي انسلك من الاتصاف الحقيقي بالعلم بآيات الله؛ فإن العلم بذلك يصير صاحبه متصفاً بمكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ويرقى إلى أعلى الدرجات، وأرفع المقامات، فترك هذا كتاب الله وراء ظهره، ونبذ الأخلاق التي أمر بها الكتاب، وخلعها كما يخلع اللباس، فلما انسلك منها أتبعه الشيطان؛ أي: تسلط عليه حين خرج من الحصن الحصين، وصار إلى أسفل سافلين، فأزّه إلى المعاصي أُرّاً (فكان من الغاوين) بعد أن كان من الراشدين المرشدين... ثم قال رحمه الله: وفي هذه الآيات الترغيب في العمل بالعلم، وأن ذلك رفعة من الله لصاحبه، وعصمة من الشيطان، والترهيب من عدم العمل به، وأنه نزول إلى أسفل سافلين، وتسليط للشيطان عليه، وفيه

اتباع الهوى وإخلاق العبد إلى الشهوات، يكون سبباً للخذلان. (1)

قال ابن عاشور - رحمه الله -: فإنه لما عاند ولم يعمل بما هداه الله إليه حصلت في نفسه ظلمة شيطانية مكنت الشيطان من استخدامه، وإدامة إضلاله؛ فالانسلاخ على الآيات أثر من وسوسة الشيطان، وإذا أطاع المرء الوسوسة تمكن الشيطان من مقاده، فسخره وأدام إضلاله، وهو المعبر عنه ب(فأتبعه) فصار بذلك في زمرة الغواة المتمكنين في الغواية ... وقوله تعالى: (ولو شئنا لرفعناه بها) أفاد أن تلك الآيات شأنها أن تكون سبباً للهداية والتزكية لو شاء الله له التوفيق، وعصمه من كيد الشيطان وقتنته فلم ينسلخ عنها، وهذه عبرة للموفقين؛ ليعلموا فضل الله عليهم في توفيقهم؛ فالمعنى: ولو شئنا لزد في العمل بما آتينا من الآيات فلرفع الله بعلمه. (2)

وقال البغوي - رحمه الله -: قال القتيبي - رحمه الله -: كل شيء يلهث إنما يلهث من إعياء، أو عطش، إلا الكلب؛ فإنه يلهث في حال الكلال، وفي حال الراحة، وفي حالة العطش، فضربه الله مثلاً لمن كذب بآياته، فقال: إن وعظته فهو ضال، وإن تركته فهو ضال؛ كالكلب: إن طردته ليهث، وإن تركته على حال يلهث. (3)

وبل ومثل الله الذي يترك ما كُلفَ به فلا يعمل به، كمثل الحمار الذي يحمل الكتب الكبيرة، ولا يدري ما حُمِّلَ عليه: أهو كتب أم غيرها؟ قبح مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله، والله لا يوفق القوم الظالمين لإصابة الحق، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة الجمعة: الآية (5)).

قال ابن كثير - رحمه الله - : يقول الله تعالى ذاماً لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها ثم لم يعملوا بها، مثلهم في ذلك (كمثل الحمار يحمل أسفاراً) أي: كمثل الحمار إذا

(1) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المثنان (ص350).

(2) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التنوير والتحرير (9/176).

(3) البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن (3/305).

حمل كتبًا لا يدري ما فيها، فهو يحملها حملًا حسيًا ولا يدري ما عليه، وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه: حفظوه لفظًا، ولم يتفهموه، ولا عملوا بمقتضاه. (1)

وقال ميمون بن مهران - رحمه الله -: الحمار لا يدري أسفر على ظهره أم زبل؛ فهكذا اليهود. (2) وقال القاسمي: فهذا المثل وإن كان ضُرب لليهود فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به، ولم يؤدِّ حقَّه، ولم يره حق رعايته. (3)

لقد فهم السلف الصالح عليهم رضوان الله تعالى أهمية العمل بالعلم، وأنه الثمرة الحقيقية للعلم، وإلا فما الفائدة من العلم والتعلم، إن لم يكن حجة لك عند الله تعالى، قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: (يا حملة العلم اعملوا به، فإنما العالم من علم ثم عمل، ووافق علمه عمله، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، تخالف سريرتهم علانيتهم، ويخالف علمهم عملهم، يقعدون حلًا فيباهي بعضهم بعضًا؛ حتى أن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله عز وجل).

وقال ابن مسعود - رضي الله عنه -: (إن الناس أحسنوا القول كلهم، فمن وافق فعله قوله، فذلك الذي أصاب حظَّه، ومن خالف قوله فعله، فإنما يوبِّخ نفسه).

ويروى أن سفيان الثوري - رحمه الله - كان ينشد متمثلاً، وهي لسابق البربري :

إذا العلم لم تعمل به كان حجة عليك ولم تعذر بما أنت جاهله
فإن كنت قد أوتيت علمًا فإنما يصدِّق قول المرء ما هو فاعله (4)

وقال سفيان ابن عيينة - رحمه الله - : ((أجهل الناس من ترك ما يعلم، وأعلم الناس من

(1) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم (117/8).

(2) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن (94/18).

(3) القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد، محاسن التأويل (229/9).

(4) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، جامع بيان العلم وفضله، باب جامع القول في العمل بالعلم (1/188).

عمل بما يعلم)).⁽¹⁾

(1) الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، سنن الدارمي، (355/1)، باب في فضل العلم والعالم (342).

المبحث الثاني

بذل العلم ثمناً لنيل المكاسب الدنيوية

وهذا مسلك خطير من مسالك من آتاهم الله علماً من أهل الكتاب، وهو استخدام العلم في قضاء المصالح الشخصية، سواء كانت مالة كالرّشى والنقود والمتاع، أو معنوية كالترقي في الرتب الوظيفية، والمناصب الدنيوية، والفوز برضا المسؤول، والسلامة من غضب السلطان ونحو ذلك. (1)

قال الله تعالى في كتاب العزيز: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآبَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَأَنقُوزَ﴾ سورة البقرة: الآية (41).

قال البيضاوي - رحمه الله - : (ولا تستبدلوا بالإيمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا، فإنها وإن جلّت قليلة مستزلة، بالإضافة إلى ما يفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك الإيمان، قيل: كان لهم رئاسة في قومهم، ورسوم وهدايا منهم، فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها عليه، وقيل: كانوا يأخذون الرّشى فيحرفون الحق ويكتمونه) (2).

وقال محمد رشيد رضا - رحمه الله - : (تستبدلوا بهدايته هذا الثمن القليل، وهو ما يستفيدة رؤسائكم من المرءوسين من مال وجاه أوقعاهم في الكبر، وما يتوقعه المرءوسين من الزلفى والحظوة بتقليد الرؤساء واتباعهم وما يخشونه إذا خالفوهم من المهانة والذلة، وإنما سمي هذا الجزاء قليلاً؛ لأن كل ما عدا الحق قليل وحقير بالنسبة إليه، وكيف لا يكون قليلاً وصاحبه يخسر عقله وروحه قبل كل شيء لإعراضه عن الآيات البينات، والبراهين الواضحات؟ ثم إنه يخسر عز الحق وما يكون له من الشأن العظيم وحسن العافية، ثم إنه يخسر مرضاة الله - تعالى - وتحل به نقمه في الدنيا وعقوبته في الآخرة). (3)

وانظر - بعين التأمل - إلى ما قاله الإمام الشوكاني - رحمه الله - : (فمن أخذ من المسلمين

(1) الزهراني، فايز بن سعيد، غمامتان (ص254).

(2) البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (76/1).

(3) رشيد رضا، محمد رشيد بن علي، تفسير القرآن الحكيم، (تفسير المنار) (243/1).

رشوة على إبطال حقِّ أمر الله به، أو إثبات باطل نهي الله عنه، أو امتنع عن تعليم ما علمه الله، وكنتم البيان الذي أخذ الله عليه ميثاقه به، فقد اشترى بآيات الله ثمناً قليلاً). (1)

إن الخشية من الله والخوف من سوء الحساب والتيقظ الوجداني لئلا تمنع بإذن الله من الوقوع في موبقة كهذه الموبقة، ألا ترى أن الله ختم الآية بقوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَآتِقُونَ﴾ (٤١) ومعنى ذلك أن الذين قدموا حظوظ الدنيا وكسب الأموال ورضا الرؤساء على حق العلم والصدق به، قل حظهم من التقوى. (2)

وفي هذا الملحظ التربوي يقول السعدي - رحمه الله - : (هؤلاء أهل الكتاب والعلم على الحقيقة، كما قال تعالى: { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } ومن تمام خشيتهم لله، أنهم { لا يشترتون بآيات الله ثمناً قليلاً } فلا يقدمون الدنيا على الدين كما فعل أهل الانحراف الذين يكتمون ما أنزل الله ويشترتون به ثمناً قليلاً وأما هؤلاء فعرفوا الأمر على الحقيقة، وعلموا أن من أعظم الخسران، الرضا بالدون عن الدين، والوقوف مع بعض حظوظ النفس السفلية، وترك الحق الذي هو: أكبر حظ وفوز في الدنيا والآخرة، فآثروا الحق وبينوه، ودعوا إليه، وحذروا عن الباطل، فأثابهم الله على ذلك بأن وعدهم الأجر الجزيل، والثواب الجميل، وأخبرهم بقربه، وأنه سريع الحساب، فلا يستبطؤون ما وعدهم الله، لأن ما هو آت محقق حصوله، فهو قريب). (3)

فالواجب على طالب العلم أن يعرف قدر العلم، وعظيم أجره عند الله إذا ثبت عليه ووقف معه، وأثره على كل ما سواه من حظوظ الدنيا الفانية، ومتعتها الزائلة؛ فينال به العز والشرف والرفعة عند الله وعند عباده المؤمنين في الدنيا والآخرة.

(1) الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير (88/1).

(2) الزهراني، فايز بن سعيد، غمامتان (ص255).

(3) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص173).

المبحث السابع

اتباع الهوى بعد العلم

لأن العلم هو الحق الواضح، الذي يجب اتّباعه، ولئن حصل الاتّباع للأهواء بعد مجيء الحق الواضح، فلن تجد من الله مناصرة أو معونة، وهذا فيه بيان خطورة ترك الحق ومجاراة أهل الباطل، قال الله تعالى: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ سورة البقرة: الآية (120).

بل ترك العلم الصحيح الذي لا مرية فيه، يصير به الإنسان من الظالمين بتركه الهدى، واتباعه الهوى؛ لأن هناك فرق بين تأليف قلوب المدعوين، واتباع أهوائهم بسخط الله تعالى، علاوة على أن ذلك فيه إقامة الحجة على العالم، قال ابن كثير رحمه الله: ثم حذر تعالى عن مخالفة الحق الذي يعلمه العالم إلى الهوى، فإن العالم الحجة عليه أقوم من غيره⁽¹⁾ قال الله تعالى: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ سورة البقرة: الآية (145).

وليس لك من الله ولي يتولى أمرك، ويبصرك على أعدائك، وليس لك مانع يمنعك من عذابه، أن أنت اتبعت أهواء أهل الكتاب بعدما جاءك من العلم الذي علمك الله إياه، قال الله تعالى: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ سورة الرعد: الآية (37).

قال الإمام القرطبي . رحمه الله .: أي أهواء المشركين في عبادة ما دون الله، مالِك من الله من ولي: أي ناصر ينصرك، ولا واق: يمنعك من عذابه، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد الأمة.⁽²⁾

ولذا فعليك أيها المسلم الحذر من سماع شبهات الكفار، وتلقفها؛ فإن عاقبة ذلك أن

(1) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم (462/1).

(2) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن (327/9).

يكلك الله على نفسك؛ لأنك توليت عن شرعه، بعد إذ علمته.
ولو تأملنا حال كثير ممن ينتسب إلى العلم في زمننا هذا، لوجدنا أنهم ينساقون أحياناً مع أهوائهم في مواقفهم العلمية أو العملية، إلى ما فيه مخالفة لصريح ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة؛ بحجة الواقع أو متابعة أكثر الناس أو ما عليه جماعته وحزبه، وأي اتباع للهوى أعظم من ذلك نسأل الله أن يبصّرنا بالحق ويلهمنا اتباعه.

بل أن كل من اتّبع الهوى وترك الهدى، فقد ضل عن الهدى؛ لتركه العلم بالله وبشرعه، فمن يوفق للهداية من أضل الله؟ لا أحد يوفّقه، وليس له ناصر يدفع عنه عذاب الله، قال الله تعالى: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ سورة الروم: الآية (29).

النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

1. أن تعلم العلم الموصل إلى الله، اصطفاء من الله لعباده، وبه تصلح الدنيا والآخرة.
2. ثمرة العلم النافع خشيته سبحانه ثم التزام بما عِلِمَ، عملاً به، ودعوة إليه.
3. معرفة الوحي والإيمان به، تثمر في القلب إخباراً وخضوعاً لله تعالى.
4. العلم الخشية، فإن من لم يخشَ الله تعالى حق الخشية لم ينتفع بعلمه.
5. الدنيا دار غرور وفتنة، إلا لمن تسليح بالعلم، فبه يعرف حقيقتها ويتقي فتنتها.
6. لا قيمة للعلم إلا ببذل الجهد والتضحية في سبيل أن يكون ما يحبه الله تعالى في أرضه.
7. أن القلب السليم من الزيغ يؤمن بالمحكمات من الدين ويرد إليها المتشابهات.
8. تقوى الله تعالى والتيقظ الوجداني تمنع بإذن الله الوقوع في موبقة جعل العلم ثمناً للدنيا.
9. من كان منتهى إرادته ومبلغ علمه لذات الدنيا وشهواتها، فعلمه قاصر لا يصل إلى اليقين.
10. الغفلة والإعراض واتباع الهوى إثارة الشهوات، توجب تأويلات تضاد العلم وتضعفه.

ثانياً: التوصيات:

1. الدعوة إلى تثبيت المحكمات من الدين في حياة عامة المسلمين.
2. غرس محبة العلم والتعلم لدى الأجيال المسلمة مع بيان ثمره العلم وفائدته.
3. إيجاد المحاضن العلمية والتربوية تقوم على التدرج المنهجي في تعليم العلم وترسيخه.
4. وضع برامج مصاحبة لتحفيظ القرآن الكريم تربي على اتباع الهدى ومجانبة الهوى.
5. الحرص على تدبر القرآن الكريم واستنباط الحلول الصحيحة لمشكلات الحياة عامة.

المراجع:

- الألوسي، محمود بن عبد الله، (1415هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى.
- البغوي، (1997م)، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، الطبعة الرابعة.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي القاهرة.
- البيضاوي، عبد الله بن عمر، (1418هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن العرشي، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى.
- الترمذي، محمد بن عيسى، (1975م) سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد للطباعة، المدينة النبوية، (د. ط)، (1416هـ 1995م).
- ابن جزى، محمد بن أحمد، ابن جزى الكلبي الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: د عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت، الطبعة الأولى 1316هـ.
- ابن حيان، أبو حيان محمد بن يوسف، (1420هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر: بيروت (د. ط).
- الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، (2000)، سنن الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد

- الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، السعودية، ط1.
- الذهبي، محمد بن أحمد، الكبائر، دار الندوة الجديدة، بيروت.
- رشيد رضا، محمد رشيد بن علي، (1990)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الزهراني، فايز بن سعيد، (2022م)، غماتان جولة مفاهيمية في سورتي البقرة وآل عمران، شركة آفاق المعرفة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية.
- أبو زيد، بكر بن عبد الله، (1416هـ)، حلية طالب العلم، دار العاصمة للنشر والتوزيع الرياض، الطبعة الأولى.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المآان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويح، التصحيح والمراجعة: قسم البحث والإعداد العلمي بمكتبة دار السلام للنشر والتوزيع، طبعة مجلة البيان.
- الشاطي، إبراهيم بن موسى، (1992)، الاعتصام، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان السعودية، الطبعة الأولى.
- الشثري، مشاري بن سعد، (1437هـ)، ارتياض العلوم، مركز البيان للبحوث والدراسات، مجلة البيان، طباعة الدار العربية للطباعة والنشر.
- الشوكاني، محمد بن علي، (1414هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، دار ابن كثير - دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت، الطبعة الأولى.
- الطبري، محمد بن جرير، (2001)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، سنة النشر 1984م.
- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، مكتبة ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الأولى، 1414هـ 1994م.

- ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1422هـ.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة بيروت.
- الغنيان، عبد الله بن محمد الغنيان، ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، العدد الخامس والستون والسادس والستون، محرم — جمادى الآخرة 1405هـ 1985م.
- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد، (1418هـ) محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية.
- القاضي عياض، القاضي عياض بن موسى، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، مطبعة فضالة . المحمدية المغرب، الطبعة الأولى.
- القرطبي، محمد بن أحمد، (1964م)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية . القاهرة . الطبعة الثانية.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر (1408هـ)، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة الرياض، الطبعة الأولى.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي بيروت لبنان.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، شفاء العليل في مسائل القدر والحكمة والتعليل، دار المعرفة، بيروت لبنان، 1398هـ 1978م.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع: الرياض، (ط2)، (1420هـ 1999م).
- ابن مفلح، محمد بن مفلح، الآداب الشرعية والمنح المرعية، عالم الكتب.
- المقبل، عمر بن عبد الله، (1435هـ)، مواظب الصحابة رضي الله عنهم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع الرياض، الطبعة الأولى.

اللحن اللغوي في قراءة القرآن الكريم مظاهره وأسبابه وعلاجه (دراسة وصفية)

د. حسن أحمد بن سميط د. عمر مبارك باسواد

الأستاذ المشارك باحث دكتوراه

جامعة سيئون كلية الآداب واللغات جامعة سيئون

omer419822@gmail.com

hassan.binsumit@gmail.com

© نُشر هذا البحث وفقاً لشروط الرخصة Attribution international (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أجريت عليه.

للاقتباس: بن سميط. حسن أحمد وباسواد. عمر مبارك، اللحن اللغوي في قراءة القرآن الكريم مظاهره وأسبابه وعلاجه (دراسة وصفية)، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، عدد خاص للمؤتمر القرآني الدولي الثالث المجلد (2)، سبتمبر 2025: 202-225.

DOI: <https://doi.org/10.61821/3rdconfv2.0208>

الملخص:

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحابه الغر الميامين. يهدف البحث إلى الوقوف على الأخطاء اللغوية عند قراءة القرآن الكريم، فيقف على مظاهره، والأسباب المفضية لظهوره وانتشاره، ثم يضع العلاج الناجع دون حدوث هذا الخطأ أو ذلك اللحن. وقد ذكر البحث بعض الأخطاء التي يقع فيها المتعلمون. وقد احتوى البحث على تهميد وثلاثة مباحث، وخاتمة. وتناول المبحث الأول مظاهر اللحن في قراءة القرآن الكريم. في حين أنَّ المبحث الثاني تحدث عن الأسباب التي أدت إلى اللحن في القرآن الكريم. والمبحث الثالث وضع فيه البحث علاج اللحن في قراءة القرآن الكريم. وخاتمة البحث فقد حوت أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

الكلمات المفتاحية: اللحن اللغوي، القراء، قراءة القرآن، الخطأ، التجويد.

Linguistic Errors in Qur'anic Recitation: Manifestations, Causes, and Remedies (A Descriptive Study)

Dr. Hassan Ahmed Bin Sumeit Dr. Omar Mubarak Baswad

Associate Professor
University of Sayun

PhD Researcher
Faculty of Arts and Languages
University of Sayun

©This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.

Citation: Bin Sumeit . Hassan Ahmed & Baswad. Omar Mubarak, Linguistic Errors in Qur'anic Recitation: Manifestations, Causes, and Remedies (A Descriptive Study), Journal of the University of Holy Quran and Islamic Sciences, Special Issue of the third International Qur'anic Conference, Volume (2), September 2025:202-225.

DOI: <https://doi.org/10.61821/3rdconfv2.0208>.

Abstract:

Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and may peace and blessings be upon the one sent as a mercy to all creation, and upon his noble family and righteous companions. This research aims to examine linguistic

errors in the recitation of the Holy Qur'an. It explores the manifestations of such errors, the underlying causes behind their emergence and spread, and proposes effective remedies to prevent these mistakes and mispronunciations. The study identifies several common errors made by learners and is structured into an introduction, three main sections, and a conclusion. The first section discusses the various forms of linguistic mistakes (lahn) in Qur'anic recitation. The second section analyzes the reasons that lead to these errors. The third section presents solutions and corrective measures to address and prevent lahn in Qur'anic recitation. The conclusion summarizes the key findings reached by the research.

Keywords: Knowledge, Motivators, Cautions.

التمهيد:

يتركز الحديث فيه على معاني اللحن في أمرين مهمين؛ وهما: المعنى اللغوي لكلمة (لحن)، والمعنى الاصطلاحي الذي يؤديه ذلك المعنى اللغوي بحيث يكون جامعاً مانعاً. أولاً: المعنى اللغوي (لحن)

ذكرت المعاجم هذا الجذر اللغوي وكادت تتفق على المعنى الذي جرى على ألسنة العرب، والمعنى الذي يتناوله الناس جيلاً بعد جيل. ويتخذ هذا اللفظ (لحن) عددًا من المعاني، قال ابن فارس: "(لحن) اللام والحاء والنون له بناءان يدل أحدهما على إمالة الشيء من جهته، ويدل الآخر على الفطنة والذكاء"⁽¹⁾، وأضاف الرازي في معنى اللحن تفصيلاً، فقال: "لحن، اللحن الخطأ في الإعراب، وبابه قَطَعَ، فلان لَحَنَّ و لَحَانة يَحْطِي"⁽²⁾. ويمثل ابن منظور المعاني في ستة معانٍ، قال: "للحن ستة معانٍ: الخطأ في الإعراب، واللغة، والغناء،

(1) ابن فارس، أحمد بن فارس، مقاييس اللغة (لحن) 239/5.

(2) الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح (لحن) 523.

والفطنة، والتعريض، والمعنى⁽¹⁾.

ثانيًا: اللحن في الاصطلاح اللغوي:

أشار الشريف الجرجاني إلى تعريف اللحن بما يخص القرآن الكريم، فقال: "اللحن في القرآن الكريم والأذان بأنه التطويل فيما يقصر، والقصر فيما يطول"⁽²⁾. إذن يُعرَّفُ اللحن عند القراء بأنه الخطأ الذي يقع فيه القارئ في أثناء التلاوة لمخالفة قواعد النحو أو التجويد أو الأداء، أو الخلط بين الأوجه⁽³⁾.

عرف السيوطي اللحن عند القراء ما نصه: "فاللحن خلل يطرأ على الألفاظ فيخل إلا أن الجلي يخل إخلالاً ظاهراً يشترك في معرفته علماء القراءة وغيرهم وهو الخطأ في الإعراب، والخفي يخل إخلالاً يختص بمعرفته علماء القراءة وأئمة الأداء الذين تلقوه من أفواه العلماء وضبطوه من ألفاظ أهل الأداء"⁽⁴⁾. وقد اختصر ابن منظور⁽⁵⁾ فقال: "تركُّ الصَّوَابِ فِي الْقِرَاءَةِ وَالنَّشِيدِ وَنَحْوِ ذَلِكَ".

وخلاصة القول من مجموع التعريفات السابقة وما جاء عن العرب يمكن القول بأن اللحن: مخالفة العربية الفصحى في الأصوات والتراكيب والصيغ ودلالة الألفاظ، مفردة أو مركبة، وإطالة ممة، أو تقصير محل.

- (1) ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب (لحن) 379/13، الوافي بالوفيات 37/5. والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة 248/1.
- (2) الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات ص 191.
- (3) ينظر: السنباوي، محمد بن أحمد، رسالة في لحن القراء والإنكار على من يقول بكفر اللاحن 14.
- (4) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن 640/2.
- (5) ابن منظور، لسان العرب (لحن) 379/13.

المبحث الأول

مظاهر اللحن في قراءة القرآن الكريم

وتتركز دراسة لحن القُرَّاء في الجوانب الآتية: التجويد - الأداء - اللغة والإعراب.

أولاً: اللحن عند القراء في التجويد: يقسم كثير من علماء القراءة اللحن فيها على قسمين؛ اللحن الجلي، واللحن الخفي.

القسم الأول: اللحن الجلي: قال ابن منظور: "وجلا الأمر وجلاه وجلَّى عنه كَشَفَه وأظهره، وَقَدِ انْجَلَى وَتَجَلَّى. وأمرٌ جَلِيٌّ: وَاضِحٌ؛ تَقُولُ: اجْلُ لي هَذَا الأمرُ أَي أَوْضَحْهِ. والجلَاءُ، مَمْدُودٌ: الأمرُ البَيِّنُ الواضِحُ. والجلَاءُ، بِالْفَتْحِ وَالْمَدِّ: الأمرُ الجَلِيُّ، وَتَقُولُ مِنْهُ: جَلَا لي الخبرُ أَي وَضَحَ"(1).

واصطُلح عند أهل القراءة بأنه ما أدى إلى فساد معنى أو مبنى للفظ نتيجة للإخلال بقواعد النحو أو التجويد أو الأداء(2). أو هو خطأ يطرأ على الألفاظ فيخل بموازن القراءة، ومقاييس التلاوة، وقوانين اللغة العربية، والإعراب، سواء ترتب عليه إخلال بالمعنى أو لا(3).

والتعريفان بينهما تقارب، غير أن الأول الخطأ يؤدي إلى إخلال بالمعنى والمبنى، في حين الثاني يرى الخطأ وإن ترتب عليه إخلال بالمعنى أو لا. وفي نظر البحث أن الثاني أعم وأشمل.

وسمي باللحن الجلي لظهوره وجلائه وعدم خفائه على أحد؛ سواء كان من القُرَّاء أم من غيرهم ممن له أدنى معرفة باللغة والقراءة(4).

ويأتي اللحن الجلي في الحروف والحركات.

اللحن في الحروف: ويظهر في صور ثلاثة؛ باستبدال حرف بحرف، أو حذف حرف، أو زيادة حرف.

(1) ابن منظور، لسان العرب (جلا) 150/14.

(2) ينظر: القرش، جمال بن إبراهيم، رسالة في لحن القراء، 15.

(3) ينظر: القرش، لحن القراء 15.

(4) ينظر: القرش، رسالة في لحن القراء 15.

فمثال استبدال حرف بحرف ما يحصل بين الجيم والشين من حن بسبب تجاور الحرفين واتحادهما في المخرج. قال مكّي بن أبي طالب⁽¹⁾: "وإذا وقع بعد الشين جيم وجب أن تبيّن الشين لئلا تقرب من لفظ الجيم؛ لأنها أختها ومن مخرجها، وذلك نحو قوله ﴿فِيْمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: 65]". ولذلك قد تستبدل العرب الشين بدل الجيم، قال ابن منظور: "وَقَوْلُهُ:

إِذْ ذَاكَ إِذْ حَبْلُ الْوَصَالِ مُدْمَشُ

إنما أراد مُدْمَجٌ، فأبدل الشّينَ مِنَ الْجِيمِ لِمَكَانِ الرَّوْيِ"⁽²⁾. و غيرها من الحروف⁽³⁾.

ومن صور الحن في الحروف، حذف الحرف نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا﴾ [النساء: 36]، فيقال: (لتشرك)، وهذا حن لا يخفى على من له أدنى علم بالقراءة. ومنه حذف أحد الحرفين المشددين، قال مكّي بن أبي طالب: "كل حرف مشدد مقام حرفين في الوزن واللفظ، والحرف الأول منهما ساكن والثاني متحرك، فيجب على القارئ أن يبيّن المشدد حيث وقع، ويعطيه حقه ويميزه؛ لأنه إن فرط في تشديده حذف حرفاً من تلاوته"⁽⁴⁾.

ومثال ترك التشديد في كلمة (إِيَّاكَ)، و (الرَّحْمَنُ)، و (الضَّالِّينَ) من سورة الفاتحة، وهذا يعني أنَّ إسقاط حرف من هذه الكلمات وغيرها حذف حرفاً، وكذلك الوقف على الحرف المشدد فيه صعوبة على اللسان لأنه نُطْقٌ بحرفين ساكنين متوالين ليس بينهما فاصل، والوقف على حرف ساكن من غير تشديد خطأ لا يجوز⁽⁵⁾، مثل: غير مضارّ، صوافّ،

(1) القيسي، مكّي بن أبي طالب، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ص 175.

(2) ابن منظور، لسان العرب (دمج) 2/274.

(3) ينظر: الداني، عثمان بن سعيد، التحديد في الإتيان والتجويد ص 146.

(4) القيسي، الرعاية 245.

(5) ينظر: الصفاقسي، علي بن محمد، تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين ص 150.

الحق.

ومن صور اللحن الجلي في الحروف زيادة حرف، وذلك بسبب الإفراط والمغالة في تحقيق الحركات، حتى يصل الأمر إلى إشباع الحركة فيتولد عنها حرف، قال السخاوي: "وما ينبغي ألا يُشبع الكسرة في نحو (لا شِية)، و (الغاشية)، و (دِية)، ونحو ذلك من الكسرات الكائنة قبل هذه الياءات المفتوحة، وذلك لحن" (1).

اللحن في الحركات: وهذا النوع من اللحن يؤدي إلى فساد المعنى؛ من تَوَهُّمٍ وَلَبْسٍ فيه، وعلى القارئ أن يهتمّ بالإعراب لما يترتب على ضياعه من إخلال، سواء كان تغيّر الحركات في بنية الكلمة أو في إعرابه، قال أبو بكر بن مجاهد: "من حملة القرآن المعرب العالم بوجوه الإعراب، والقراءات، والعارف باللغات ومعاني الكلام، العالم البصير بعيب لفظ القراءة، المنتقد للآثار، فذلك الإمام الذي يفزع إليه حفاظ القرآن من كل مصرٍّ من أمصار الإسلام" (2).

وأما اللحن في بنية الكلمة فكثير مما له أسباب متعددة، منها الخلط بين الكلمات المتوافقة في الرسم والحروف، والمختلفة في الحركات، نحو: (يَفْتَرُونَ - يَفْتَرُونَ)، و (سُخْرِيًّا - سُخْرِيًّا)، و (يَصِدُّون - يَصُدُّون)، و (رَجَلِك - رَجَلِك)، وغيرها. وكالخلط بين اسم الفاعل واسم المفعول، نحو: (المنذرين - المنذرين)، والمبني للمعلوم وما لم يسم فاعله (يَقْتُلُونَ - يَقْتُلُونَ)، و (يَطْعِم - يَطْعِم)، والخلط بين الجمع والمفرد نحو: (سُقُفًا - سَقُفًا)، وبين المتعدي لمفعول والمتعدي لمفعولين، نحو: (تَنَكَّحُوا - تُنَكِّحُوا)، وما يحصل من لبس في المصروف والممنوع من الصرف، نحو قوله تعالى ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ٤٢﴾ [المذثر 42]، وغيرها مما يترتب عليه فساد المعنى.

القسم الثاني اللحن الخفي: هو ما خفي على كثير من الناس ولم يدركه غالبهم. ويُعرَفُ بأنه

(1) السخاوي، عَمَ الدين علي بن محمد، جمال القراء وكمال الإقراء ص 645، وينظر: القرش، رسالة في لحن القراءة 37.

(2) القيسي، مكي بن أبي طالب، الرعاية 90.

خطأ يطرأ على اللفظ فيخل بالعُرف ولا يخل بالمعنى⁽¹⁾.

وهذا النوع من اللحن لا يعرفه إلا علماء القراءة، بل إنَّ هناك لحنًا لا يعرفه إلا الحدّاق منهم؛ لأنَّ أكثر وقوعه في الصفات والأداء، مما يؤدي إلى لبس في نطق الحروف. وكما قُسم اللحن الجلي على قسمين في الحروف والحركات، كذلك يُقسم اللحن الخفي على هذين القسمين؛ في الحروف والحركات.

اللحن الخفي في الحروف: ويأتي هذا النوع من اللحن على صور عدة؛ منها الخفي في الصفات كالهمس والجهر والشدة والتوسط والرخاوة، مثل الجيم والراء والضاد والطاء والقاف واللام والواو، وهي حروف جهر، فتعطى صفة الهمس وهذا لحن، مثل (جعلنا - قدير - اضرب - والطور - قال - أوّاب). وحروف الهمس (الكاف - والتاء) يكتمون، فتية. ومن اللحن الخفية مط الحروف التي تقبل جريان الصوت، وأكثره مع اللام والياء والواو والنون، نحو قوله: (الذي - إياك - أوّاب - أنعمت - الضالّين).

وكذا من اللحن في الترقيق، فيعطى التفخيم، مثل: (الحمد) فتغلظ النطق بها ويُعد ذلك لحنًا، وكذلك (آتيناهم)، ومثله قوله (اللهم)، فيعطى كل حرف ما يستحقه من الترقيق والتفخيم، أو يُعد ذلك لحنًا.

وكذلك في الترقيق والتفخيم يدخل أحكام الراء، لأنها ترقق في مواطن، وتفخم في مواطن أخرى، فالخلط بين ذلك يُعدُّ لحنًا، ويتعلق بالراء صفة التكرار فهي لازمة له، والمذموم المبالغة فيها. وغير ذلك مما يمكن نجده في مواطنه.

قال ابن الجزري: "أصل الخلل الوارد على ألسنة القُراء في هذه البلاد وما التحق بها هو إطلاق التفخيمات والتغليظات على طريقة ألفتها الطباعات، وتُلقيت من العجم، واعتادت النبط، واكتسبها بعض العرب"⁽²⁾.

اللحن الخفي في الحركات:

(1) ينظر: القرش، رسالة في لحن القراء 16.

(2) ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر ص 215/1.

ويكون اللحن في هذا النوع غالباً يتولد من إشباع الحركة أو المبالغة في قلقلة الحرف، فمن ذلك ما يحصل بالضمة عند إشباع النطق بها، نحو: (مِنْ وَجُوهِهِمْ)، و (تَقَاوُثُ)، وغيرها، سواء توالى ضمتان، أو ولي الضمة واو، نحو: (بُيُوتَكُمْ) و (رِيحُكُمْ)، و ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة: 216]. وكذا ما يتولد عن الكسرة عند إشباعها وخاصة إذا وليها ياء لقوة الياء وضعف الكسرة، نحو: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 4]. ومثلها الفتحة؛ إذا توالى فتحتان.

وأما ما يحصل من اللحن بسبب المبالغة في القلقلة وهو تولد حرف؛ كالضمة في نحو قوله: (ادْخُلُوا) عند قلقلة الدال تتولد الضمة، وكذلك قلقلة الغين في نحو قوله تعالى: ﴿أَعْرِفْنَهُمْ﴾ [الفرقان: 37]، والغين ليس من حروف القلقلة، وكذا قلقلة الصاد في نحو قوله تعالى: ﴿يَنْصَبِ وَعَذَابٍ﴾ [ص: 41]، وفي النون من قوله تعالى: ﴿أَنْعَمْتَ﴾ [الفاتحة: 7]. كل ذلك وغيره من اللحن يجب على القارئ سواء كان المتقن أو المبتدئ الاهتمام والعناية به؛ إذ لا تنضبط إلا بالمشافهة والسماع⁽¹⁾.

ثانياً اللحن في الأداء:

يحدث هذا اللحن في النبر والتنغيم؛ وهو عدم اتساق مقادير المدود مرتبة التلاوة، ونحو ذلك من التلفظ بالجملة الخبرية بتنغيم الاستفهام، والحدرد والتوسط والتخفيف في مقادير المدود.

يظهر لحن الأداء في صور كثيرة، من خلال النبر والتنغيم في الصوت بسبب التكلف والمبالغة في التحسين المفرط، والذي يُخرج النص المقروء بتلك النبرة عن الترسل الحقيقي في قراءته، وربما خرج إلى معنى مغاير. قال ابن منظور: "فكأنه تنبيهٌ لِلْمُقَصِّرِ فِي الرِّوَايَةِ عَلَى مَا يُعَابُ عَلَيْهِ مِنَ اللَّحْنِ وَالتَّصْحِيفِ وَسُوءِ الْأَدَاءِ وَحَثُّ لِعَيْزِهِ عَلَى التَّوَقِّي مِنْ ذَلِكَ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ، يُدُلُّ عَلَى مَا يُزَيَّنُ مِنَ التَّرْتِيلِ وَالتَّدْبِيرِ وَمُرَاعَاةِ الْإِعْرَابِ"⁽²⁾، في

(1) ينظر: السبباوي، رسالة في لحن القراء والانكار على من يقول بكفر اللحن 16.

(2) ابن منظور، لسان العرب (زين) 202/13.

معرض شرحه لحديث (زينوا القرآن بأصواتكم)، وما المقصود به الترتيل الذي أمر الله به، فقال ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝﴾ [المزمل:4].

ويذكر علماء التلاوة⁽¹⁾ عددًا من ذلك، منها:

1. الترقيص: وهو أن يروم⁽²⁾ السكت ثم ينفر عنه مع الحركة في عدو وهرولة، بسبب انخفاض الصوت وارتفاعه في الكلمة، ومثّل له بقوله تعالى: (أَنْعَمْتَ)، فيروم على النون يخفض الصوت ثم ينفر للعين بارتفاع الصوت.

2. التحزين: وهو إظهار الحزن رياءً بتكلف الخشوع عند القراءة وكأنه في حزن.

3. الترعيد: وهو كمن يردد من برد وألم بصوته في أثناء القراءة.

4. التحريف: وهو ما أحدثه بعضهم فيقطعون القراءة، وهم يجتمعون عليها في صعيد واحد.

5. التطريب: وهو الترنم بالقراءة، فيمد في غير محله، ويزيد فيه ما لم تجزه العربية ولا قواعد التجويد. فابن منظور عده من معاني اللحن، فقال: "اللحن: التطريب وتَرْجِيعُ الصَّوْتِ وَتَحْسِينُ الْقِرَاءَةِ وَالشَّعْرِ وَالْغِنَاءِ، قَالَ: وَيُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ هَذَا الَّذِي يَفْعَلُهُ قُرَّاءُ الزَّمَانِ مِنَ اللَّحُونِ الَّتِي يَقْرَأُونَ بِهَا النَّظَائِرَ فِي الْمَحَافِلِ، فَإِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى يَقْرَأُونَ كَتَبَهُمْ نَحْوًا مِنْ ذَلِكَ"⁽³⁾.

ثالثًا اللحن في اللغة والإعراب:

وهو ما يتعلق بآخر الكلم من حيث الإعراب، ويأتي هذا الموضوع في معرض التحذير من الوقوع فيه. قال أبو بكر بن الأنباري: "جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه وتابعيهم -

(1) ينظر: عبد السميع، أحمد محمود، الوافي في كيفية ترتيل القرآن ص 96، والغامدي، علي بن سعيد، اللحن في قراءة القرآن الكريم، دار البشائر الإسلامية 15.

(2) والروم النطق ببعض الحركة، وقال بعضهم تضعيف الحركة وتنقيصها حتى يذهب معظمها، ينظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، 1/886.

(3) ابن منظور، لسان العرب (لحن) 13/383.

رضوان الله عليهم- من تفضيل إعراب القرآن والحض على تعلمه، وذم اللحن وكراهيته ما وجب به على القراء أن يأخذوا أنفسهم بالاجتهاد في تعلمه"⁽¹⁾.

وإشارة إلى ما ذكره ابن الأنباري مجملًا يذكر البحث بعض تفصيل ذلك الإجمال؛ بذكر أقوال السلف في هذه المسألة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أعربوا القرآن والتمسوا غرائب"⁽²⁾. وفيه تنبيه على قراءة القرآن من غير إعراب بإسقاط آخره. ويذكر أبو عبيد أثراً عن الصديق رضي الله عنه أنه قال: "لأن أعرب آية أحب إليّ من أن أحفظ آية"⁽³⁾.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "تعلموا إعراب القرآن كما تعلمون حفظه"⁽⁴⁾. ففيه الحض على تعلم القرآن مثلما يتعلم أحدكم كيف يحفظ القرآن ويبدل فيه الجهد.. وأما ابن مسعود رضي الله عنه فكان يحث على تجويد القرآن وتحسين الصوت بالقرآن، بحيث يُقرأ به معرباً، فإنه عربي والله يحب أن يُعرب⁽⁵⁾.

وكان أبو الأسود الدؤلي متوقفاً في وضع قواعد لضبط اللغة وحمايتها من اللحن ولما سمع اللحن في الآية ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [النوبة 3]، بجر اللام في (رسوله) استعظم، وقال: "عزَّ وجهُ الله أن يبرأ من رسوله"⁽⁶⁾، فعزم على أن يضع قواعد

(1) الأنباري، محمد بن القاسم، إيضاح الوقف والابتداء 14/1.

(2) الحاكم، محمد بن عبد الله، المستدرک على الصحيحين، كتاب التفسير، تفسير سورة حم السجدة 477/2 برقم 3644، وقال صحيح على مذهب جماعة من أئمتنا ولم يخرجاه.

(3) ابن سلام، القاسم الهروي، فضائل القرآن ص 348.

(4) ابن سلام، فضائل القرآن 349.

(5) ينظر: القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان ص 42/1.

(6) ينظر: ابن الأنباري، عبد الرحمن بن محمد، نزهة الألباء في طبقات الأدباء ص 20.

للنحو وإعراب القرآن.

ويرى البحث أنه يحسن بالقارئ من تعلم العربية - النحو والإعراب - حتى يسلم من اللحن والوقوع في الخطأ، فيُقرئ غيره القرآن ملحوناً، جاء في المنبهة قوله⁽¹⁾:
وكلُّ مَنْ لَا يَعْرِفُ الإعراباً فرمياً قَدْ يتركُ الصواباً
وقال الحصري القيرواني⁽²⁾:

وأحسن كلامَ العرب إن كنت مقرئاً وإلا فتخطئ حين تقرأ أو تُقري
فقد يدعي علمَ القراءاتِ معشراً وباعثهم في النحو أقصر من شبر
فإن قيل ما إعرابُ هذا ووزنه؟ رأيت طویلَ الباعِ يقصُرُ عن فتر
واللحن في الإعراب ما يخل بالعرف دون المعنى، كمن يقرأ خطأً قوله تعالى: (الحمد لله) برفع الهاء في لفظ الجلالة (الله)، فقد أخل بما تعارف عليه النحويون من الجر بحرف الجر. والعرف هنا ما تعارف على مصطلح معين أو قاعدة معلومة لا خلاف فيها بين أهل الفن. ومن تعلم الإعراب أمن الوقوع في اللحن.

ومما يُذكر أنَّ الحجاج بن يوسف الثقفي قرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿[التوبة 24]﴾. برفع (أحب) ولحنه يحيى بن يعمر في قصة معروفة مشهورة عند القراء والنحويين⁽³⁾.

وقال الكسائي: "صليت بهارون الرشيد فأعجبني قراءتي فغلطت في آية ما أخطأ فيها صبي قط، أردت أن أقول: {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}، فقلت: لعلهم يرجعين، فوالله ما اجتراً هارون

(1) الداني، أبو عمرو بن عثمان، الأرجوزة المنبهة على أسماء القراء والرواة ص 171، البيت رقم 499.

(2) الحصري، علي بن عبد الغني، القصيدة الحصرية ص 92، الأبيات 14-16.

(3) ينظر: أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط ص 24/5.

أن يقول أخطأت. ولكنه لما سلّم قال: أي لغة هذه؟ قلت: يا أمير المؤمنين قد يعثر الجواد، قال: أما هذه فنعم⁽¹⁾. وغيرها كثير.

حكم اللحن في قراءة القرآن: وقف العلماء عند هذه المسألة في حكم من يلحن في قراءة القرآن سواء كان إمامًا أو مأمومًا، أو كان يقرأ منفردًا في غير الصلاة.

وحكم اللحن في تلاوة القرآن فإنه ينبني على حكم تعلم التجويد، وأحسن ما قيل في ذلك أن علم التجويد فرض كفاية والعمل به فرض عين في الجملة، وإن كانت القراءة سُنَّةً، ولكن بعض القراءة واجب، كقراءة ما لا تصح الصلاة إلا به⁽²⁾.

وتظهر مسألتان: ما حكم صلاة من يلحن في قراءة القرآن؟ وما حكم الصلاة خلف من يلحن في قراءة القرآن؟

وقبل النظر في المسألتين ينبغي التنبيه إلى حكم من لحن في الفاتحة، ويُعدُّ اللحن في الفاتحة إخلالًا في ركن من أركان الصلاة، وعليه فإنَّ ذلك يفسد صلاته. وأما تفصيل المسألتين فللفقهاء في ذلك إيضاح وتبيين على النحو الآتي⁽³⁾:

أولاً: إذا كان اللحن فاحشًا وأحال المعنى، فإنه يفسد الصلاة بالاتفاق، ويرى بعضهم أنه إذا كان اللحن يُخرج المقروء من كونه قرآنًا، فيصير كلامًا آخر فإنه يفسد الصلاة ولو لم يتغير المعنى. فإذا تغيّر المبنى لا عبرة بتغير المعنى أو لم يتغير، مثل قولهم: (همالة الهطبة)، ويقصد ما في سورة المسد حمالة الخطب.

ثانيًا: موافقة قراءة قرآنية، فإذا وافق الخطأ قراءةً ثابتة مقروءة فإنه لا تفسد صلاته، سواء علم بها أم لم يعلم، كمن قرأ (الصراط) و (صراط) بالسين بدل الصاد، أو الصاد المشممة بالزاي. وكذلك ما جاء في القرآن ما له وجه في قراءة أخرى نحوياً، مثل قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

(1) ينظر: الذهبي، محمد بن أحمد، معرفة القراء الكبار ص124.

(2) ينظر: القارئ، عبد العزيز بن عبد الفتاح، سنن القراء ومناهج المجودين ص125.

(3) ينظر: الدمياطي، أحمد بن محمد، تحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ص1/162. وقارئ، سنن القراء ومناهج المجودين، 127.

الْعَلَمِينَ ﴿[الفاتحة 2]﴾ بنصب (ربّ) أو رفعها، أو كسر الدال في (الحمد)، أو (عليهم) بضم الهاء أو كسره، لأنها قراءات صحيحة⁽¹⁾.

ثالثاً: الحرص على تحسين القراءة وبذل الجهد في التصحيح وغلبه لسانه على اللحن، ولم يقوَ على اجتنابه فلا حرج عليه؛ لأن التكاليف منوطة بالاستطاعة، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها. وبعد ذلك الجهد فصلاته تجزئه، كصلاة الأثلغ والأعجمي الشديد العجمة وغيرهم، فيثبت لهم أجر القراءة -إن شاء الله- ونرجو أن يكونوا ممن يشملهم حديث: "والذي يقرأه ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران"⁽²⁾.

وإمامة من يلحن لا خلاف بين الفقهاء في أنه تكره إمامة من يلحن في القراءة، وأنه لا ينبغي أن يؤم الناس، ويسمى مثل هذا (أميًّا)، ويعرفونه بأنه الذي لا يحسن قراءة ما لا تصح الصلاة إلا به من القرآن ولا يحفظه.

والصحيح بطلان الاقتداء به وفساد الصلاة خلفه، وهذا مذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد والصحيح من مذهب الشافعي، وقال به أبو ثور وابن المنذر، واختاره المزني، وهو مذهب عطاء وقتادة⁽³⁾. وقال بعضهم تفسد صلاة القارئ خلف الأمي، وتصح صلاة من كان مثله.

(1) ينظر: الديمياطي، إتحاف فضلاء البشر 162/1، وقارئ، سنن القراء 127.

(2) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري (الجامع الصحيح)، كتاب التفسير، تفسير سورة عبس 321/3 برقم 4937، ومسلم، مسلم بن حجاج، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتعتع فيه 549-550، برقم 798. واللفظ له.

(3) ينظر: القرطبي، أبو الوليد ابن رشد (ت: 520هـ)، البيان والتحصيل ص 449/1، الطبعة الثانية 1408هـ - 1988م، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان. والقارئ، سنن القراء 29، القرش، رسالة في لحن القراء 30-32 هـ 3.

المبحث الثاني

أسباب اللحن

يتضح من خلال كل ما سبق أنَّ للحن أسبابًا متعددة ومتداخلة، يعرج البحث على أبرز ما ذكره مصنفو التصويب اللغوي بهذا الصدد:

أولاً: اختلاط العرب بغيرهم من الشعوب الأعجمية: يُعَدُّ هذا السبب هو الرئيس في انتشار اللحن من خلال الاحتكاك والتعامل مع هذه الشعوب غير العربية. يذكر عبد الفتاح سليم "أن العلماء كانوا لا يحتجون بشعر أمية بن أبي الصلت؛ لأنه يأتي في أشعاره بأشياء لا تعرفها العرب لقراءته كتباً دينية غير إسلامية"⁽¹⁾.

ويذكر فيها -أيضاً- الاندماج الأسري بالتزواج والمصاهرة، والذي كان سبباً في تفشي اللحن بالتأثير باللغات واللهجات الأخرى، ويلقي بظلاله على قراءة القرآن الكريم. ثانياً: كثرة الموالي والجواري وأمهات الأولاد الأعجميات في الأسر العربية، وانتشار الموالي له أثره على اللغة، وكان بعضهم يتَّبَع ما سمع⁽²⁾، ويبلغ مداه إلى أولات الأمر من الأمراء والعلماء. ذكر الجاحظ⁽³⁾ أن زياد بن أبيه تزوج من مرجانة، وهو مشهور بالفصاحة والبيان، وصاحب الخطبة البتراء الشهيرة، لا يقل شأنًا عن الفراء في حفظ اللغة، ويُضرب به المثل في طلاقة اللسان، ومع ذلك دبَّ اللحن إلى بيته؛ إذ كان في ابنه عبيد الله لكنة؛ لأنه نشأ مع أمه في الأساورة -عجم- فسرى فيه اللحن بنشأته بينهم.

ثالثاً: التعصب العرقي والنزعة الشعوبية والصراعات الحزبية مع توسع الدولة الإسلامية، فبدأت المكانة العربية تضمحل، مع وجود المصالح الشخصية والنزعة الجهوية، أدى الحال بأنَّ بعضاً من العرب إذا أنشد بيتاً من الشعر لا يحسن وزنه، ولا يقيم حروفه، كما هو الحال عند

(1) ينظر: سليم، عبد الفتاح، اللحن في اللغة مظاهره ومقاييسه ص8.

(2) ينظر: الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص2/5.

(3) ينظر: الجاحظ، أبو عثمان عمرو، البيان والتبيين ج2/ص210.

أبي عبيدة معمر بن المثنى⁽¹⁾، إذا تحدث أو قرأ لحن، اعتماذاً على أن النحو محدود، وكان يتعمد اللحن، قال عنه ابن قتيبة⁽²⁾: "كان يبغيض العرب، وألف في مثالبها كتباً، وكان يرى رأي الخوارج" فلا غرابة أن يتعمد اللحن، لنزعته العرقية، ووجهته الحزبية؛ إذ كان ينتصر للخوارج.

رابعاً: تساهل الأمراء والوجهاء في التحدث باللحن؛ بل ربما التمسوا له وجه صواب وتبريرات عدة، وتأخذه العزة بالإثم، غلط محمد بن سليمان يوماً فقرأ على المنبر: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: 56]. برفع ملائكته، ثم استحيا أن يرجع، ثم أرسل إلى النحويين، فقال: احتالوا لي. فقالوا: عطفت وملائكته على موضع (الله)، وموضعه رفع. فأجازهم. ولم تزل قراءته حتى مات، وكره أن يرجع عنها فيقال إن الأمير لحن⁽³⁾، وي بعدها القراء من القراءات الشاذة التي لا يؤخذ بها⁽⁴⁾.

خامساً: اشتغال غير العرب من العجم والموالي بالعلم، ألقى بظلاله على المتعلمين؛ لأن الطبع في العجم والموالي لا ينفك إلا بالمجاهدة الشديدة، وقد تظهر اللكنة الأعجمية من غير قصد، فينشأ جيل هجين متأثراً بالمعلمين، مما يضعف قوة اللغة وينتشر اللحن، ويحصل الخلط بين اللغتين.

سادساً: إهمال النقط والشكل في اللغة العربية، وخاصة بعد انتشار التدوين للحفاظ على الموروث من الانهيار والتدهور؛ بل والضياع والإمحاء، وحروف المعجم: هي الحروف المقطعة لأنها أعجمية.

سابعاً: إهمال أولياء الأمور تصحيح أخطاء أولادهم اللغوية.

(1) ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان 238/5.

(2) ابن قتيبة، محمد بن عبد الله، المعارف ج 1/ص 543. وينظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، العقد الثمين في تراجم النحويين ص 25.

(3) ينظر: الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق، مجالس العلماء ص 44.

(4) ينظر: الصغير، محمود أحمد، القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي ص 429.

ثامناً: طريقة أخذ القرآن من غير المشافهة، واعتماد الفرد على نفسه في قراءته.
تاسعاً: العجلة في تلاوة القرآن الكريم، تؤدي التعثر والخطأ.

المبحث الثالث

علاج اللحن وآثاره

بعد أن عرض البحث جلياً ظاهرة اللحن وأثرها على المجتمع العربي عموماً، واللغة بوجه أخص، وقراءة القرآن بخصوص الخصوص، أخذ العلماء يتأملون هذه الظاهرة والحد من انتشارها وتفشيها ويبذل العلماء جهداً كبيراً في محاربتها.

وللحد من انتشار هذه الظاهرة؛ وعلاجها فيما يأتي:

1. نقط القرآن وشكله: يعد هذا العلاج من أولى الخطوات السريعة للحد من اللحن في اللغة شكلاً ومضموناً، أي رسماً ومعنى. ونقط القرآن من أهم التدابير التي هيأ الله لها العلماء لحفظ القرآن من التحريف والتصحيف، والتغيير والتبديل، فقد ألهم الله تعالى من أراد له التوفيق بالقيام بهذه المهمة الجليلة.

ولئن قبل نقط المصحف بشيء من الرفض في بداية الأمر، إلا أن الكلمة اجتمعت بعد ذلك على التنويه به، لدفع ما يخاف من الخطأ والتغيير، قال النووي⁽¹⁾: "ويستحب نقط المصحف وشكله لأنه صيانة له من اللحن والتحريف".

2. وضع قواعد عامة تضبط كلام العرب: حين خاف الغيورون على اللغة والدين أن تفسد هذه الملكة، استخرجوا من كلام العرب قواعد وكميات، يقيسون عليه سائر أنواع الكلام، ويُلحقون الأشباه منه بالأشباه، مثل أن الفاعل مرفوعٌ، والمفعول منصوبٌ، والمبتدأ مرفوعٌ، ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات، فاصطلحوا على تسميتها إعراباً، وتسمية الموجب لذلك التغير عاملاً⁽²⁾.

وأول من كتب فيه على الرَّاجح أبو الأسود الدؤلي (69هـ) بإشارة من أمير المؤمنين

(1) النووي، يحيى بن شرف الدين، التبيان في آداب حملة القرآن ص 189.

(2) ينظر: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون ج 1/ص 754.

- علي بن أبي طالب س. في قصة معروفة⁽¹⁾.
3. تدوين اللغة في المعجم والدواوين: لما كانت الحاجة إلى وضع اللغة لحفظها من الضياع، ولكثرة الأسباب المفضية إلى انتشار اللحن.
4. التأليف في التصحيح اللغوي، وتصحيح ما يفهم من بعض الألفاظ القرآنية، وبيان ظاهرة اللحن ومواطنه من حيث اللفظ والتركيب، وبيان المقبول من المرفوض، والسبب في رده وقبوله، وفق معايير التخطيط وقواعد التصويب.
5. ومن علاج القدماء للحن إنكارهم على من يلحن وتنبيهه؛ لأن السكوت على الخطأ يؤدي إلى التساهل فتتراكم الأخطاء ويحتاج بعد ذلك إلى جهد لتقويمه.
6. إرسال العرب أبناءهم للبادية ليتعلموا فصاحة اللسان، وهذا دأب العرب حتى قبل الإسلام وظهور اللحن، ولا تخفى قصة نبينا محمد ﷺ حينما أُرسل واستُرُضع في بادية بني سعد ليقوى جسدياً ولغويًا، على عادة العرب، وكانوا يؤثرون البادية لرعاية الأطفال في المراحل الأولى، لما في هوائها من الصفاء، وفي أخلاقها من السلامة والاعتدال، والبعد عن مفسد المدينة، ولأنّ لغة البادية سليمة أصيلة⁽²⁾. وكذلك الشافعي فقد تأدب بهذيل في البادية⁽³⁾.
7. مصاهرة القبائل الفصيحة لينشأ أبنائهم على الفصاحة: وقد سبق بأنه سبب لفشو اللحن، إلا أنه علاج - أيضًا - لذلك الداء، كما فعل معاوية بن أبي سفيان في الزّواج من ميسون الكلبية أمّ يزيد، لأنّها ذات فصاحة وبيان، فتزوجها وولدت له يزيدًا، ولما

(1) ينظر: القفطي، علي بن يوسف، إنباه الرواة ج1/ص39. والبرهان فوري، علاء الدين علي التقي، كنز العمال ج10/ص283-29456.

(2) ينظر: الندوي، أبو الحسن علي الحسني، السيرة النبوية ص160.

(3) ينظر: الشيرازي، أبو إسحاق الشافعي، طبقات الفقهاء ص148.

- طلقها ألحق ابنه يزيدًا بأمه الطليقة لِنُشِئَتْهُ وتربيه في فترة طفولته⁽¹⁾.
8. التَّنْبَه على أثر السَّماع السلبي: إن النقل الخطأ سواء كان بالسمع أو الكتابة كالتصحيف وغيره، له أثره السلبي على اللغة.
9. شرح الألفاظ والأسماء المشككة التي صَحَّفها العامة وغلط فيها بعض الخاصة: ساعد في ذلك المؤلفات التي اهتمت بالتصحيح اللغوي.
10. قراءة القرآن وعرضه على المجيدين، كما فعل النبي ﷺ .
11. عدم الاستعجال عند قراءته يمنع الوقوع في اللحن والخطأ.
12. الجدية في أخذ القرآن وقراءته.

الخاتمة:

أهم النتائج :

توصل البحث إلى عدد من النتائج التي تهم الأمة الإسلامية تجاه كتاب ربها، ويذكر البحث بعضاً منها:

1. السرعة في قراءة القرآن مما يؤدي إلى لحن فيها؛ كحذف حرف مد؛ مع السرعة.
2. الوقف والابتداء في القراءة قد يؤدي إلى لحن إذا ظهر منه معنى غير المعنى المقصود.
3. ضعف التمكن في اللغة والنحو قد يؤدي إلى خطأ في التلاوة.
4. دور الإقراء عظيم في تعليم القرآن الكريم، ولذا وجب أن يكون الإقراء صحيحاً؛ لأنه سينقل عنه ومنه.
5. أصل الخلل من القراء إنما سببه التفخيمات والتغليظات.
6. التأثير من العجم له أثر في القراءة.
7. أداء القرآن وقراءة الكلمة وتلاوتها صحيحة تظهر معناه الحقيقي، وأداؤها على غير حقيقتها قد يظهر معنى آخر.

(1) ينظر: القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري ثم القاهري (ت: 820هـ)، مآثر الأنافة في معالم الخلافة ج 1/ص 116، الطبعة: الأولى 1964م، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب بيروت.

8. الأمي عند القراء من لا يحسن قراءة ما لا تصح الصلاة إ به من القرآن الكريم.
9. الحرص على وضع ما يحذ من انتشار اللحن في القراءة سواء كان في اللغة أو قراءة القرآن.
10. التنبيه على أخذ القرآن الكريم بالتلقي الصحيح والدقيق عن طريق المشافهة.

المصادر والمراجع

- ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد، (1985)، *نزهة الألباء في طبقات الأدباء*، الطبعة الثالثة، تحقيق إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، (1400هـ)، *صحيح البخاري (الجامع الصحيح)*، الطبعة الأولى 1400هـ، المطبعة السلفية ومكبتها، القاهرة.
- البرهان فوري، علاء الدين علي التقي بن حسام الدين، (1985)، *كنز العمال*، الطبعة الخامسة، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو (1998)، *البيان والتبيين*، الطبعة السابعة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- الجرجاني، علي بن محمد، (2003)، *التعريفات*، الطبعة الثانية، وضع حواشيه محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ابن الجزري، محمد بن محمد، *النشر في القراءات العشر*، أشرف على تصحيحه علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- الحاكم، محمد بن عبد الله، *المستدرک على الصحيحين*، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- الحصري، علي بن عبد الغني، (2002)، *التقصيدة الحصرية*، الطبعة الأولى، تحقيق توفيق أحمد العبقرى، مكتبة أولاد الشيخ.
- أبو حيان، محمد بن يوسف، (1993)، *البحر المحیط*، الطبعة الأولى، تحقيق عادل أحمد عبد

- الوجود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق محمد عجاج الخطيب، مؤسسة الرسالة.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (1981)، تاريخ ابن خلدون، الطبعة الأولى، دار الفكر.
- الداني، أبو عمرو بن عثمان (1999)، الأرجوزة المنبهة على أسماء القراء والرواة، الطبعة الأولى، البيت رقم 499، تحقيق محمد بن مجقان الجزائري، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.
- الدمياطي، أحمد بن محمد، (1998)، اتخاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- الذهبي، محمد بن أحمد، العقد الثمين في تراجم النحويين، تحقيق يحيى مراد.
- الذهبي، محمد بن أحمد، (1988)، معرفة القراء الكبار، الطبعة الثانية، تحقيق بشار عواد معروف وشعيب الأرنؤوط وصالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الرازي، محمد بن أبي بكرن (1989)، مختار الصحاح، دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، بيروت.
- الزبيدي، محمد مرتضى، (1965)، تاج العروس، تحقيق عبد الستار أحمد فرج، طبعة حكومة الكويت.
- الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق، (1999)، مجالس العلماء، الطبعة الثالثة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- السخاوي، عَلم الدين علي بن محمد، (1997)، جمال القراء وكمال الإقراء، الطبعة الأولى، تحقيق مروان العطية ومحسن خرابة، دار المأمون للتراث.
- ابن سلام، أبو عبيد القاسم الهروي، (1995)، فضائل القرآن، الطبعة الأولى، تحقيق مروان العطية ومحسن خرابة ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير دمشق - بيروت.
- سليم، عبد الفتاح، (1989)، اللحن في اللغة مظاهره ومقاييسه، الطبعة الأولى، دار المعارف.

السبناوي، محمد بن أحمد، رسالة في لحن القراء والإنكار على من يقول بكفر اللاحن، تحقيق عمر مالم حسن المرابطي، مكتبة أولاد الشيخ للتراث.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، الطبعة الأولى، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، دار النشر: مجمع الملك فهد، المملكة العربية السعودية. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (1979)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، الطبعة الثانية، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر.

الشيرازي، أبو إسحاق الشافعي، (1981)، طبقات الفقهاء، الطبعة الثانية، تحقيق إحسان عباس.

الصغير، محمود أحمد، (1999)، القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق - سوريا.

الصفافسي، أبو الحسن علي بن محمد، تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين، تصحيح محمد الشاذلي النيفر، نشر وتوزيع مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك، (2000)، الوافي بالوفيات، الطبعة الأولى، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

عبد السميع، أحمد محمود الشافعي، (2000)، الوافي في كيفية ترتيل القرآن، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

الغامدي، علي بن سعيد المكي، اللحن في قراءة القرآن الكريم، دار البشائر الإسلامية. ابن فارس، أحمد بن فارس، (1979)، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.

القارئ، عبد العزيز بن عبد الفتاح، (1414هـ)، سنن القراء ومناهج المجودين، الطبعة الأولى، مكتبة النور، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية.

ابن قتيبة، محمد بن عبد الله، المعارف، الطبعة الرابعة، تحقيق ثروت عكاشة، دار المعارف.

- القرش، جمال بن إبراهيم، رسالة في لحن القراء، (2006)، الطبعة الأولى، الدار العالمية للنشر والتوزيع الاسكندرية - مصر.
- القرطبي، محمد بن أحمد (2006)، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، الطبعة الأولى، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان.
- القرطبي، أبو الوليد ابن رشد (1988)، البيان والتحصيل، الطبعة الثانية، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان.
- القفطي، أبي الحسن علي بن يوسف، (1986)، إنباه الرواة، الطبعة الأولى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
- القلقشندي، أحمد بن علي، (1964)، مآثر الأنافة في معالم الخلافة، الطبعة: الأولى، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب بيروت.
- القيسي، مكي بن أبي طالب (1997)، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، الطبعة الثالثة، تحقيق أحمد حسن فرحات، دار عمار عمّان - الأردن.
- مسلم، مسلم بن حجاج، (1991)، صحيح مسلم، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، توزيع دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، (2004)، لسان العرب، دار صادر بيروت.
- الندوي، علي الحسيني، (2004)، السيرة النبوية، الطبعة الثانية عشرة، تحقيق سيد عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير، دمشق - بيروت.
- النووي، يحيى بن شرف الدين (1996)، التبيان في آداب حملة القرآن، الطبعة الرابعة، تحقيق محمد النجار، دار ابن حزم.

خطر القراءة الجزئية الناقصة على فهم النصوص القرآنية دراسة عقديّة

د. عبدالله خميس عمير باجهام

أستاذ العقيدة والأديان المساعد

جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية _ اليمن

abbajham@gmail.com

© نُشر هذا البحث وفقاً لشروط الرخصة Attribution international (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أجريت عليه.

للاقتباس: باجهام، عبد الله خميس، خطر القراءة الجزئية الناقصة على فهم النصوص القرآنية دراسة عقديّة، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، عدد خاص للمؤتمر القرآني الدولي الثالث المجلد (2)، سبتمبر 2025: 226-284.

DOI: <https://doi.org/10.61821/3rdconfv2.0209>

الملخص:

يُعد البحث اغتنامًا حقيقياً للثراء الفكري السليم من العلل والأفكار العقدية المنحرفة، وإعمالاً تنويرياً لمعاني القراءة الكلية في آيات القرآن الكريم؛ وقد جاد هذا البحث ليسلط الضوء على سوء الفهم لمعاني نصوص القرآن الكريم، وذلك من خلال أهم المضكلات العلمية، كالقراءة الجزئية لنصوص القرآن الكريم، ويمثل إشكالاً كبيراً أمام الفهم الوسطي المنشود، نافلاً إياه إلى مساحات ضيقة، وربما المتسبب في الخلط بين الثنائيات المتكاملة والمتقابلة (كالنقل والعقل، الروح والمادة ...)، والبحث يتكون من مقدمة ومبحثين، تناول المبحث الأول خطر القراءة الجزئية الناقصة وأثرها على فهم النصوص القرآنية، والمبحث الآخر: القراءة الكلية الشاملة على النصوص القرآنية، وتوصل الباحث إلى مجموعة من النتائج أهمها: إن الإيمان والعقيدة هو الأساس والمبدأ الثابت، والمنهج القيم؛ لنشر الأفكار الصحيحة، والتعاليم السليمة، وصمام أمان الحفاظ على المجتمعات والأفراد من الانحرافات العقدية والفكرية، خطر القراءة الجزئية الناقصة بتشويه معاني النصوص القرآنية، وتفسيرها تفسيراً ناقصاً، يؤدي إلى استنتاج معتقدات منحرفة، الاستدلال غير الصحيح لنصوص القرآن الكريم، مما يشكل خطراً كبيراً على العقيدة، وتبني أفكاراً منحرفة أو ضالة. يوصي الباحث بضرورة العناية بالقرآن الكريم تدبراً وتأملًا بفهم سليم وعميق للنصوص القرآنية الكلية الشاملة، على العلماء النظر إلى الآيات في سياقها العام وربطها بالآيات الأخرى التي تناولت الموضوع نفسه لفهم المعنى بشكل صحيح وشامل.

الكلمات المفتاحية: القراءة، الجزئية، النصوص، القرآنية، خطر.

The Danger of Incomplete Fragmented Reading in Understanding Qur'anic Texts A Doctrinal Study

Dr. Abdullah Khamis Omair Bajham

Assistant Professor of Creed and Religions

University of the Holy Qur'an and Islamic Sciences – Yemen

©This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.

Citation: Bajham, Abdullah Khamis, The Danger of Incomplete Fragmented Reading in Understanding Qur'anic Texts A Doctrinal Study, Journal of the University of Holy Quran and Islamic Sciences, Special Issue of the third International Qur'anic Conference, Volume (2), September 2025:226-284.
DOI: <https://doi.org/10.61821/3rdconfv2.0209>.

Abstract:

The research represents a genuine pursuit of sound intellectual richness, free from doctrinal distortions and ideological deviations. It serves as an enlightening endeavor to promote holistic reading of the verses of the Holy Qur'an. This study offers valuable insights by shedding light on the widespread misinterpretation of Qur'anic texts, particularly through one of the most critical scholarly challenges: the fragmented reading of Qur'anic verses. Such partial readings pose a significant obstacle to achieving balanced understanding, narrowing the interpretive scope and potentially leading to confusion between complementary and opposing dualities—such as revelation and reason, spirit and matter. The research is structured into an introduction and two main sections. The first section addresses the dangers of incomplete and fragmented readings and their impact on understanding Qur'anic texts. The second section explores the comprehensive and holistic approach to interpreting the Qur'an. The researcher arrives at several key findings, the most important of which include: Faith and creed form the foundational and unwavering principles, and the noble methodology for disseminating correct ideas and sound teachings. They act as a safeguard for protecting individuals and societies from doctrinal

and intellectual deviations. Fragmented readings distort the meanings of Qur'anic texts and lead to incomplete interpretations, which in turn result in the derivation of deviant beliefs and incorrect inferences from the Qur'an—posing a serious threat to sound doctrine and encouraging misguided or erroneous ideas. The researcher recommends a deep and reflective engagement with the Qur'an, emphasizing the importance of understanding its texts holistically and comprehensively. Scholars are urged to consider verses within their broader context and to connect them with other verses addressing the same subject, in order to arrive at a correct and complete understanding of their meanings.

Keywords: Partial, Reading, Qur'anic, Texts, Risk.

المقدمة:

الحمد لله الذي أتم علينا النعمة، وعلمنا الحكمة، وثبت لنا العقيدة والإيمان، ورضي لنا الإسلام ديناً، سبحانه وسع كل شيء رحمةً وعلماً، وفتح لنا من خزائن علمه فتحاً مبيناً، صلى الله وسلم على النبي المجتبى، أزكى البشرية علماً وفهماً، وحباً في نشر الإسلام والسلام مدداً، وعلى آله وصحبه أنوار الهدى، وأكملهم حلماً وحكماً، ومن اقتفى آثارهما يلتبس فيه علماً. وبعد:

يمثل القرآن الكريم معجزة خالدة، وكتاب هداية للبشرية جمعاء، وتثبيت للعقيدة والإيمان، وتقويم للسلوكيات والتصرفات، وقد حثنا الله تعالى على تدبره وحسن فهمه، قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ، قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ فصلت: 3، ومشكلة كثير من المسلمين أنهم يعانون من آفة نقص فهم النصوص القرآنية، بسبب قراءتهم الجزئية وغير الشاملة وخاصة القضايا العقدية.

إن القراءة الجزئية للقرآن الكريم، أي اقتطاع الآيات القرآنية من سياقها العام، وتجريدها من المقاصد الشرعية، وسلخها من الأصول العقدية للإيمان واليقين، تؤدي إلى تشويه معاني النصوص وتزييف المفاهيم، بل يؤثر على العقيدة الإسلامية، فيورث إلى تكوين معتقدات خاطئة وشاذة عن الفهم الصحيح للإسلام، ويجر أصحاب القراءة الجزئية إلى أفكار منحرفة،

وسلوكيات خاطئة، ومفاهيم تُستدلُّ بآيات تبرر أفعالهم المتطرفة وعقائدهم المنحرفة. إن حاجة المسلم إلى الفهم العميق لنصوص القرآن الكريم وتحقيق غايته ومبادئه أمر غاية في الأهمية، إذ أن العقل والواقع محكوم قولاً وعملاً بمفاهيم النصوص، حركة وسكوناً بنصوص الشارع وعقائده، وتحقيق مقاصده وحكمه، والاحتفاظ بمبررات النصوص وأسباب بقائها ونمائها، والقراءة الكلية الشاملة هي الحل الأسلم لتحقيق فهم النصوص، فيعد عاملاً أساسياً في تحقيق وتأمين المفاهيم الصحيحة، والأفكار السديدة للمجتمعات، كما يُوفر ضابطاً عقدياً يحمي الأفكار الخارجة والناجمة من أي تطرف في الفكر والمنهج، فإن النتيجة ستكون تدهور المجتمع من التفرق والتمزق وزعزعة الاستقرار، وستسود حالة من الحرب والخصام، كما حصل من قبل الخوارج المارقة، ويشعر أفراد المجتمع بالخوف، وهدم لمصالح ومقاصد الأمة الكبرى.

أهمية البحث:

تتلخص أهمية البحث في الآتي:

1. قيمة البحث في كونه يمثل مساحة واسعة مما تحتاجه الأمة في التأمل في القراءة الكلية لنصوص القرآن الكريم الضابطة للفهم الصحيح للمقاصد الكلية العقائدية منها والتشريعية، وإعمالاً لمفاهيم العقيدة القادرة على تحقيق صلاح التصورات، ورشد المجتمعات.
2. قدرة البحث في معالجة مشكلة الأمة في دحض الأفكار المتطرفة للقراءة الخاطئة والناقصة لنصوص القرآن الكريم.
3. كون الموضوع رؤية ثاقبة النظر، بالغة الأثر، تُسهم في ترويض المجتمعات وتحذيرها من الشطحات الفكرية والتفسيرات العقائدية الخاطئة.
4. مكانة الموضوع العلمية والعملية؛ إذ أن الشرع الحنيف يُعنى بموضوع التأمل والتدبر في الكتاب المسطور والكتاب المنظور، لقراءة مقاصد الكون والحياة والإنسان.
5. لما للموضوع من أثر كبير في حياة الأمة عني النبي - صلى الله عليه وسلم - بتعميق

الوعي العقدي والتشريعي من خلال اتخاذ إجراءات ومعالجات لحفظ النص القرآني من التشويه.

أسباب اختيار الموضوع:

من البواعث التي دعت إلى الكتابة في هذا البحث ما يأتي:

1. الرغبة الشديدة في دراسة خطر القراءة الجزئية الناقصة وأثرها على فهم النصوص القرآنية.
 2. انتشار ظاهرة القراءة الجزئية الناقصة؛ مما أوجد الفرق الخارجة عن عموم منهج الأمة — أهل السنة والجماعة.
 3. تحقيق الهدف الأسمى للقراءة الكلية؛ من خلال استنباط التوجيهات الربانية والإرشادات النبوية في تثبيت الأسس العقدية والتعبدية والأخلاقية والقيم والسلوكية على الفرد والمجتمع.
 4. المؤامرة الكبيرة على الأمة الإسلامية بإثارة ودعم الفرق الخارجة عن منهج أهل السنة والجماعة، وتمسكها بالنعرات والعصبيات والصراعات لهدف تقسيم المقسّم وتجزئ المجزأ.
 5. إثراء وعي المسلمين بأهمية وحدة الأمة من خطر التفرق والتشتت، والتحذير من خطر الأثر السلبي لظاهرة القراءة الجزئية الناقصة التي تساهم في نشر الخلاف والفتنة بين المسلمين، وتأثيرها على صورة الإسلام وتعاليمه.
- فكان هذا الموضوع " خطر القراءة الجزئية الناقصة على فهم النصوص القرآنية — دراسة عقدية ".

أهداف البحث:

تتمحور أهداف البحث في الآتي:

1. بيان أهمية مفهوم القراءة الجزئية الناقصة وأثرها على العقيدة كمبدأ، وركيزة رئيسة، في إرساء وتثبيت قواعد الأصول بفهم سلف الأمة.
2. كشف الأخطار المترتبة على القراءة الجزئية الناقصة، واقتراح الحلول والمعالجات من واقع

سلف الأمة.

3. تحليل أسباب اللجوء إلى القراءة الجزئية الناقصة، ودراسة العوامل الفكرية والعقدية

الموصلة إلى الاعتقاد الخاطيء.

4. محاربة المفاهيم العقدية والفكرية الخاطئة، والمخالفة للأصول والمعتقدات، لمنع وصول

الأمة إلى النزاع والصراع، وأضحت بحاجة ماسة إلى علاج ناجع وناجح.

مشكلة البحث:

إن التخطط والصراع والاختلاف الذي تعيشه المجتمعات الإسلامية في كثير من بلاد المسلمين؛ سببه الحقيقي هو عدم الفهم الصحيح لنصوص القرآن الكريم وصحيح السنة، وغياب ترسيخ أصول العقائد بفهم السلف الصالح، وفي هذه الحالة يحل الاضطراب، وتكثر الفرق، وتتناحر الأمة، ويتمزق النسيج الاجتماعي، ويظهر الصراع، وينعدم الأمان، ويسود المجتمع النزاع والشقاق، وينتشر العنف وربما وصل إلى دائرة الحرب، والقرآن الكريم يؤسس قضية هامة وهي الفهم ويعظم أهميته كما قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَنَ وَكُلًّا ءَايِنَّا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ (٧٨) سورة الأنبياء 79.

أسئلة البحث:

1. ما مفهوم القراءة الجزئية الناقصة؟ ووجه اختلافها مع القراءة الشاملة للقرآن الكريم؟
2. ما أسباب اللجوء إلى القراءة الجزئية الناقصة؟ وما أهمية القراءة الشاملة وتعزيزها عقائدياً؟
3. ما العلاقة بين القراءة الجزئية الناقصة والتطرف والإرهاب؟
4. كيف يمكن مواجهة ظاهرة خطر القراءة الجزئية الناقصة وأثرها العقدي على الفكر الإسلامي؟

الدراسات السابقة:

من خلال اطلاع الباحث في عدد من المكتبات، لم يجد رسالة ولا بحثاً له صلة مباشرة بهذا الموضوع، غير أن هناك ثمت دراسات أجريت بحسب الباحث أن لها صلة غير مباشرة بها منها:

1. قواعد التعايش بين أهل الأديان عند شيخ الإسلام ابن تيمية للمؤلف: محمد خير العبود، رمادي للنشر، الدمام، تناولت الرسالة عددًا من القواعد منها: دين الأنبياء واحد، الالتزام بالكتاب السماوي، اتباع الأنبياء والمرسلين، العلم مع العمل، المحبة مع الله لا مع الله، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عقد الذمة، لا تصلح قبلتان بأرض الإسلام، عدم قتل رجال الدين المحبوسين للعبادة، ولم تتناول المؤلف القراءة الجزئية الناقصة على فهم النصوص القرآنية.
2. قواعد العقائد لحجة الإسلام الإمام الغزالي، تحقيق وتعليق: موسى محمد علي، وتناولت الرسالة أصول الإيمان والقواعد العقدية، ولم تتناول القراءة الجزئية الناقصة على فهم النصوص القرآنية.
3. أصول الدين الإسلامي مع قواعده الأربع، للمؤلف الشيخ/ محمد بن سليمان التميمي، تناولت الرسالة أصول الدين الإسلامي، الوصية باتباع الصراط المستقيم، القواعد الأربع في الإسلام، عقيدة السلف الصالح، ولم يتناول المؤلف القراءة الجزئية الناقصة على فهم النصوص القرآنية.

منهج البحث:

فقد اعتمدت في بحثي هذا على المنهج الاستقرائي الوصفي؛ حيث تم استقراء الآيات القرآنية وبعض الأحاديث النبوية وسيرة السلف الدالة على خطر القراءة الجزئية الناقصة على النصوص القرآنية.

خطة البحث:

وقد تضمنت خطة البحث مقدمة ومبحثين وثلاثة مطالب لكل مبحث وخاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: خطر القراءة الجزئية الناقصة وأثرها على فهم النصوص القرآنية.

المطلب الأول: تعريف القراءة الجزئية الناقصة لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: أثر القراءة الجزئية الناقصة على فهم النصوص القرآنية.

المطلب الثالث: مخاطر القراءة الجزئية الناقصة على العقيدة الإسلامية.

المبحث الثاني: القراءة الكلية الشاملة على النصوص القرآنية.

المطلب الأول: تعريف النصوص القرآنية والقراءة الكلية الشاملة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أهمية القراءة الكلية الشاملة للنصوص القرآنية.

المطلب الثالث: أثر القراءة الكلية الشاملة على الفكر الإسلامي.

الخاتمة: وتشمل على الآتي: أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

خطر القراءة الجزئية الناقصة وأثرها على فهم النصوص القرآنية

المطلب الأول: تعريف القراءة الجزئية الناقصة لغة واصطلاحاً:

تعريف القراءة: لغة: (قري) القاف والراء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على جمع واجتماع، من ذلك القرية، سميت قرية لاجتماع الناس فيها⁽¹⁾، قرأ: القرآن: التنزيل العزيز، قرأه يقرؤه قرءاً وقراءة وقرآناً، فهو مقروء، ويسمى كلام الله تعالى الذي أنزله على نبيه، صلى الله عليه وسلم، كتاباً وقرآنًا وفرقائًا، ومعنى القرآن معنى الجمع، وسمي قرآنًا لأنه يجمع السور، فيضمها، وقرأت الشيء قرآنًا: جمعته وضممت بعضه إلى بعض⁽²⁾، (قرآن): مصدر قرأ على وزن فعلان الدال على كثرة المعنى مثل الشكران والقربان، وهو من القراءة وهي تلاوة كلام صدر في زمن سابق لوقت تلاوة تاليه بمثل ما تكلم به متكلمه سواء كان مكتوبًا في صحيفة أم كان ملقنًا لتاليه بحيث لا يخالف أصله ولو كان أصله كلام تاليه ولذلك لا يقال لنقل كلام إنه قراءة إلا إذا كان كلامًا مكتوبًا أو محفوظًا، وكلما جاء قرآن منكراً فهو مصدر وأما اسم كتاب الإسلام فهو بالتعريف باللام لأنه علم بالغلبة⁽³⁾.

واصطلاحاً: القراءة هي ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، وليس يقال ذلك لكل جمع لا يقال قرأت القوم إذا جمعهم، ويدل على ذلك أنه لا يقال للحرف الواحد إذا تفوه به قراءة، والقرآن في الأصل مصدر نحو كفران ورجحان⁽⁴⁾، قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾^(١٧)، القيامة: 17، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاسْمِعْهُ، ثُمَّ إِنَّمَا عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾^(١٨)، القيامة: 18-19، قال ابن عباس: إذا جمعناه وأثبتناه في صدرك فاعمل به، وقد حُص بالكتاب المنزل

(1) ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، (5/ 78).

(2) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، (1/ 128).

(3) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، (30/ 253).

(4) الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل، الموسوعة القرآنية، (8/ 452).

على محمد صلوات الله عليه وسلامه، وصار له كالعلم⁽¹⁾.
 القراءة: ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل ولا يقال ذلك لكل جمع بدليل أنه لا يقال للحرف الواحد إذا تفوه به قراءة، والقراءة الصحيحة: كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها، ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة أو عن العشرة أو عن غيرهم من الأئمة المقبولين⁽²⁾، ورأي الباحث أن القراءة: هي عملية عقلية تفاعلية بين القارئ والكاتب، وتعني إدراك القارئ للنص المكتوب وفهمه واستيعاب محتوياته، وتعتبر نشاطاً للحصول على المعلومات، حيث يتم قراءة هذه المعلومات إما بصمت أو بصوت عال، ويجب على الشخص القارئ أن يكون قادراً على نطق وفهم الكلمات، والحروف، والإشارات، والرموز الموجودة في النص.

والجزئية: تعني لأخذ جزء من الشيء دون كله، والناقصة: تعني غير الكاملة أو المتتممة. ويقصد الباحث بالقراءة الجزئية الناقصة: هي قراءة جزء من آيات القرآن الكريم أو سورة من سوره دون إكمالها، بمعنى آخر، هي ترك جزء من الآية أو السورة عمداً أو سهواً. وأهم منازل التدبر والتأمل:

1. منزلة التدبر والتأمل لقراءة القرآن الكريم: التدبر والتأمل في كتاب الله تعالى من أعظم العبادات القلبية التي تعين على الفهم الصحيح والعمل الصالح، وكان الصحابة رضي الله عنهم من أشد الناس تدبراً وتأملاً في نصوص القرآن، وهي المنزلة العظيمة التي تحتم الوصول إلى الفهم الصحيح لنصوص العقيدة قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلُفْقَرَّانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: 82).

(1) الطيبي، الحسين بن عبد الله، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الرب (حاشية الطيبي على الكشف) ، (16/164).

(2) الكفوي، أيوب بن موسى، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، (ص: 703).

2. منزلة الإيمان: التدبر يزيد الإيمان اليقين بالله تعالى، إذ يربط القلب بعظمة الله وكمال أسمائه وصفاته، فيزداد الخشوع به سبحانه قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيْكُمُ زَادَهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤﴾ التوبة: 142، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا مَّتَافِي نَقْشِئِرُهُ مِنْهُ جُلُودٌ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ۝١٢٥﴾ الزمر: 23.

عن الحسن قال: إن هذا القرآن قد قرأه عبید وصبيان، لا علم لهم بتأويله، ولم يتأولوا الأمر من أوله، قال الله عز وجل: ﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا ءَايَتِهِ وَلِيَسْتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝٢٩﴾ ص: 29، وما تدبر آياته إلا اتباعه والله يعلم، أما والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: قد قرأت القرآن كله، فما أسقطت منه حرفاً، وقد والله أسقطه كله، ما يرى له القرآن في خلق ولا عمل، حتى إن أحدهم ليقول: إني لأقرأ السورة في نفس، والله ما هؤلاء بالقراء، ولا العلماء، ولا الحكماء، ولا الورعة، متى كانت القراء تقول مثل هذا؟! لاكثر الله في الناس مثل هؤلاء⁽¹⁾.

3. منزلة اليقين: التدبر يرسخ اليقين بآيات الله ووعدته ووعيدته، قال تعالى: ﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا ءَايَتِهِ وَلِيَسْتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝٢٩﴾ ص: 29.

4. منزلة التوبة: قراءة القرآن الكريم بتدبر تفتح أبواب التوبة، فيتذكر المؤمن ذنوبه وخطاياها ويتوجه إلى الله نادياً تائباً قال تعالى: ﴿وَأَن أَسْتَغْفِرُوا رَبُّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُعْصِمْكُمْ مِّنَّا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ۚ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ۝٣٠﴾ هود: 3، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيِّنَاتٍ أَيْدِيهِمْ وَيَأْمَنُ بِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٨﴾ التحريم: 8.

(1) الأجرى، أبو بكر محمد بن الحسين، أخلاق حملة القرآن للأجرى، (ص: 39).

5. منزلة الحكمة: التدبر يمنح الحكمة في فهم النصوص وتطبيقها على الواقع، وهذا مما يميز المؤمن العابد العالم العامل قال تعالى: ﴿الرَّكَتَبُ أَهْكَمَتْ آيَتُهُ، ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ هود: 1، هذه الآية تشير إلى أن القرآن الكريم مصدر الحكمة، حيث إن آيات محكمة في بيانها وتفصيلها، وهي صادرة عن الله الحكيم الخبير، مما يجعل التدبر فيه وسيلة عظيمة لاكتساب الحكمة، وقال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ البقرة: 269، وهي تشير إلى أن الحكمة هبة إلهية ترتبط بأصحاب العقول الذين يتدبرون ويتفكرون، والتدبر في القرآن من أعظم السبل لاكتساب هذه الحكمة.

6. منزلة الطمأنينة: التدبر والتأمل ينشر السكينة في القلب، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ الرعد: 28.

7. منزلة الخشوع: قراءة القرآن بتدبر تؤدي إلى خشوع القلب والجوارح قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشِعًا مُّصَدَّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الحشر: 21.

8. منزلة التذكر والاعتبار: التدبر يدفع المؤمن إلى استحضار القصص والعبر واجتناب النواهي، كقصة يوسف وموسى وإبراهيم وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِي﴾ يوسف: 3.

9. منزلة العمل: التدبر الحقيقي يؤدي إلى العمل بالقرآن واتباع أوامره واجتناب نواهيه، بل جاءت كثير من نصوص القرآن بربط الإيمان مقرون بالعمل الصالح، قال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِيرَ يَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ، وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَرُدُّوْا إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنْشَرُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ التوبة: 105، كما سيأتي التفصيل عن منهج أهل السنة والجماعة في علاقة الإيمان بالعمل.

10. منزلة الصلة بالله تعالى: التدبر يربط العبد بربه ويجعله يشعر بالقرب منه من خلال فهم

كلامه وإدراك معانيه، ومن يعيش مع القرآن بفهم وتدبر وفقه الله للهداية والإيمان، قال تعالى عن سماع الجن وتعجبهم بروعة القرآن وفهمه وبيان أثر التدبر والفهم أن أورث الهداية والرشاد قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ، وَلَنُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢﴾ الجن: 1-2.

المطلب الثاني: أثر القراءة الجزئية الناقصة على فهم النصوص القرآنية:

تعتبر القراءة المتأنية والمتدبرة والمتعمقة نصوص القرآن الكريم أساساً لفهم معانيه العميقة، وتطبيقاً لعقائد تشريعات أحكامه، واستنباطاً لمنهجية تعليمه، إلا أن القراءة الجزئية الناقصة للقرآن الكريم تشكل أثراً لعزل الآيات والسور عن سياقها العام، ومرادها الشرعي، والتركيز عن جوانب محدودة في دوائر ضيقة، تؤدي إلى تشويه فهم النص القرآني ونتائجه في الفهم عكسية خاطئة وأهم تلك الآثار:

1- التفسيرات الخاطئة: الاجتزاء في نصوص آيات القرآن الكريم وتفسيرها خارج سياقها العام والخاص يؤدي إلى تغيير المعنى الأصلي، وتبرير أفكارهم المنحرفة، وتضليل الناس إلى تحريف معاني القرآن وتأويله تأويلاً باطلاً، مما يسبب الانحراف العقدي، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومن المعلوم أن كل كلام فالمقصود منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه، فالقرآن أولى بذلك. ومن التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابة، كما قال مجاهد: عرضت المصحف على ابن عباس أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها؛ ولهذا قال الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به؛ ولهذا يعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري وغيرهما من أهل العلم، وكذلك الإمام أحمد وغيره ممن صنف في التفسير يكرر الطرق عن مجاهد أكثر من غيره⁽¹⁾.

وأصول التفسير: هي الأسس والمقدمات العلمية التي تعين على فهم التفسير، وما يقع فيه من الاختلاف، وكيفية التعامل معه، ويدور محور الدراسة في هذا العلم بين أمرين: كيف

(1) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مقدمة في أصول التفسير، (ص: 10).

فُسِّر القرآن؟ وكيف نفسِّر القرآن؟ ففي الأولى يكون الرجوع إلى تفاسير السابقين ومعرفة مناهجهم وطرقهم فيها، خاصة تفاسير السلف التي تُعَدُّ العمدة في هذا العلم، وفي الثانية يكون الاعتماد على ما قُعدَ من أصول في تفاسير السابقين، لكي يُعتمد الصحيح في التفسير، ويتجنب الخطأ فيه⁽¹⁾، و(علم أصول التفسير)، وهو في الحقيقة جزء من علوم القرآن، وإن كان بعضهم يجعله مرادفًا لمصطلح علوم القرآن⁽²⁾.

2. التحريف والتأويل: يمثل التحريف والتأويل خطرًا كبيرًا على فهم الدين الإسلامي وعقائده وأصوله على النصوص القرآنية.

ولفَرَق الضلال في الوحي طريقتان: طريقة التبديل، وطريقة التجهيل، أما أهل التبديل فهم نوعان: أهل الوهم والتخييل، وأهل التحريف والتأويل. فأهل الوهم والتخييل، هم الذين يقولون: إن الأنبياء أخبروا عن الله واليوم الآخر والجنة والنار بأمر غير مطابقة للأمر في نفسه! لكنهم خاطبوا بما يتخيلون به ويتوهمون به أن الله شيء عظيم كبير، وأن الأبدان تعاد، وأن لهم نعيمًا محسوسًا، وعقابًا محسوسًا، وأما أهل التحريف والتأويل، فهم الذين يقولون: إن الأنبياء لم يقصدوا بهذه الأقوال ما هو الحق في نفس الأمر، وإن الحق في نفس الأمر هو ما علمناه بعقولنا! ثم يجتهدون في تأويل هذه الأقوال إلى ما يوافق رأيهم بأنواع التأويلات!! ولهذا كان أكثرهم لا يجزمون بالتأويل، بل يقولون: يجوز أن يراد كذا. وغاية ما معهم إمكان احتمال اللفظ⁽³⁾، والتحريف: هو تغيير ظاهر النص عن معناه المقصود، إما بإضافة أو حذف أو تبديل بعض الكلمات أو الجمل، والتأويل: هو تفسير النص وتوضيح معانيه. وهو نوعان: أولاً: التأويل الصحيح: هو الذي يتفق مع ظاهر النص وقواعد اللغة العربية والسنة النبوية. ثانيًا: التأويل الباطل: هو الذي يخالف ظاهر النص أو يخرج عن مقصوده، وهو ما يسمى بالتحريف.

3. الاختلاف والفرقة: يشير القرآن الكريم إلى أن التدبر الشامل يمنع الوقوع في التناقض

(1) الطيار، د. مساعد بن سليمان، فصول في أصول التفسير، (ص: 21 - 22).

(2) المرجع السابق، (ص: 17).

(3) ابن أبي العز، محمد بن علاء الدين، شرح العقيدة الطحاوية، (ص: 544 - 545).

والاختلاف، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا ﴾ النساء: 82، قال محمد⁽¹⁾: وقال لي محمد بن عبد الله الإسكافي⁽²⁾، وكان يقول بخلق القرآن: إذا كان هذا الأمر، كتبنا على الأعلام: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، القرآن كلام الله. يريد بذلك الألفة واجتماع الكلمة، وترك الاختلاف والفرقة. قال محمد: وقد عاشرت المعتزلة، ومن لا أحصي منهم ممن يقول بهذا القول⁽³⁾. وقد نهى الله تعالى عن التفرق في الدين قال تعالى: ﴿ وَأَعِصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ ﴾ آل عمران: 103، حتى قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ آل عمران: 105، قال ابن عباس في الآية أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم أنما هلك من كان قبلهم بالمرء والخصومات في دين الله قلت فتأمل كيف نهى الله سبحانه في هذه الآيات عن التفرق في موضعين وأخبر أنه من موجبات العذاب العظيم وأرشد إلى أسباب الاجتماع على دينه وشرعه ومن أعظمها الاعتصام بكتابه ودينه علما وعملا وأداء شكره والقيام بما فرضه على عباده من الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر⁽⁴⁾، عن

(1) محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن الفضل الحسيني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير: مجتهد باحث، من أعيان اليمن. وهو أخو الهادي بن إبراهيم. ولد في هجرة الظهران (من شطب: أحد جبال اليمن) سنة (775هـ - 1373م)، وتعلم بصنعاء وصعدة ومكة، وأقبل في أواخر أيامه على العبادة، له كتب، منها: إثبات الحق على الخلق و تنقيح الانظار في علوم الآثار، وقبول البشرى بالتيسير للبشرى، والعواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم وغيرها، توفي سنة (840هـ - 1436م). الزركلي، خير الدين بن محمود، الأعلام، (5/ 300).

(2) هو محمد بن عبد الله، أبو جعفر الإسكافي، من متكلمي المعتزلة، وأحد أئمتهم، تنسب إليه الطائفة (الإسكافية) منهم، وهو بغدادى أصله من سمرقند، له مناظرات مع الكرايسى وغيره، قال ابن النديم: كان المعتصم يعظمه جدا، له كتاب (نقض العثمانية) وهي للجاحظ، توفي سنة (240هـ - 854م). المرجع السابق، (6/ 221).

(3) ابن الوزير، محمد بن إبراهيم، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، (4/ 396).

(4) التميمي، عبد الرحمن بن حسن، المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد، (ص: 265).

ابن عباس، قال: "أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم بما هلك من كان قبلهم بالمرء والخصومات"⁽¹⁾.

4- التطرف والغلو: والتوسط والاعتدال هو من أعظم ما يسد به باب التطرف والغلو والإفراط والتفريط؛ فكلما كان المنهج سليماً والتعامل منضبطاً والالتزام معتدلاً، كانت العقيدة صحيحة وسليمة، ونجد الفرق التي انحرفت وغالت وتطرفت كالخوارج والشيعة الإمامية الاثنا عشرية، وتطور هذا الانحراف وصل إلى أن أعداء الملة حشروا في رؤوس بعض شباب الأمة أفكار التطرف والغلو والتكفير والقتل والارهاب، مما عادت بسلبياتها المشينة تُهمَّأُ ألصقت بالإسلام والمسلمين ظلماً وعدواناً. التطرف: هو عدم الاعتدال بغلو أو جفاء، والغالب على هؤلاء أنهم يطلقون التطرف على المفرط الزائد الغالي بزعمهم، والمتزمت: الذي ليس عنده انشراح لقول الحق وقبول الحق والسير مع أهل الحق⁽²⁾، والغلو: هو مجاورة الحد في مدح الشيء أو ذمه، وضابطه تعدي ما أمر الله به⁽³⁾، وهو الطغيان الذي نهى الله عنه في قوله: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾^(٨١) طه: 81، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾^(٧٧) المائدة: 77، أما اتجاه المعاصرين في تأويل كتاب الله، فقد أخذ وجهين مختلفين: وجه غال متطرف، ووجه معتدل متوسط، إذا ما قسناه بالاتجاه الغالي: فقد ظهرت ملامح التطرف والغلو في تأويل كثير من آيات القرآن بعقائدهم التي شذوا بها عن أمة الإسلام⁽⁴⁾.

(1) الطبري، هبة الله بن الحسن، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، (1/ 143).

(2) ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله، مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، (8/ 236).

(3) ابن عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، (ص: 254).

(4) القفاري، ناصر بن عبد الله، أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية - عرض ونقد -، (3/ 1056).

المطلب الثالث: مخاطر القراءة الجزئية الناقصة على العقيدة الإسلامية:

تعد القراءة الجزئية الناقصة من أخطر الأمراض التي تصيب الفكر الديني وانحرافه، فهي تؤدي إلى تشويه العقيدة وأصولها، وإفساد النصوص القرآنية فهمًا وعلماً وعملاً واعتقاداً، وتُحدث الشقاق والفُرقة بين المسلمين، لذا سيبين الباحث في هذا المطلب مخاطر القراءة الجزئية الناقصة على العقيدة الإسلامية.

أولاً: تشويه العقيدة: تؤدي القراءة الجزئية إلى خطر التشويه العقدي إلى للعقيدة الصحيحة، وتأويلها بما يتعارض مع الأصول والشرائع الأساسية للإسلام ومنها:

1. تشويه حقيقة الإيمان: من الفرق التي انحرفت في قضية الإيمان وشوهت حقيقته هي فرقة المرجئة. المرجئة هم من أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان، وسموا بذلك لأحد سببين: إما من الإرجاء وهو التأخير؛ لأنهم أخرجوا العمل عن الإيمان، وإما من إعطاء الرجاء، لأنهم غلوا في الرجاء وأهملوا الوعيد، وهم أربع مراتب في تعريفهم للإيمان وهي كما يلي: من يقول: إن الإيمان هو المعرفة فقط، وهؤلاء الغلاة وهم الجهمية، ومن يقول: إن الإيمان هو التصديق فقط، وهذا مذهب الأشعري والماتريدي، ومن يقول: إن الإيمان هو قول اللسان فقط، وهذا قول الكرامية وهو أغربها، ومن يقول: إن الإيمان هو اعتقاد القلب وقول اللسان فقط، وهذا قول عامة الحنفية، وهم من يسمى بمرجئة الفقهاء، وخلافهم مع أهل السنة لفظي والله أعلم، أما تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة فهو: اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح، وهو يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي⁽¹⁾.

هم الذين أخرجوا العمل عن الإيمان، وأكثر فرق المرجئة تقول إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وقد قسمهم الشهرستاني إلى أربعة أصناف: مرجئة الخوارج، ومرجئة القدرية، ومرجئة الجبرية، والمرجئة الخالصة، وقسمهم الأشعري إلى اثني عشرة فرقة، وأشهر فرق المرجئة الجهمية والأشاعرة ومرجئة الفقهاء، وهذه الفرق الثلاثة انتشرت أقوالهم أكثر من بقية فرق المرجئة

(1) الخميس محمد بن عبد الرحمن، شرح الرسالة التدمرية، (ص: 414 - 415).

الأخرى⁽¹⁾.

2- تشويه حقيقة صفات الله: فقول المتكلمين في نفي الصفات أو إثباتها بمجرد العقل أو حملها على تأويل مخالف للظاهر ضلال. ولا يجوز أن يوصف الله سبحانه إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم⁽²⁾، وظهر من أصحاب القراءة الناقصة من جمع الآيات التي تتحدث عن صفات الله وذاته تعالى من سمع وبصر، وإرادة وقدرة، ويد ووجه، ووصلت بهم هذه القراءة العوراء إلى حد تشبيه الخالق بالمخلوقين، أو تخيله تعالى بصورة آدمية مجسمة، ولذلك أُطلق على هؤلاء: (المُجَسِّمَة) أو (المُشَبِّهَة)، وكرد فعل على هذا التطرف، تطرف آخرون في نفي صفات الله، بحجة تنزيه الله عن المشابهة والمماثلة والتجسيم، ووصلوا إلى تعطيل صفات الله التي أثبتتها لنفسه، وأولوا النصوص بطريقة لا تستقيم مع لغة العرب ولا مع حقائق ومقاصد هذا الدين، وأطلق على هؤلاء: (الثَّغَاة) أو (المُعْطَلَة).

ثانياً: تفكيك دائرة الثوابت والمتغيرات: من مخاطر القراءة الجزئية أنها تدفع ببعض أصحابها إلى تفكيك خارطة الثوابت والمتغيرات وجعلها متداخلة وغير متزنة، والاندفاع نحو إحلال كل واحدة محل الأخرى، أي ثقافة الخلط، لأن هناك في الإسلام الكثير من القيم الثنائية المتقابلة والمتكاملة، وتحتاج إلى فقه لهذا الدين، لكن القراءة الجزئية الناقصة للنصوص أوجد خلط شديد بين كثير من هذه الثنائيات مثل: الخلط بين الاختلاف المشروع والتفرق الممنوع وبين العقيدة والفكر وبين الشريعة والفقه وبين المقاصد والوسائط وبين اكتمال الدين وتجديده وبين الدين والتدين، فأخلّ بتوازنها كثير من الأحكام والعقائد والشرائع والقيم والمبادئ.

ثالثاً: دور التشيع النصي في تشيع الأمة: اعتبر القرآن أن القراءة الجزئية الناقصة التي يمكن نسميها بالتشيع النصي (تفريق للدين)، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا أَلَسْتَ مِنْهُمْ

(1) الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الاعتصام، (3/ 364 - 365).

(2) السجزي، عبيد الله بن سعيد، رسالة السجزي إلى أهل زيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت، (ص: 178).

في شَيْءٍ إِنَّمَا أَمَرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ الأنعام: 159، ونلاحظ دقة التعبير القرآني، المتمثل في لفظ (دينهم) أي تدينهم، وهو طريقة فهمهم للدين وتطبيقهم له في الحياة، مما يؤدي بعد تشيع الأمة إلى فرق وجماعات، إلى تشيع فاعليتها، ومن ثم هلاكها ودنو ساعتها الحضارية، عن عبد الله بن عمرو، قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ضربت له قبة في مؤخر المسجد، ورجلان يتماريان، فسمعت شيئاً يحرك أطناب القبة، فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اطلع حاسراً عن رأسه قد احمر وجهه؛ قال: "أما إنه لم تهلك الأمم قبلكم حتى وقعوا في مثل هذا؛ تضربون القرآن بعضه ببعض؟! ما كان من حلال فأحلوه، وما كان من حرام فحرموه، وما كان من متشابه فآمنوا به" (1).

رابعاً: العلم المنقوص يصنع الأمية الفكرية: يقصد الباحث بالعلم المنقوص، ما يشير إلى المعرفة الناقصة أو غير الكاملة، والتي قد تكون ناتجة عن قراءة جزئية للنصوص، أو عن تفسير النصوص بشكل ضيق أو متحيز، ويؤدي إلى فهم خاطئ وغير كامل للحقيقة، وقد يكون مدعاة للتطرف والتعصب، ويقصد الباحث بالأمية الفكرية: هي حالة الشخص الذي يفتقر إلى القدرة على التفكير النقدي، وتحليل المعلومات، وتقييم الأدلة بطريقة موضوعية، وهذا النوع من الأمية يجعل الشخص عرضة للتلاعب والخداع، ويؤدي إلى قرارات ومفاهيم خاطئة، من خلال ما سبق يتوقف القارئ عند سطح النصوص ولا يتدبر عمقها، بحثاً عن أسرارها وعللها، مما يجعل تناوله لها تناولاً عاطفياً يقف عند شاطئ الأماني لا تناولاً عقلياً يغوص في أعماق المعاني ويركب لجج الاجتهاد والعمل، وكأن الله أشار إلى ذلك عندما قال عن أهل الكتاب: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (البقرة: 78)، وواضح من الآية أن الأمية هنا فكرية بسبب قلة العلم، وطغيان الأماني، وبروز الظنون والأوهام، واحتلالها أماكن العقائد والحقائق واليقينيات التي لا سبيل لها إلا بالعقل، ويؤيد هذا قوله تعالى عن حملة التوراة من اليهود: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ

(1) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، من حديث ابن عمر - [مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب - حديث رقم: 14177 - (13 / 361)].

الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَآلَهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ الجمعة: 5.

خامساً: القراءة (الجزئية) ضلال (كلي): يؤكد الباحث بأن الضلال الكلي الناتج عن القراءة الجزئية هو فهم خاطئ وشامل لموضوع عقدي أو أصل من أصول الإسلام تناولته الآيات القرآنية أو السنة النبوية، وينشأ عن قراءة جزء محدود من المعلومات المتعلقة بأحد هذه المواضيع، وتعميم هذا الجزء بشكل غير صحيح على الكل، بمعنى آخر أن القراءة الجزئية تؤدي إلى فهم قاصر ومحدود، مما يزيد من الجمود الفكري ويعمق الجحود، لأن الشخص يتجاهل أجزاء مهمة من الحقائق أو الأفكار.

ومن أوضح الأدلة على هذا، لما خرج حرقوص بن زهير في وجه علي رضي الله عنه وقال والله لا نريد بقتالك إلا وجه الله تعالى والنجاة في الآخرة فتلا عليه ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ الكهف: 103 - 104، ثم حمل عليهم وقتل عبد الله بن وهب في المبارزة والتحم القتال حتى لم يبق من جملة الخوارج إلا تسعة فوق اثنان منهم إلى سجستان واثنان إلى اليمن واثنان إلى عمان واثنان إلى الجزيرة وواحد إلى ناحية الأبار، وخوارج هذه النواحي من أتباع هذه التسعة وأمر علي رضي الله عنه أصحابه بطلب ذي الثدية فوجدوه قد هرب واستخفى في موضع، فظفروا به وتفحصوا عنه فوجدوا له ثدياً كثدي النساء فقال علي رضي الله عنه: صدق الله وصدق رسوله وأمر بقتله فقتل وقد كان مر على النبي صلى الله عليه وسلم ذو الثدية وهو يقسم غنائم بدر فقال له أعدل يا محمد، فقال له عليه الصلاة والسلام: خبت وخسرت إذا من يعدل ثم قال أنه يخرج من ضئضء هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية⁽¹⁾.

ما جاء في حوار علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - لحرقوص بن زهير، حينما قال له: من أنتم؟ فقال هذا الخارجي: نحن الشراة. وكان يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ

(1) الأسفرايني، طاهر بن محمد، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكة، (ص: 48 — 49).

أَشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ﴿١١١﴾ التوبة: 111، فقال له علي: بل أنت ممن قال الله فيهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ ﴿١١٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهم يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١١٤﴾ الكهف: 103 - 104. وأورد الشوكاني أن علي بن أبي طالب سئل عن هذه الآية: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (قُلْ) يا محمد لهؤلاء الذين يبيعون عنتك ويجادلونك بالباطل، ويجاورونك بالمسائل من أهل الكتابين: اليهود، والنصارى (هَلْ نُنَبِّئُكُمْ) أيها القوم (بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا) يعني بالذين أتعبوا أنفسهم في عمل يبتغون به ربحاً وفضلاً فنالوا به عطباً وهلاكاً ولم يدركوا طلباً، كالمشتري سلعة يرجو بها فضلاً وربحاً، فخاب رجاءه، وخسر بيعه، ووكل في الذي رجا فضله⁽¹⁾، وقد اختلف السلف في تعيين هؤلاء الأخسرين أعمالا، ف قيل: اليهود والنصارى، وقيل: كفار مكة، وقيل: الخوارج، وقيل: الرهبان أصحاب الصوامع، والأولى حمل الآية على العموم لكل من اتصف بتلك الصفات المذكورة⁽²⁾.

ومن يقرأ تاريخ الخوارج، يوقن أن أزمته أزمة فهم واستيعاب في المقام الأول، لا أزمة إيمان وإخلاص، وأزمة الخوارج ناتجة عن القراءة المختلة لنصوص القرآن، فهي قراءة جزئية تقوم على اجتزاء بعض النصوص واتخاذها من دون غيرها لإطلاق الأحكام أو اتخاذ مواقف فقد انحدر معظم الخوارج من صحراء الجزيرة العربية، ولا سيما من نجد التي اتسم أهلها بالفقر والجهل الشديد، ولذلك عاب القرآن على الأعراب هذا الجهل، فقال تعالى: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿١٧﴾ التوبة: 97، ونلاحظ دقة التعبير القرآني (مَا أَنْزَلَ اللَّهُ) ولم يقل ما نزل الله، لأن الإنزال يُقصد به نزول القرآن جملة، كأن الآية تشير إلى عدم معرفتهم بكليات ومقاصد هذا الدين، نتيجة سوء فهمهم للقرآن، وانشغالهم بجزئياته عن كلياته، وفروعه عن أصوله، وأحكامه عن عقائده، وهذا يؤكد

(1) ابن جرير الطبري، محمد بن يزيد، جامع البيان في تأويل القرآن، (18/ 125).

(2) الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، (3/ 373).

أن الجهل بيئة خصبة، تصلح لاستزراع الفسق والنفاق، ولاستزراع أفكار البغي على الأمة، والاستطالة على حقوقها وحرمانها، والخروج على نظامها وإجماعها، كما حدث من قبل الخوارج دون أن تغني عنهم كثرة القراءة شيئاً، بسبب غياب التدبر وحضور القراءة الجزئية.

سادساً: هجران التدبر:

التدبر هو أقفال القلوب، وأن الطبع عليها ينتج عنه عدم التفقه، مما يدل أنها هي آلة التدبر والتفقه⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ ﴿٢٤﴾ محمد: 24، المراد بالاستفهام حثهم على التدبر، والتقدير: ليتدبروا في القرآن، و(التدبر): هو التأمل في عواقب الأمور وأدبارها وتصرف الرأي في مفهومها ومعقولها، وكأن التدبر إبدال لهم عن تبسيتهم الفاسد⁽²⁾، وفائدة التدبر هو أن تعرف معنى ما تتلوه من الآي⁽³⁾، والتدبر: هو النظر في إدبار الأمور وعواقبها، وتدبر الكلام هو النظر والتفكر في غاياته ومقاصده التي يرمي إليها، وعاقبة العامل به والمخالف له، والمعنى جهل هؤلاء حقيقة الرسالة، وكنه هذه الهداية، أفلا يتدبرون القرآن الذي يدل على حقيقتها وعاقبة المؤمنين بها والجاحدين لها، فيعرفوا أنه الحق من ربهم، وأن ما أنذر به الكافرين والمنافقين واقع بهم؛ لأنه كما صدق فيما أخبر به عما يبيتون في أنفسهم، وما يثنون عليه صدورهم، ويطوون عليه سرائرهم، يصدق كذلك فيما يخبر به من سوء مصيرهم، وكون العاقبة للمتقين الصادقين، والخزي والسوء على الكافرين والمنافقين، بل لو تدبروه حق التدبر لعلموا أنه يهدي إلى الحق، ويأمر بالخير والرشد، وأن عاقبة ذلك لا تكون إلا الفوز والفلاح، والصلاح والإصلاح، فإذا كانوا لاستحواذ الباطل والغبي عليهم لا يدركون أن يكون إلا من عند الله؟!⁽⁴⁾.

(1) الجربوع، عبد الله بن عبد الرحمن، أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، (1/ 295).

(2) الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، دُرُجُ الدُّرَرِ فِي تَفْسِيرِ الْآيِ وَالسُّورِ، (1/ 510).

(3) الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (1/ 134).

(4) رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، (5/ 233).

ويأتي هجران التدبر على ثلاثة أقسام:

1. هجران تدبر الإنسان عبر آلية (التبصر): التركيز على التدبر عبر آلية التبصر باعتبارها البداية الأولى بتفكير الإنسان في نفسه، فالإنسان المتفكر هو إنسان واع بمسؤولياته، وإنسان قادر على اتخاذ القرارات الصحيحة، قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (١١) ﴿الذاريات: 21﴾، إشارة إلى دليل الأنفس، وهو كقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ (٥٣) فصلت: 53، فخص التبصر في النفس بعد اندراجها فيما في الأرض من الآيات، وأنكر على من لا يتبصر في نفسه إنكاراً مستأنفاً⁽¹⁾، وإنما اختار من دلائل الآفاق ما في الأرض لظهورها لمن على ظهورها فإن في أطرافها وأكنافها ما لا يمكن عد أصنافها فدليل الأنفس في قوله وفي أنفسكم عام ويحتمل أن يكون مع المؤمنين، وإنما أتى بصيغة الخطاب لأنها أظهر لكون علم الإنسان بما في نفسه أتم⁽²⁾.

2. هجران تدبر الكون؛ عبر آلية (التفكر): يؤكد بفهم الكون من حوله والتأمل في عظمة الخالق، غالباً ما ينشغل المسلم بالشؤون اليومية وضغوط الحياة، فيغفل عن جمال الكون وأسراره، والقرآن الكريم مليئ بمئات الآيات المرتبطة بظواهر كونية، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١٩٠) ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١٩١) ﴿آل عمران: 190 - 191﴾، إذا حلق الإنسان حدقة عقله نحو ملاحظة معقول امتنع عليه في تلك الحالة الحالة تحديق حدقة العقل نحو معقول آخر، فعلى هذا كلما كان اشتغال العقل بالالتفات إلى المعقولات المختلفة أكثر، كان حرمانه عن الاستقصاء في تلك التعقيلات والإدراكات أكثر، فعلى هذا: السالك إلى الله لا بد له في أول الأمر من تكثير الدلائل، فإذا استنار القلب بنور معرفة الله صار اشتغاله بتلك الدلائل كالحجاب له عن استغراق القلب في

(1) القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد، محاسن التأويل، (4/ 444).

(2) فخر الدين الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، (28/ 172).

معرفة الله، فالسالك في أول أمره كان طالباً لتكثير الدلائل⁽¹⁾.

التفكر نعمة كل طالب، وثمرته الوصال بشرط العلم، فإذا سلم الذكر عن الشوائب ورد صاحبه على مناهل التحقيق، وإذا حصل الشهود والحضور سما صاحبه عن الفكر إلى حدود الذكر، فالذكر سرمد⁽²⁾، إن النتيجة الحتمية لهذا التفكير في هذه المخلوقات هي الوصول إلى اليقين بأن الله لم يخلق هذه المخلوقات سدى، وبالتالي سيسعى الإنسان لكشف وظائفها، مستفيداً من هذه الوظائف في عمارة الدنيا وفق منهج الإسلام.

3 هجران تدبر القرآن؛ عبر آلية (التدبر): يمثل القرآن الطريق الأمثل لفهم الإنسان والتفاعل الإيجابي مع الكون، ولهذا امتلأ القرآن بآيات كثيرة تحت قارئه على تدبره بألفاظ متعددة وبصيغ كثيرة، وبأساليب متنوعة. سابعاً: انقسام المجتمع:

الانقسام هو التقسيم إلى أجزاء أو الفصل بين الأشياء المتصلة، في حياتنا اليومية، وانقسام المجتمع: هو حالة تحدث عندما تفقد مجموعة من الناس كالشعور بالوحدة والانتماء، وتنشأ بينهم فجوات عميقة بسبب اختلافات الآراء، ويؤدي إلى تآكل النسيج الاجتماعي وصعوبة تحقيق التعاون والتضامن، فالقراءة الجزئية الناقصة هي التي تؤدي إلى الانقسامات الاجتماعية، لوجود تكوين آراء متحيزة وقاصرة الفهم عندما لا يتم فهم النصوص وينتج عنه، تشويه الحقائق، وتكوين آراء متطرفة، وانتشار الأخبار الكاذبة والمضللة، وزيادة الشك وعدم الثقة، وصعوبة الوصول إلى حلول مشتركة.

(1) المرجع السابق، (9/ 459).

(2) القشيري، عبد الكريم بن هوزن، لطائف الإشارات = تفسير القشيري، (1/ 305 - 306).

المبحث الثاني

القراءة الكلية الشاملة على النصوص القرآنية

المطلب الأول: تعريف النصوص القرآنية والقراءة الكلية الشاملة لغة واصطلاحاً:

تعريف النصوص القرآنية لغة:

النص في اللغة: يأتي بمعنى الظهور والارتفاع، تقول العرب: نصت الظبية رأسها، إذا أظهرته ورفعته، ونص فلان الحديث إلى فلان، إذا رفعه إليه، ونص كل شيء منتهاه، ومن النص بمعنى الظهور والارتفاع سمي الكرسي الذي تجلس عليه العروس منصة؛ لأنها تكون مرفوعة وظاهره على غيرها، ومنه أيضاً قول الفقهاء: (نص الكتاب ونص السنة) أي: ما دل عليه ظاهرها من الأحكام⁽¹⁾.

النص لغة هو: رفع الشيء إلى أقصى غاية له، ومنه: ما ورد في الحديث: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يسير العنق فإذا وجد فجوة نص" أي: رفع السير إلى غايته، ومنه ما قاله عمرو بن دينار: "ما رأيت أنص للحديث من الزهري" أي: أرفع وأسند، والنص اصطلاحاً هو: اللفظ الذي يفيد معناه بنفسه من غير احتمال⁽²⁾.

ما رفع في بيانه إلى أقصى غايته ومنه سميت منصة العروس؛ لأن العروس ترتفع عليها على سائر النساء، وتنكشف لهن بذلك، والنص ما كان صريحاً في حكم من الأحكام، وإن كان اللفظ محتماً في غيره⁽³⁾.

والنص ما لا يحتمل إلا معنى واحداً وقيل ما تأويله تنزيله وهو مشتق من منصة العروس وهو الكرسي، والظاهر ما احتمال أمرين أحدهما أظهر من الآخر ويؤول الظاهر بالدليل

(1) الصاعدي، حمد بن حمدي، المطلق والمقيد، (ص: 359 - 360).

(2) النملة، عبد الكريم بن علي، المَهْدَبُ فِي عِلْمِ أَصُولِ الْفِقْهِ الْمُقَارَنِ (تحريرٌ لمسائله ودراستها دراسةً نظريّةً تطبيقيةً)، (3/ 1195).

(3) ابن الفراء، محمد بن الحسين، العدة في أصول الفقه، (1/ 137 - 138).

ويسمى الظاهر بالدليل⁽¹⁾.

فالنص: ما بلغ ببيانه إلى الغاية من الكشف، قال الراجز: وجيد كجيد الريم ليس بفاحش. إذ هي نصته ولا بمعطل، يعني: كشفته. وقيل: ما عرف معناه من نطقه. وقيل: ما استوى ظاهره وباطنه. وقيل: ما لا يحتمل إلا معنى واحداً⁽²⁾.

النصوص القرآنية هي سند رئيس في العقائد والشرائع والأحكام الإسلامية فالذي نعتقده أن الناظر في الآيات القرآنية إذا أخذ المجموعة القرآنية وحدة ولم يغفل سياقها وظروف نزولها وهدفها، ولم يقطع منها الجمل وينظر فيها على حدة كما يفعل أصحاب المذاهب الكلامية في تشادهم ومجادلاتهم فيما بينهم- وهذا هو موضوع هذا المبحث في الأصل- يستطيع أن يتبين أهداف القرآن في العبارات الواردة تبيننا يزول معه من نفسه ما قد يقوم من وهم التعارض والتناقض في آياته، والقرآن بريء من التعارض والتناقض بنص صريح فيه جاء في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (٨٢) النساء: 82، ويجد حلاً لما يبدو من إشكال وتعليل سائغاً لما يوهم ظاهره من معان متعارضة فيه، ويظهر له أن كثيراً مما دار ويدور من جدل ونقاش وحجاج وخلاف لا تتحملة عبارات القرآن ولا تقتضيه، وليس من ورائه طائل ولا ضرورة⁽³⁾.

المطلب الثاني: أهمية القراءة الكلية الشاملة للنصوص القرآنية:

القراءة الكلية الشاملة للنصوص القرآنية: هي منهجية تعتمد على فهم النص القرآني كوحدة متكاملة، وليست مجرد قراءة للأحرف والكلمات، أو عزل الآيات عن مرادها الصحيح، واستيعاب المعاني الشاملة للنص القرآني، وربط الآيات بعضها ببعض إيماناً عميقاً متأصلة متكاملة، تهدف إلى فهم معاني القرآن الكريم واستخلاص المقاصد الكبرى للشرعية الإسلامية، وتطبيقها في الحياة اليومية عقدياً وسلوكياً وأخلاقياً، تتيح للمسلم أهمية بالغة

(1) إمام الحرمين، عبد الملك بن عبد الله، الورقات، (ص: 18 - 19).

(2) الظفري، علي بن عقيل، الواضح في أصول الفقه، (1/ 91).

(3) عزت، دروزة محمد، التفسير الحديث (مرتب حسب ترتيب النزول)، (1/ 196 - 197).

وأهمها الآتي:

أولاً: الفهم الشامل للدين: الفهم الصحيح للعقيدة الإسلامية ضرورة في الوقت الحاضر لأنها هي القاعدة الأساسية لبناء المجتمع الإسلامي الصحيح، ونحن نعتقد اعتقاداً جازماً أن "منهج أهل السنة والجماعة" في فهم العقيدة الإسلامية هو المنهج الصحيح الذي يجب تقديمه للأمة الإسلامية اليوم لكي تصبح بحق "أمة مسلمة" تستحق نصر الله ورضوانه⁽¹⁾.

جاءت النصوص القرآنية في كثير منها تؤكد على قضية الفهم الصحيح للإسلام قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(٢٨) البقرة: 208، (السلم) هو الإسلام⁽²⁾، (كافة) قال مجاهد: في الإسلام جميعاً⁽³⁾، وقال مقاتل: يعني في شرائع الإسلام كلها⁽⁴⁾، وبما أن القرآن الكريم هو دستور للأمة ومنهج حياة فوجب الدخول فيه جُله، وأخذه كله شاملاً كاملاً لجميع نواحي الحياة بفهم سلف الأمة، فهو عقيدة وشرعية، وأخلاق وسلوك، ونظام وقانون، ومنهج ودستور، قال تعالى في الفهم الشامل: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾^(٣٨). الأنعام: 38، أي ما من شيء إلا وأصله في الكتاب⁽⁵⁾، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾^(١١) الحجر: 91، "هم أهل الكتاب فرقوه وبددوه، وهم فرقوا القرآن، فقالوا: هذا سحر وشعر"⁽⁶⁾، وهو تنديد بالذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض من السابقين واللاحقين، وهم أولئك الذين يقولون في الوحي المنزل من عند الله أقوالاً متناقضة، ويقفون

- (1) ابن عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله، التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، (ص: 3).
- (2) ابن جرير الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، (4/ 251).
- (3) مجاهد، مجاهد بن جبر، تفسير مجاهد، (ص: 231).
- (4) مقاتل، مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، (1/ 180).
- (5) أبو المظفر، منصور بن محمد، تفسير القرآن، (2/ 101).
- (6) مجاهد، مجاهد بن جبر، تفسير مجاهد، (ص: 419).

من أحكامه وتعاليمه مواقف متعارضة، فيحقون ما وافقته آراؤهم، ويبتلون ما خالفته أهواؤهم، ومن ذوي السوابق في هذا الباب، "أهل الكتاب" الذين حرفوا الكتب المنزلة عليهم وجزأوها أجزاء، فآمنوا ببعض وكفروا ببعض، وكلمة "عضين" جمع عضة بمعنى القطعة، يقال عضا الشاة "يعضوها إذا جعلها أعضاء وأجزاء وأقسامًا"⁽¹⁾، إذا التجزئة والتبعض ذمها القرآن الكريم واعتبرها منافية للنصوص الشاملة للقرآن الكريم، وبما أن الشمول يأتي لمقاصد متعددة، كالشمول في بناء الفرد وهو بناء العقل والروح والجسم، فالمسلم يتعبد الله بإشباع حاجات هذه الأبعاد، فمثلما يتعبد الله بإقامة الصلاة وهي زاد للروح.

هذا الشمول يجعله يتعبد الله بإعطاء العقل كزاد للعقيدة والفكر والعلم والتأمل والتدبر، والشمول يكون في بناء الأسرة، إذ شملت برعايتها ركني الأسرة الزوج والزوجة، وقامت علاقتهما على عقيدة متينة بإقامة التوازن في الحقوق والواجبات على أساس العقائد والشرائع بين الآباء والأبناء، إذ لا تسير في طريق إجباري واحد، لكنها تمنح الفرد حقوقاً مقابل القيام بأداء واجباته نحو الآخرين، وهذا الشمول ينظم أيضاً كل طبقات المجتمع: حكاماً ومحكومين، علماء ومتعلمين، أغنياء وفقراء، أقوياء وضعفاء، بل حتى مسلمين وغير مسلمين.

هذا المنهج هو الذي يعصم عن الوقوع في الخطأ والانحراف والزلل، وعن الاضطراب في فهم العقيدة، ويحفظ على الإنسان جهده، ويمنع عقله من التبدد والضياع، ونفسه من الهوى؛ لأنه يعود بالأمر كله إلى العليم الحكيم - سبحانه وتعالى - الذي تكفل بالهداية لهذا الإنسان⁽²⁾.

وهذه الخاصية لها أثرها الفريد في عصمة الأمة عن الخطأ والزلل والانحراف، وعن الاضطراب في فهم العقيدة؛ وذلك لأنها ترجع إلى مصدر موثوق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو الوحي الذي تكفل الله تعالى بحفظه، كما أنها ضمانات لتوحيد كلمة الأمة

(1) الناصري، محمد المكي، التيسير في أحاديث التفسير، (3/ 299).

(2) ضميرية، د. عثمان جمعة، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، (ص: 181).

على منهج واحد وتصور واحد، عندما تلتقي على هذا الوحي الإلهي بما فيه من موازين لا تضطرب، ولا تتأرجح، ولا تتأثر بالهوى والدوافع الذاتية⁽¹⁾.

من خلال ما سبق يؤكد الباحث أن الفهم الخاطئ للأصول العقائدية، والتعاليم الربانية، والمبادئ الأخلاقية والتشريعية، هي مآل تفرقة للأمة وتمزيق لشملها بسبب القراءة الجزئية الناقصة فيختلف المفهوم غير المقصود منه، وبما أن الدين الإسلامي هو الدين الخاتم، فقد كان شاملاً لكل الأبعاد البارزة في الرسائل السماوية السابقة، إذ ركزت كل رسالة على بُعد معين، بسبب كونها محدودة زماناً ومكاناً بل وأشخاصاً، لكن شمول الإسلام مرتبط بعالمية الرسالة وخاتمتها.

ومن يتدبر آيات القرآن ذات الصلة بعقائد الإسلام، سيجد أنه شامل لجميع المجالات نظرية العقائد وعملية التطبيق أو فلسفية الرؤى وتطبيقية التصورات، مثل قوله تعالى عن القرآن الكريم: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ النحل: 89، أي ظهر كون القرآن هادياً للتي هي أقوم ظهوراً بيناً، واعلم أن القرآن اشتمل على قواعد كلية للعقائد والشرائع، وأما التفاصيل الجزئية فقد أحالها الله تعالى على نبيه لتبيينها⁽²⁾، وذلك في قوله سبحانه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَفْكَرُونَ﴾ النحل: 44، وقيل تبياناً: أي يحتاج إليه من الأمر والنهي، والحلال والحرام، والحدود والأحكام وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين⁽³⁾.

ومن يتدبر آيات القرآن سيصل إلى يقين الإيمان الكامل، بأن القرآن يجعل الأرض بل والكون كله محراباً للعبادة الشاملة على أساس من العقيدة والعبادة، إذ أن المساحة المكانية للعبادة تتسع للأرض كلها، أما من الناحية الزمانية فإن العبادة تستوعب الزمان كله، كما

(1) المرجع السابق، (ص: 384).

(2) مجموعة من العلماء، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (5/ 729).

(3) الثعلبي، أحمد بن محمد، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (6/ 37).

قال تعالى: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ نَتَّقُونَ﴾ (٥٢) النحل: 52، {وَاصِبًا} قال أبو عبيدة: دائماً، وقال ابن عرفة: ثابتاً دائماً⁽¹⁾.

أولويات التشريع تجعل من المؤمن كلما كانت عقيدته صحيحة وقوية انعكس ذلك على احترامه لحقوق الناس وانضباطه في القيام بأدائها على أكمل وجه ممكن، وهي حقوقه الشاملة، وخاصة ما يرتبط بحفظ دينه، ونفسه، وعقله، وماله، وعرضه ونسله. وسيوضح الباحث هذا الأمر من خلال الآتي:

1- عبودية المؤمن لله وسيادته للكون: فالعبودية تكريم للإنسان وهي شرف عظيم في الدنيا والآخرة، بأن جعل الله المقصد الغائي من خلق الإنسان هو عبادته، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥١) الذاريات: 56.

تمام العبودية: العبادة تتضمن كمال المحبة ونهايتها، وكمال الذل ونهايته. فمحنة رسل الله وأنبيائه وعباده المؤمنين من محبة الله، وإن كانت المحبة لا يستحقها غيره، فغير الله يحب في الله، لا مع الله، فإن الحب يحب، محبوبه، ويغض ما ييغض، ويوالي من يواليه، ويعادي من يعاديه، ويرضى لرضائه، ويغضب لغضبه، ويأمر بما يأمر به، وينهى عما ينهى عنه، فهو موافق لمحبوبه في كل حال⁽²⁾.

قال ابن القيم: ومن خصائص الإلهية: العبودية التي قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما: غاية الحب، مع غاية الذل، هذا تمام العبودية، وتفاوت منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم في هذين الأصلين، فمن أعطى حبه وذله وخضوعه لغير الله فقد شبهه به في خالص حقه، وهذا من المحال أن تجيء به شريعة من الشرائع، وقبحه مستقر في كل فطرة وعقل، ولكن غيرت الشياطين فطر الخلق وعقولهم وأفسدتها عليهم، واجتالتهم عنها، ومضى على الفطرة الأولى من سبقت له من الله الحسن، فأرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه بما يوافق

(1) الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، دَرْجُ الدَّرَرِ فِي تَفْسِيرِ الْآيِ وَالسُّورِ، (3/ 1072).

(2) الأذرعي، محمد بن علاء الدين، شرح العقيدة الطحاوية، (ص: 376).

فطرهم وعقلهم، فزادوا بذلك نورا على نور⁽¹⁾، واستدل ابن القيم بقوله تعالى: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ النور: 35.

وإذا عبد الإنسان ربه حق العبادة جعله سيذا لهذا الكون بموعود الله تعالى، قال رباعي بن عامر وهو يخاطب رستم: الله ابتعثنا، والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه، وتركناه وأرضه يليها دوننا، ومن أبى قاتلناه أبدا، حتى نفضي إلى موعود الله⁽²⁾، رباعي جمع بين العبودية الحقة، المستنيرة بمهدي الله، الجالبة للعدل والسيادة على الأرض وعمارة الكون والحياة، وكذلك أنها تسخير الكون للإنسان: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّهُ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَ وَبَاطِنًا وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ لقمان: 20. وكذلك يرسخ الإيمان بأن الحياة والرزق بيد الله، وهو مالك الحياة والموت، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ الذاريات: 58.

2- الحقوق الربانية: حقوق الإنسان في الرؤية الإسلامية جاءت من عند الله متنزلة من السماء، فهي ليست ذات أرضية بشرية، وإنما ربانية إلهية ذات توسع في الكليات الحقوقية قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ النساء: 59.

أصل الحقوق الإنسانية هي حقوق ربانية ما دامت هذه الحقوق ثمرة كتاب سماوي وتشريع رباني، فهي ثابتة ففي قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ﴾، فالبر الحقوق الإنسانية، والتقوى الحقوق الإلهية وهي أصيلة، ولا يستطيع أن يحرم منها أحداً،

(1) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الدواء والدواء، (ص: 136 - 137).

(2) ابن جرير الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، (3/ 520).

فضلاً عن إلغائها، لأن إلغائها سيكون تغييراً لطبيعة هذا الدين، ولهذا فحقوق الإنسان في الإسلام واجبات وحرمت.

3- مكونات الحياة: كل شيء في هذه الحياة منسجم لما في هذا الكون، وبما أن الله هو مصدر الخير والتشريع والتوجيه، والإنسان هو مصدر التلقي الواعي والتطبيق المستنير والتوازن والاعتدال، ومجال هذا التطبيق هو الرؤية الثابتة في هذا الكون الذي يجب أن يتظافر العقل والنقل في عمارتها، ويؤكد أن العلم والإيمان متكاملان، وأن لا صراع بين الإنسان والكون، لأن الكون مسخر لصالح الإنسان.

ثانياً: المساواة الإنسانية والعدالة الاجتماعية: المنهج الرباني والتشريعات الإسلامية فقد تحلت بالمساواة الإنسانية والعدالة الاجتماعية بصورة مطلقة، لأنها من عند الله؛ ومن غيره يختل التوازن العقائدي والفكري والعلمي والحقوقى والاجتماعي والاقتصادى، والعدالة تثبت العقائد، وتعم المساواة، ويسود السلام، ويختفي الظلم، وتُرد الحقوق، وينعم الناس، أما التشريعات الوضعية فقد أحدثت صوراً من الاختلال في منظومة الحقوق العامة والخاصة، ولها جوانب متعددة:

1- العدل والانصاف: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللّٰهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوْا أَوْ نَعِزُّوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝١٣٥﴾ النساء: 135، أرسى الإسلام قيم العدل والانصاف في التعامل مع جميع البشر.

2- دعا الإسلام أتباعه إلى التعاون مع غيرهم ولو كانوا أعداء، وذلك في كل ما يمكن الاتفاق عليه من جملة حقوق الله "التقوى" أو حقوق الناس "البر"، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهَرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْفَلَاحِيْدَ وَلَا ءَيْمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٢﴾ المائدة: 2.

3- دعا الإسلام إلى تخفيف منابع العصبية وأوجد سلطة الشريعة والقانون على جميع الناس، ولهذا فقد أعلنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مدوية بأن ابنته فاطمة لو سرت لقطع يدها، ليقع كل ألوان العصبية تحت الأقدام، عن عائشة رضي الله عنها، أن قريشاً أتهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكلمه أسامة، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "أتشفع في حد من حدود الله، ثم قام فاختطب، ثم قال: إنما أهلك الذين قبلكم، أنكم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها" (1).

ثالثاً: شمول القرآن للمقاصد والكليات: نزل القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرناً بنصوص محدودة متناهية، ومع ذلك فهو دستور للناس جميعاً في كل زمان ومكان، لأن طبيعة صياغته المعجزة، جعلته شاملاً لكل المقاصد والكليات التي تمثل الضرورات والأساسيات للناس جميعاً، مهما تناءت الأماكن وتباعدت الأزمان، ومن هنا ذهب الإمام الشاطبي إلى أن السلف أعلم الناس بمقاصد القرآن، فيقول: فتحروا أقرب الوجوه عندهم إلى أنه المقصود الشرعي، والفطر والأنظار تختلف؛ فوقع الاختلاف من هنا لا من جهة أنه من مقصود الشارع، فلو فرض أن الصحابة لم ينظروا في هذه المشتبهات الفرعية ولم يتكلموا فيها - وهم القدوة في فهم الشريعة والجري على مقاصدها (2)، قال الإمام الشوكاني: أما مقاصد القرآن الكريم التي يكررها ويورد الأدلة الحسية والعقلية عليها، ويشير إليها في جميع سوره وفي غالب قصصه وأمثاله فهي ثلاثة مقاصد يعرف ذلك من له كمال فهم، وحسن تدبر، وجودة تصور، وفضل تفكير، المقصد الأول: إثبات التوحيد، المقصد الثاني: إثبات المعاد، المقصد

(1) صحيح البخاري، من حديث عائشة، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، حديث رقم: 3475، (4/ 175).

(2) الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، (5/ 76).

الثالث: إثبات النبوات⁽¹⁾، فلقد رد على منكري الوحي عموماً، وعلى الخصوص منكري الرسالة المحمدية، وبين أن الإسلام دين الفطرة والعقل، كما رد على منكري الجن، وهذا يدحض ما اتهم به من أنه أنكر وجودهم، وكذلك وضع سبق الإسلام في تحرير الرقيق والمرأة، وتكلم عن مقاصد القرآن في تربية النوع الإنساني، وأظهر عظمة القرآن في ما شرعة من نظم مالية وحربية وسياسية وغير ذلك⁽²⁾.

رابعاً: متانة شمول الوسطية السالمة من الانحرافات العقدية: قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ﴾ البقرة: 143، فعقيدة السلف وسط بين الإفراط والتفريط، عقيدة تجمع ولا تفرق، لها من الخصائص العظيمة ما لم ولن يتوافر في ما سواها من العقائد المنحرفة، التي ضلت الطريق القويم باطراح دلالة الوحي، والجري وراء عقليات سقيمة، وفلسفات عقيمة، أدت إلى تعطيل الخالق عن صفات الكمال، وإلى نفي القدر، وإلى القول بالجبر، والتكفير لمذبي الأمة ونفي الغيبات الثابتة، وغير ذلك من الانحرافات المزرية⁽³⁾، تلکم هي خاصية التوازن بين الأمور المتقابلة، فيقع كل أمر أو جانب على قدر معين باعتدال موزون، بحكمة ربانية "تضبط فيها النسب بين جوانب الحياة وقيمها؛ فالمال واللذة، والعمل والعقل، والمعرفة والقوة، والعبادة والقربة، والقومية والإنسانية؛ قيم من قيم الحياة، والإسلام جعل لكل منها موضعاً في نظام الحياة ونسبة محدودة لا تتجاوزها حتى لا تطغى قيمة على قيمة⁽⁴⁾، فهذه الوسطية تعتبر صفة لازمة لمن ينهجون

(1) الشوكاني، محمد بن علي، إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، (ص: 3 — 4).

(2) المطري، مشاري سعيد وآخرون، العقائدية في أشرار الساعة الكبرى وآثارها الفكرية، (ص: 146).

(3) المقدسي، عبد الغني بن عبد الواحد، الاقتصاد في الاعتقاد، (ص: 7).

(4) ضميرية، د. عثمان جمعة، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، (ص: 392).

منهج السلف ليس في هذا الباب فحسب، بل في جميع الأبواب⁽¹⁾، التي تتفرق فيها الفرق - وهم بين التفريط والإفراط - مثل نصوص الوعد والوعيد، وأفعال العباد وموقفهم من الصحابة رضي الله عنهم⁽²⁾، مثلاً: في أسماء الله وصفاته، فهم وسط بين أهل النفي والتعطيل، وأهل التشبيه والتمثيل؛ فأهل السنة والجماعة يؤمنون بكل ما وصف الله به نفسه، أو وصفه رسوله صلى الله عليه وسلم، وبجميع أسمائه الحسنی من غير تحريف لمعناها، ولا نفي لها أو تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، فهم يثبتون جميع الأسماء والصفات مع تحقيقها لله عز وجل، وتنزيهه سبحانه عن مماثلة مخلوقاته، تصديقاً بخبره عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١١) الشورى: 11، وهم وسط في ذلك بين أهل التعطيل وأهل التشبيه والتمثيل⁽³⁾، كذلك الاعتقاد بإله واحد، فالاعتقاد بإله واحد يقع في الوسط بين العقائد الإلحادية كالدهرية قديماً والشيوعية حديثاً والتي لا تعترف بوجود إله، وبين العقائد الشركية الخرقاء التي تشرك مع الله إلهاً آخر أو اثنين أو أكثر، العقائد الإلحادية وقفت ضد تيار الفطرة الموجود في الطبيعة البشرية فأشقت للإنسان، بينما تسببت العقائد الشركية بتمزيقه، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(٢٢) الأنبياء: 22.

خامساً: التعرف على الله تعالى: فمن آمن بأسماء الله وصفاته ازداد معرفة بالله تعالى، فيزداد إيمانه بالله يقيناً، ويقوى توحيده لله تعالى، والثناء على الله بأسمائه الحسنی، وسؤال الله ودعاؤه بأسمائه وصفاته، كما قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١٨٠) الأعراف: 180، والسعادة والحياة الطيبة في الدنيا،

(1) بأن يصف الله بما وصف به نفسه في كتابه، أو بما وصفه به نبيه صلى الله عليه وسلم، لا يعطل ولا يشبه بل هو وسط بين الفريقين، الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه (ص: 362).

(2) جامي، محمد أمان، الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، (ص: 362).

(3) صوفي، د. عبد القادر بن محمد، المفيد في مهمات التوحيد، (ص: 37).

ونعيم الجنة في الآخرة⁽¹⁾، وبقراءة القرآن الكريم قراءة شاملة كاملة يتعرف المؤمن على أسماء الله وصفات وأفعاله، مما يقوي إيمانه ويعمق علاقته بالله تعالى، قال تعالى: ﴿قُلْ أَشْهَدُ قُلُوبُ اللَّهِ شَهِدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ الأنعام: 19، إنما هو معبود واحد، لا شريك له فيما يستوجب على خلقه من العبادة "وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ"، يقول: قل: وإنني بريء من كل شريك تدعونه لله، وتضيفونه إلى شركته، وتعبدونه معه، لا أعبد سوى الله شيئاً، ولا أدعو غيره إلهاً⁽²⁾، وعن ابن عباس، قال: كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "يا غلام أو يا بني أو لا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟" قلت: بلى، قال: "احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله...⁽³⁾، وهناك جوانب متعددة تساعد على معرفة الله تعالى منها:

- تزكية النفس: قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ الشمس: 7-10، هي تربية النفس وتوجيهها نحو المثل العليا، وهذا الأثر هو نتيجة المعرفة بأصول هذه العقيدة وأركانها، فالمعرفة بالله تعالى من شأنها أن تربي في النفس ملكة المراقبة لله سبحانه وتعالى وإخلاص العبودية له، والتحرر من كل ولاء لغيره، ولعل فاتحة الكتاب التي نرددها في صلواتنا كل يوم، تأكيد لهذا المعنى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ الفاتحة: 5، فعبودية الإنسان لربه تحرره من عبوديته للعباد، وعبوديته للدنيا بما فيها من ترغيب وترهيب، والمعرفة بالملائكة تدعو إلى التشبه بطاعتهم لله، والتعاون على الحق والخير والوعي الكامل واليقظة التامة، فلا يصدر

(1) آل عبد اللطيف، عبد العزيز بن محمد، التوحيد للناشئة والمبتدئين، (ص: 52).

(2) ابن الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، (11/ 293).

(3) البيهقي، أحمد بن الحسين، (2/ 350).

من الإنسان إلا ما هو خير ولا يتصرف إلا لهدف أسمى، وكذلك الحال في كل ركن من أركان العقيدة، بل في كل جزئية من كل ركن⁽¹⁾.

- الإرشاد إلى الطريق المستقيم: كتاب الله تعالى يحمل جملة من النصوص المرشدة والهادية إلى الطريق المستقيم وعدم الانحراف قال تعالى: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ الفاتحة: 6، إشارة إلى القسم الأول، وقوله: صراط الذين أنعمت عليهم إشارة إلى القسم الثاني، ثم في هذا القسم طلب أن يكون اقتداؤه بأنوار عقول الطائفة المحقة الذين جمعوا بين العقائد الصحيحة والأعمال الصائبة، وتبرأ من أن يكون اقتداؤه بطائفة الذين أخلوا بالأعمال الصحيحة، وهم المغضوب عليهم، أو بطائفة الذين أخلوا بالعقائد الصحيحة، وهم الضالون، وهذا آخر السورة، وعند الوقوف على ما لخصناه يظهر أن هذه السورة جامعة لجميع المقامات المعتبرة في معرفة الربوبية ومعرفة العبودية⁽²⁾.

- التوازن: ومع هذا التكامل وذاك الشمول، نجد خاصية أخرى بارزة في العقيدة الإسلامية، تتصل بواحدة من أهم السمات العامة للإسلام وهي الوسطية والاعتدال، تلکم هي خاصية التوازن بين الأمور المتقابلة، فيقع كل أمر أو جانب على قدر معين باعتدال موزون، بحكمة ربانية "تضبط فيها النسب بين جوانب الحياة وقيمها؛ فالمال واللذة، والعمل والعقل، والمعرفة والقوة، والعبادة والقربة، والقومية والإنسانية؛ قيم من قيم الحياة، والإسلام جعل لكل منها موضعاً في نظام الحياة ونسبة محدودة لا تتجاوزها حتى لا تطغى قيمة على قيمة⁽³⁾.

المطلب الثالث: أثر القراءة الكلية الشاملة على الفكر الإسلامي:

تعريف الأثر لغة واصطلاحاً:

الأثر لغة: أثر: (أثر) الأثر بقية الشيء والجمع آثار وخرجت في أثره وفي أثره أي بعده،

(1) الرقب، د. صالح، العقيدة في الله عز وجل، (ص: 26).

(2) فخر الدين الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، (1/ 229).

(3) د. عثمان جمعة ضميرية، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، مرجع سابق، (ص: 392).

وتأثرته تتبع أثره، ويقال أثر كذا أي أتبعه إياه والأثر بالتحريك ما بقي من رسم الشيء والتأثير إيقاء الأثر في الشيء وأثر في الشيء ترك فيه أثراً وأثر خفّ البعير يائثره أثراً بخفها أو حافرها، الأثر الأجل وسمي به لأنه يتبع العمر وأصله من أثر مشيه⁽¹⁾.

واصطلاحاً: وهو العلامة الفرعية التي تدل على أصل الشيء وحقيقته، مثل أثر الرجل في الطين، فهو فرع للأصل الحقيقي الذي هو القدم.

ومنه قوله _ تعالى _ : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ ﴾ (سورة يس: 12) "عليكم منازلكم تكتب آثارك"، وقيل: خطاهم⁽²⁾، وعن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سره أن يبسط عليه في رزقه، وينسأ في أثره، فليصل رحمه»⁽³⁾. يؤخر في أجله يقال للرجل نسأ الله في عمره وأنسأ عمره والأثر ههنا آخر العمر⁽⁴⁾، وقيل: يبقى ذكره الطيب وثناؤه الجميل مذكوراً على الألسنة، فكأنه لم يمت، والعرب تقول الشئاء يضارع الخلود⁽⁵⁾.

تعريف الفكر الإسلامي لغة واصطلاحاً:

الفكر لغة: فكر: الفكر والفكر: إعمال الخاطر في الشيء؛ قال سيبيويه: ولا يجمع الفكر ولا العلم ولا النظر، قال: وقد حكى ابن دريد في جمعه أفكاراً. ورجل فكير، مثال فسيق، وفكير: كثير الفكر؛ ومن العرب من يقول: الفكر الفكرة، والفكرى على فعلى اسم، وهي قليلة، الجوهري: التفكير التأمل⁽⁶⁾.

(1) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، (4 / 5).

(2) جامع البيان في تأويل القرآن، مرجع سابق، (20 / 498 - 499).

(3) أخرجه أبو داود، عن أنس رضي الله عنه، كتاب سنن أبي داود، باب في صلة الرحم، برقم 1693، (2 / 132).

(4) الخطابي، حمد بن محمد، معالم السنن، (2 / 82).

(5) ابن بطال، علي بن خلف، شرح صحيح البخاري، (6 / 206).

(6) لسان العرب، مرجع سابق، (5 / 65).

(الفكر) اصطلاحاً: إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول ويقال لي في الأمر فكر نظر وروية وما لي في الأمر فكر ما لي فيه حاجة ولا مبالاة جمع أفكار⁽¹⁾.

فكر: نشاط ذهني، إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة المجهول "نتاج الفكر - فكر صائب/ صيباني" أجهد فكره: أمعن في التفكير - بنت الفكر: فكرة أو خطة مبتكرة منسوبة إلى شخص معين أو مجموعة معينة - رجال الفكر: المفكرون - شارد الفكر: ذاهل، ساه أو مستغرق في التفكير - علم الأفكار: علم يدرس الأفكار وقوانينها وأصولها - مشوش الفكر: مضطرب، مرتبك⁽²⁾، والفكر: تردد القلب بالنظر والتدبر لطلب المعاني، ولي في الأمر فكر أي نظر وروية، وفكر في الشيء أي أعمل الفكر فيه ليتوصل إلى حله أو إدراكه⁽³⁾.

الإسلامي: نسبة إلى الإسلام، وهو الدين الذي أنزله الله على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، والفكر الإسلامي في نظر الباحث يأتي على قسمين: العام والخاص، وتعريفهما كالآتي:

الفكر الإسلامي العام: هو كل ما أنتجه فكر المسلمين في مختلف جوانب الحياة، سواء كانت دينية أو دنيوية، منذ عصر النبوة إلى يومنا هذا.

الفكر الإسلامي الخاص: هو الدراسات والعلوم التي تهتم بالإسلام نفسه، مثل القرآن وعلومه، والحديث وعلومه، والفقه وأصوله، والعقيدة، والتزكية، والتاريخ الإسلامي، والحضارة الإسلامية.

أثر القراءة الكلية الشاملة على الفكر الإسلامي:

القراءة الكلية الشاملة للنصوص القرآنية هي منهج فكري يعتمد على الإمام بمختلف أبعاد الفهم الواسعة والشاملة، وعدم الاكتفاء بجانب معين أو تفسير أحادي للنصوص، وتظهر أهمية هذا المنهج في الفكر الإسلامي في تكوين رؤية متكاملة تجمع بين مختلف العلوم

(1) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، (2/ 698).

(2) عمر، د. أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، (3/ 1734).

(3) الرحيلي، د. حمود بن أحمد، تحصين المجتمع المسلم ضد الغزو الفكري، (ص: 337).

الشرعية والعقلية والتاريخية، مما يؤدي إلى فهم أعمق وأشمل للإسلام واستخلاص مقاصده الكبرى للشرعية الإسلامية، ولتطبيق القرآن الكريم على الواقع المعاصر، وهناك آثار للقراءة الكلية الشاملة على الفكر الإسلامي أهمها:

1- الحد من الغلو والتطرف الفكري: حينما يتجاوز الإنسان الحد في الأمور الدينية أو الدنيوية، ويبالغ في تطبيق تعاليم الدين أو في الالتزام بها بما يتجاوز ما طلبه الله ورسوله يكون قد وصل إلى حد الغلو قال الإمام الشاطبي في الاعتصام: الغلو هو المبالغة في الأمر، ومجاوزة الحد فيه إلى حيز الإسراف⁽¹⁾، وقد حذر الإسلام من الغلو في عدة نصوص، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ۖ﴾ (المائدة: 77)، عن أبي العالية، قال: قال ابن عباس: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة العقبة وهو على راحلته: «هات، القط لي» فلقطت له حصيات هن حصى الخذف، فلما وضعتهن في يده، قال: «بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»⁽²⁾،

الغلو هو: مجاورة الحد في مدح الشيء أو ذمه، وضابطه تعدي ما أمر الله به وهو الطغيان الذي نهى الله عنه⁽³⁾ في قوله: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ (٨١) طه: 81، أما التطرف فهو قريب جداً من لفظ الغلو، ويأخذ غاية واحدة في الهدف والتطبيق، وناتج من نتائج القراءة الجزئية الناقصة يقول الشيخ عبدالعزيز بن باز: التطرف: هو عدم الاعتدال بغلو أو جفاء⁽⁴⁾، والرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بينت الغلو والتطرف وعلاقتهما فقالوا: الغلو في

(1) الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الاعتصام، (1/ 392).

(2) سنن النسائي، عن ابن عباس، باب التقاط الحصى، برقم: 3057، (5/ 268).

(3) ابن عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، (ص: 254).

(4) ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله، مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، (8/ 236).

الحقيقة أعلى مراتب الإفراط في الجملة، فالغلو في الكفن هو المغالاة في ثمنه والإفراط فيه، والغلو أخص من التطرف إذ إن التطرف هو مجاوزة الحد والبعد عن التوسط والاعتدال إفراطاً أو تفريطاً، أو بعبارة أخرى: سلبي أو إيجاباً، زيادة أو نقصاً، سواء كان غلواً أم لا، إذ العبرة ببلوغ طرفي الأمر، فالغلو أخص من التطرف باعتبار مجاوزة الحد الطبيعي في الزيادة والنقص، في حال النقص يسمى غلواً إذا بالغ في النقص، والتطرف: الانحياز إلى طرفي الأمر، فيشمل الغلو، لكن الغلو أخص منه في الزيادة والمجاوزة، ليس فقط بمجرد البعد عن الوسط إلى الأطراف، أو بمعنى آخر: كل غلو فهو تطرف، وليس كل تطرف غلو⁽¹⁾. ومن خلال استقراء التاريخ لفرقة الخوارج وغلوهم وتطرفهم بأخذهم منهج القراءة الجزئية الناقصة التي أوصلت بهم إلى الغلو والتطرف أو الجمود الفكري، والمتأمل إلى قصتهم فتمسكوا بنصوص معينة عن التحكيم وكفّروا بها المسلمين، مع إغفالهم الكليات المتعلقة بالتسامح والرحمة، كما في حديث أبي سعيد رضي الله عنه، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: " يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لمن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد "⁽²⁾.

2- التمسك بالكليات والمقاصد وعدم إهمال الجزئيات: هناك خطورة التمسك بجزئيات الدين دون فهم الكلي والشامل منها، يقو الإمام الشاطبي في الاعتصام: وذلك أن هذه الفرق إنما تصير فرقاً بخلافها للفرقة الناجية في معنى كلي في الدين وقاعدة من قواعد الشريعة، لا في جزئي من الجزئيات، إذ الجزئي والفرع الشاذ لا ينشأ عنه مخالفة يقع بسببها التفرق شيعاً، وإنما ينشأ التفرق عند وقوع المخالفة في الأمور الكلية، لأن الكليات تقتضي عدداً من الجزئيات غير قليل، وشاذها في الغالب أن لا يختص بمحل دون محل ولا بباب دون باب، واعتبر ذلك بمسألة التحسين العقلي، فإن المخالفة فيها أنشأت بين المخالفين خلافاً في فروع

(1) الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، مجلة البحوث الإسلامية، (74/ 236 - 237).

(2) صحيح البخاري- من حديث أبي سعيد - كتاب أحاديث الأنبياء - باب قول الله عز وجل: (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر)- حديث رقم: 3344، (4/ 137).

لا تنحصر، ما بين فروع عقائد وفروع أعمال، ويجري مجرى القاعدة الكلية كثرة الجزئيات، فإن المبتدع إذا أكثر من إنشاء الفروع المخترعة عاد ذلك على كثير من الشريعة بالمعارضة، كما تصير القاعدة الكلية معارضة أيضاً، وأما الجزئي فبخلاف ذلك، بل يعد وقوع ذلك من المبتدع له كالزلة والفلتة، وإن كانت زلة العالم مما يهدم الدين، حيث قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : ثلاث يهدمن الدين: زلة العالم، وجدال منافق بالقرآن، وأئمة مضلون. ولكن إذا قرب موقع الزلة لم يحصل بسببها تفرق في الغالب ولا هدم للدين. بخلاف الكليات⁽¹⁾، وهذا ينطبق على فرقة الخوارج الذين تمسكوا بالجزئيات وجعلوها ثابتة، وضيعوا الكليات وجعلوها متغيرات واجتهادات، ونتيجة هذا الخلط كان منهم التكفير وحمل السلاح على الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وجماعة المسلمين، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنفُسُكُمْ تُخْرَجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِّنْ دِينِهِمْ تَطْهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تَقْدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَيْهِ أَشَدَّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ البقرة: 85.

3- أهمية الفهم المتوازن في التطبيق: ومع هذا التكامل وذاك الشمول، نجد خاصية أخرى بارزة في العقيدة الإسلامية، تتصل بوحدة من أهم السمات العامة للإسلام وهي الوسطية والاعتدال، تلكم هي خاصية التوازن بين الأمور المتقابلة، فيقع كل أمر أو جانب على قدر معين باعتدال موزون، بحكمة ربانية "تضبط فيها النسب بين جوانب الحياة وقيمتها؛ فالمال واللذة، والعمل والعقل، والمعرفة والقوة، والعبادة والقربة، والقومية والإنسانية؛ قيم من قيم الحياة، والإسلام جعل لكل منها موضعاً في نظام الحياة ونسبة محدودة لا تتجاوزها حتى لا تطغى قيمة على قيمة"⁽²⁾.

(1) الاعتصام، مرجع سابق، (2/ 712 - 713).

(2) مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، مرجع سابق، (ص: 392).

تميزت الرسالة الربانية الخاتمة بالفهم المتوازن في التطبيق لجميع متطلبات البشر لجميع أجناسهم في كل مكان وزمان، وتضمنت النظام الإسلامي الكامل السديد لعلاقة البشر مع خالقهم ومع بعضهم البعض، فهي تحمل التعريف الصحيح بالله وحقه والكون والحياة، وعن مبدأ الإنسان ودوره في الحياة، ومصيره بعد الممات، مما أحدث توازنًا كليًا متكاملًا في الفهم التطبيقي للتشريع الإسلامي، قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝﴾ المائدة: 15 - 16، فهذه الشمولية تجلي للفرد والمجتمع التوازن والانسجام في الفكر والنفس والعمل، الذي هو أهم مقومات الحياة السعيدة المثمرة. ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝﴾ الأنفال: 24، فكانت الرسالة المحمدية رحمة من الله للناس لتخليصهم من تلك الجاهليات التي جثمت على قلوبهم، ولوثت أفكارهم دهرًا طويلاً، لقد عاش الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة النبوية يؤسس للمجتمع المسلم، ويقيم جميع شئونه على منهج الله، ولم ينتقل صلى الله عليه وسلم إلى جوار ربه إلا وقد تحول الإسلام بكل ما فيه من عقائد وتعاليم وأخلاق إلى واقع حي، تظهر مظاهره وثماره في الأفكار والقلوب والسلوك⁽¹⁾.

التوازن بين ما يتلقاه الإنسان عن طريق الوحي وبين ما يتلقاه عن طريق وسائل الإدراك البشري، والتوازن بين طلاقة المشيئة الإلهية وثبات السنن الكونية، والتوازن بين المشيئة الإلهية الطليقة ومجال المشيئة الإنسانية المحدودة، والتوازن في مصادر المعرفة بين الوحي والعقل.. وبين الإيمان بالقدر والأخذ بالأسباب.. وبين العمل للدنيا والعمل للآخرة، وبين القيم المادية والقيم المعنوية، وهذه الخاصية لها أثرها الكبير في عصمة هذه الأمة عن الغلو والإفراط وعن النقص والتفريط، وعن التأرجح بين المذاهب والأفكار القاصرة، والأخطاء

(1) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، مرجع سابق، (1/ 107).

الناجمة عن الوقوع في الانحراف بكل قيمة عن مكانتها اللائقة بها⁽¹⁾.

فالفهم الكلي الشامل المتوازن لتطبيق النصوص القرآنية فريضة شرعية، وضرورة بشرية؛ لأنه يساعد في تطبيق الأحكام الشرعية، ضمن إطار الفهم الكلي، ومن هذا المنطلق فهم الصحابة - رضي الله عنهم - الإسلام كنظام شامل متوازن، قابل للنظرية التطبيقية، يتمسك بالكماليات دون إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا إطرأ.

4- تحقيق التكامل بين العلوم: عني الإسلام بالعلم ودعا إليه وحث على طلبه والاهتمام به، وأنزل الله تعالى آيات صريحة، تدعو إلى التعلم في الأصول والعقائد، والشرائع والأخلاق، والمبادئ والقيم، والخصائص والتصورات، وبرزت العناية باللغة العربية وفروعها المختلفة، والعلوم المهمة بالكون والإنسان والحياة، وحدثت نهضة علمية مزدهرة ولملموسة في حياة المجتمع الإسلامي على مر العصور والأزمان، في النواحي العقدية والشرعية والأخلاقية والعلمية والفكرية والسياسية والاقتصادية والعسكرية والتكنولوجية، وامتدت إلى أفرع العلم من فلك وطب وهندسة ورياضيات وغيرها. وغيرت من مجريات الأمة نحو التطور والتقدم الحضاري والاستراتيجي الكبير لتورث العزة والكرامة والاستشراف للمستقبل، وحققت تكاملاً بين جميع العلوم، وظهرت آثار النشاط العلمي في أوج قوته، ماثلة للعيان في مختلف العلوم الدينية منها والدنيوية، كما ظهر للعلماء دور بارز في التعليم والتدوين والتأليف والاجتهاد والاكتشاف، وعاش المسلمون آثاره حتى عصرنا هذا، وتزاحم الطلاب على أبواب العلم والعلماء ينهلون من هذا المعين الثري فأفادوا من ذلك غاية الإفادة.

والمتمأمل إلى توحيد الله وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات هو أصل العلوم الدينية: كما أن العلم بأسماء الله وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأشرفها وأعظمها فهو أصلها كلها، فكل علم هو تابع للعلم به، مفتقر في تحقق ذاته إليه، فالعلم به أصل كل علم ومنشؤه، فمن عرف الله عرف ما سواه، ومن جهل ربه فهو لما سواه أجهل، قال تعالى: ﴿

(1) مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، مرجع سابق، (ص: 393).

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ الحشر: 19، فتأمل هذه الآية تجد تحتها معنى شريفاً عظيماً، وهو: أن من نسي ربه أنساه ذاته⁽¹⁾، وتمتد نحوه أعناق الهمم والخواطر ما كان موضوعه أحل الموضوعات وغايته أشرف الغايات، وإليه مرجع العلوم الدينية ومستند النواميس الشرعية، وبه صلاح العالم ونظامه وحله وإبرامه والطرق الموصلة إليه يقينيات والمسالك المرشدة نحوه قطعيات وذلك هو العلم الملقب بعلم الكلام، الباحث في ذات واجب الوجود وصفاته وأفعاله و متعلقاته، ولما كنا مع ذلك قد حققنا أصوله ونقحنا فصوله، وأحطنا بمعانيه، وأوضحنا مبانيه، وأظهرنا أغواره، وكشفنا أسرار، وفزنا فيه بقصب سبق الأولين وحُزنا غايات أفكار المتقدمين والمتأخرين، واستنزعنا منه خلاصة الألباب، وفصلنا القشر عن اللباب⁽²⁾، ومعلوم أن القرآن الكريم اشتمل على كل العلوم الدينية والأخرية يدعو الفكر الإسلامي إلى التفاعل بين مختلف المعارف والعلوم، وهو ما يعزز التجديد والاجتهاد في الفكر الديني.

5- الفهم الأعمق لمقاصد الشريعة: الشريعة تُطلق في اللغة على مورد الماء ومنبعه ومصدره، كما تُطلق على الدين والملة والطريقة والمنهاج والسنة، والشريعة والشرع والشرعة بمعنى واحد⁽³⁾، مقاصد الشريعة هي: الأغراض التي لأجلها شرع الله الشرائع، وليس يخلو شيء شرعه الله من غرض أريد به، وما من شيء من تلك الأغراض إلا وهو عائد على المكلف بالنفع والمصلحة، وذلك متحقق له في الدنيا أوفي الآخرة، أو في الدارين جميعاً، وكله من رحمة الله تعالى به وإرادته الخير له، فالذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره أعلم بما يصلحه وينفعه، بل هو أعلم به حتى من نفسه⁽⁴⁾: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١٤﴾ الملك: 14، إن مقاصد

(1) التميمي، محمد بن خليفة، معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، (ص: 15).

(2) ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام، درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، (183/3).

(3) الخادمي، نور الدين بن مختار، علم المقاصد الشرعية، (ص: 14).

(4) الجديد، عبد الله بن يوسف، تيسير علم أصول الفقه، (ص: 328).

الشريعة هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها، لمصلحة العباد⁽¹⁾، وذكر الإمام الشاطبي في الموافقات في المسألة التاسعة فقال: "كون الشارع قاصدا للمحافظة على القواعد الثلاث: الضرورية، والحاجية والتحسينية"⁽²⁾، فالقول بقصد الشارع إلى حفظ هذه الكليات الكبرى، لا يكفي لإثباته الإتيان بنص أو بضعة نصوص -إن وجدت- تصرح بهذا القصد. فالقضية أكبر وأخطر من أن تثبت بدليل يمكن تطبيق الاحتمال إليه، سواء في ثبوته، أو دلالته، أو سلامته من المعارض. فالقضية لا تحتمل الظن، ولا يقيمها إلا الدليل القطعي، لأنها أصل الأصول في الشريعة⁽³⁾، أن هذه القواعد الثلاث لا يرتاب في ثبوتها شرعا أحد ممن ينتمي إلى الاجتهاد من أهل الشرع، وأن اعتبارها مقصود للشارع ودليل ذلك استقراء الشريعة، والنظر في أدلتها الكلية والجزئية، وما انطوت عليه من هذه الأمور العامة على حد الاستقراء المعنوي الذي لا يثبت بدليل خاص، بل بأدلة منضاف بعضها إلى بعض، مختلفة الأغراض، بحيث ينتظم من مجموعها أمر واحد تجتمع عليه تلك الأدلة⁽⁴⁾، "أن مقاصد الشريعة هي المرجع الأبدي لاستقاء ما يتوقف عليه التشريع والقضاء في الفقه الإسلامي، وأنها ليست مصدراً خارجياً عن الشرع الإسلامي، ولكنها من صميمه، وليست غامضة غموض القانون الطبيعي الذي لا يعرف له حد ولا مورد. وأن المقاصد تؤثر حتى على ما هو منصوص عليه عند الاقتضاء"⁽⁵⁾، إن مقاصد الشريعة هي تحقيق مصالح الناس، ولكن مصالح الناس ليست على درجة واحدة من حيث الأهمية والخطورة وحاجة الناس إليها، وإنما هي على مستويات مختلفة، ودرجات متعددة، فبعض المصالح ضروري وجوهري يتعلق بوجود الإنسان ومقومات حياته، وبعضها يأتي في الدرجة الثانية ليكون وسيلة مكمل للمصالح

(1) الريسوني أحمد، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، (ص: 7).

(2) الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، (2/ 79).

(3) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، مرجع سابق، (ص: 286).

(4) الموافقات، مرجع سابق، (2/ 81).

(5) الفاسي علال، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، (ص 51-52).

الضرورة السابقة، وتساعد الإنسان على الاستفادة الحسنة من جوانب الحياة المختلفة في السلوك والمعاملات وتنظيم العلاقات، وبعض المصالح لا تتوقف عليها الحياة، ولا ترتبط بحاجات الإنسان، وإنما تتطلبها مكارم الأخلاق والذوق الصحيح والعقل السليم، لتأمين الرفاهية للناس، وتحقيق الكماليات لهم⁽¹⁾.

ويؤكد الباحث أن المقاصد الشرعية مثل: العدل والرحمة، ودفع المفاسد وجلب المصالح، وترجيح المفاسد والمصالح بينها، والاجتهاد والتعمق في معاني الفكر الإسلامي، على أساس العقائد والشرائع ولا يمكن إدراكها إلا من خلال القراءة الكلية الشاملة للنصوص القرآنية والاستنباط الشامل، وعليه: من لم يفهم مقاصد الشريعة فإنه قد يفسد أكثر مما يصلح، لا يحق له النظر في أمور الدين.

6- الاجتهاد الصحيح والسليم: الاجتهاد هو بذل الجهد في موافقة الأمر والعلو مجاوزته وتعديه وما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان فأما إلى غلو ومجاوزة وغما إلى تفريط وتقصير وهما آفتان لا يخلص منهما في الاعتقاد والقصد والعمل إلا من مشى خلق رسول الله وترك أقوال الناس وآراءهم لما جاء به لا من ترك ما جاء به لأقوالهم وآرائهم⁽²⁾، والاجتهاد هو: "استفراغ الوسع في النظر فيما لا يلحقه لوم مع استفراغ الوسع فيه"⁽³⁾.

قال الإمام البغوي: الاجتهاد هو رد القضية إلى معنى الكتاب والسنة من طريق القياس، فعلى الحاكم أن يحكم بما في كتاب الله سبحانه وتعالى، فإن لم تكن الحادثة التي يحتاج إلى الحكم فيها في كتاب الله، فيحكم بالسنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن لم يجدها في السنة، فحينئذ يجتهد⁽⁴⁾، والدليل ما ورد في الحديث، عن الحارث بن عمرو ابن

(1) الزحيلي، الأستاذ الدكتور محمد مصطفى، الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، (1/ 112).

(2) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، (ص: 257).

(3) الأرموي، محمود بن أبي بكر، التحصيل في المحصول، (ص: 281).

(4) البغوي، الحسين بن مسعود، شرح السنة، (10/ 116).

أخي المغيرة بن شعبة، عن أناس من أهل حمص، من أصحاب معاذ بن جبل، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يبعث معاذاً إلى اليمن قال: «كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟»، قال: أقضي بكتاب الله، قال: «فإن لم تجد في كتاب الله؟»، قال: فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «فإن لم تجد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا في كتاب الله؟»، قال: أجتهد رأيي، ولا آلو فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره، وقال: «الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي رسول الله»⁽¹⁾.

أورد الإمام البغوي في شرح الحديث عدد من المسائل أهمها:

1- قوله: «أجتهد رأيي»: لم يرد به الرأي الذي يسنح له من قبل نفسه، أو يخطر بباله على غير أصل من كتاب أو سنة، بل أراد به رد القضية إلى معنى الكتاب والسنة من طريق القياس⁽²⁾.

2- وقوله «وإذا اجتهد فأخطأ، فله أجر»: لم يرد به أنه يؤجر على الخطأ، بل يؤجر في اجتهداه طلب الحق، لأن اجتهداه عبادة، والإثم في الخطأ عنه موضوع إذا لم يأل جهده، وهذا فيمن كان جامعاً لآلة الاجتهاد، فأما من لم يكن محلاً للاجتهاد، فهو متكلف لا يعذر بالخطأ في الحكم، بل يخاف عليه أعظم الوزر⁽³⁾، والدليل عن ابن بريده عن أبيه، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "القضاة ثلاثة: واحد في الجنة، واثنان في النار، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به، ورجل عرف الحق فجار في الحكم، فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل، فهو في النار"⁽⁴⁾.

(1) سنن أبي داود، عن معاذ بن جبل، كتاب الأقضية، باب اجتهد الرأي في القضاء، برقم: 3592، (3/ 303).

(2) شرح السنة، مرجع سابق، (10/ 117).

(3) المرجع السابق، (10/ 117).

(4) سنن أبي داود، عن ابن بريده عن أبيه، أول كتاب الأقضية، باب القاضي يخطئ، برقم: 3573، (5/ 426).

3- وفي هذا الحديث دليل على أن ليس كل مجتهد مصيباً، إذ لو كان كل مجتهد مصيباً، لم يكن لهذا التقسيم معنى، وهو معنى قول الشافعي، ومذهبه أنه إذا اجتهد مجتهدان في حادثة فاختلف اجتهداهما، أن الحق منهما واحد لا بعينه، وذهب أصحاب الرأي إلى أن كل مجتهد مصيب، لأنه لم يكلف عند اشتباه الحادثة إلا الاجتهاد، وليس كذلك، بل هو مأمور بالاجتهاد لإصابة الحق، فإن أصابه أجر، وإن لم يصب عذر، كمن اشتبهت عليه القبلة، كلف أن يجتهد ليصيب جهتها، فإن لم يصبها يقينا عذر⁽¹⁾.

4- والحديث يدل على أنه لا يجوز للحاكم تقليد الغير، وإن كان أعلم منه وأفقه حتى يجتهد، ويستحب له مشاوره أهل العلم في الحوادث، والبحث عن الدلائل، ثم يحكم بما لاح له بالدليل⁽²⁾، قال الله سبحانه وتعالى لرسوله: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْتِ بِدَلِيلٍ لَآتِيكَ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ آل عمران: 159، عن أبي هريرة رضي الله عنه " ما رأيت أحداً أكثر مشاوراً لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم"⁽³⁾.

5- الفهم الأعمق لجذور الفكر الإسلامي: يشير الفكر الإسلامي بفهمه الأعمق، إلى مجمل الآراء والمعتقدات، والتيارات الفكرية التي نشأت وتطورت في العلم الإسلامي، منذ ظهور الإسلام وحتى العصر الحديث، وهي بمختلف العلوم الشرعية والعقلية والإنسانية والطبيعية، وتتعدد جذور الفكر الإسلامي، وتتفاعل فيما بينها لتشكيل هذا النسيج الفكري الغني والمتنوع والمفعم بالفهم الصحيح والمنضبط بضوابط الشريعة الإسلامية ومتطلبات الإنسان والحياة والكون، حيث تأثر الفكر الإسلامي بالعديد من الحضارات والثقافات التي سبقتها، مثل الحضارة اليونانية، والفارسية، والهندية، والمصرية القديمة، وقد تمثل هذا التأثير في استيعاب

(1) شرح السنة، مرجع سابق، (10/ 118).

(2) المرجع السابق، (10/ 118).

(3) السنن الكبرى للبيهقي، عن أبي هريرة، كتاب النكاح، باب ما أمره الله تعالى به من المشورة، برقم: 13303، (7/ 73).

بعض الأفكار والنظريات، وتطويرها بما يتوافق مع رؤية الإسلام، ولم يكن الفكر الإسلامي بمعزل عن الواقع الذي يحيط به، بل تفاعل معه بشكل مستمر، وتأثر بالتغيرات والتحديات التي واجهت المسلمين عبر التاريخ، وقد أوصل هذا التفاعل إلى ظهور تيارات فكرية متنوعة، تسعى إلى تقديم حلول لمشاكل المجتمع، وتقديم رؤى مستقبلية للأمة الإسلامية.

الخاتمة:

توصل الباحث إلى عدد من النتائج والتوصيات أهمها:

أهم النتائج:

- 1- إن الإيمان والعقيدة هو الأساس الثابت، والمبدأ العميق، والمنهج القيم؛ لنشر الأفكار الصحيحة، والتعاليم السليمة، وصمام أمان الحفاظ على المجتمعات والأفراد من الانحرافات العقدية والفكرية.
- 2- تشويه معاني النصوص القرآنية، وفهمها فهماً خاطئاً، وتفسيرها تفسيراً ناقصاً، يؤدي إلى استنتاج معتقدات منحرفة في مسائل العقيدة والشرعية.
- 3- الاستدلال غير الصحيح لنصوص القرآن الكريم، يتم عبر اقتطاع جزء من بعض الآيات لتأييد فكرة مسبقة، دون النظر إلى باقي الآيات التي قد تحمل معنى مختلفاً أو مكملًا؛ مما يشكل خطراً كبيراً على العقيدة، وتبني أفكاراً منحرفة أو ضالة.
- 4- التباعد عن الفهم السليم لنصوص القرآن الكريم وشرائعه، بمنع القارئ من الوصول إلى الفهم السليم والشامل للنصوص القرآنية، حيث يهتم بالتفاصيل الجزئية دون ربطها بالمقاصد الكلية للشرعة الإسلامية، ويحول دون الوصول إلى المعرفة الحقيقية التي تزيد المؤمن إيماناً وتقوى.
- 5- تنقية التوحيد وصفاء العقيدة، هو أساس العودة إلى تحرير مفهوم العبودية بكل أبعادها؛ وتحقيق السعادة للإنسان، ويرفع عنه الآصار والأغلال، ويمنحه الأمن النفسي تجاه مسائل الكون والحياة والإنسان، وبذلك ينعق من كل العبوديات الأرضية.

6- سمة الخلود تؤكد قدرتها على التجديد الذاتي، والتطور الفكري، بإنتاج نماذج للاقتداء والاتباع، قادرة على التجديد، وإعادة معايرة الواقع بقيم الكتاب والسنة، بفاعلية تجاوز القراءة السطحية الجزئية العابرة.

7- تحقق الوعي الحضاري، يعيد بناء المسلم المعاصر، وإحياء وعيه برسائله الإسلامية الإنسانية، ووظيفته في الشهادة على الناس، وتبصره بالسُّنن الإلهية في القرآن والأنفس والآفاق، لتصويب المفاهيم وتصحيح المعايير، والتحقق بفقته النص في الكتاب والسنة.

أهم التوصيات:

- 1- يوصي الباحث بضرورة العناية بالقرآن الكريم تدبيراً وتأملًا بفهم سليم وعميق، والمستنبط للنصوص القرآنية الكلية الشاملة عبر المدارس، والجامعات، والمساجد، ومنابر الإعلام.
- 2- يجب النظر إلى الآيات في سياقها العام، وربطها بالآيات الأخرى التي تتناولت نفس الموضوع، لفهم المعنى بشكل صحيح وشامل، ويساعد للوصول إلى الأسرار والمعاني الخفية.
- 3- الرجوع إلى التفاسير المعتمدة لأهل العلم الراسخين في الفهم والعلم، حيث أنهم يقدمون شروحاً مفصلة لنصوص الآيات القرآنية، ويشرحون معانيها في ضوء قواعد وأصول ومبادئ التفسير المعتمدة عند العلماء وغيرها من المراجع.
- 4- ضرورة معالجة ومحاربة أشكال التطرف والعنف، والجمود والجحود الناتجة عن القراءة الجزئية الناقصة، وما أثارته من آفات وجرائم ومحظرات، والحذر من خطورتها وضررها الفتاك.
- 5- صرف الجهود في بيان أهمية القراءة الكلية الشاملة، وأثرها الإيجابي على الفرد والمجتمع، في تنمية واستقرار الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحضارية.

المصادر والمراجع:

- الأيباري، إبراهيم بن إسماعيل، (1405هـ)، الموسوعة القرآنية، مؤسسة سجل العرب.
- الآجُرِّي، أبو بكر محمد بن الحسين، (2005)، أخلاق حملة القرآن للأجُرِّي، تحقيق وتعليق: أبو محمد أحمد شحاته الألفي السِّكندري، الطبعة الأولى، دار الصفا والمروة بالإسكندرية.

- أحمد مختار، أحمد مختار عبد الحميد، (2008)، بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب.
- الأرموي، محمود بن أبي بكر، (1988)، التحصيل في المحصول، ط1، دراسة وتحقيق: د. عبد الحميد علي أبو زنيد، مؤسسة الرسالة.
- إمام الحرمين، عبد الملك بن عبد الله، الورقات، تحقيق: د. عبد اللطيف محمد العبد.
- ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله، مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، ط1، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة.
- البغدادى، علي بن عقيل، (1999)، الواضح في أصول الفقه، ط1، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
- البيهقي، أحمد بن الحسين، (2003)، السنن الكبرى، ط2، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ابن بطال علي بن خلف، (2003)، شرح صحيح البخاري، ط2، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض.
- أبو البقاء الحنفي، أيوب بن موسى، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- التميمي، محمد بن خليفة، (1999)، معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، ط1، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد، (1418هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ط1، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (1980)، مقدمة في أصول التفسير، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام، (1997)، درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية - بيروت.

الثعلبي، أحمد بن محمد، (2002)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ط1، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

الجربوع، عبد الله بن عبد الرحمن، (2003)، أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، ط1، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، (2009)، دَرْجُ الدُّرَرِ فِي تَفْسِيرِ الْآيِ وَالسُّورِ، ط1، دار الفكر - عمان، الأردن.

ابن جرير الطبري، محمد بن جرير، (1387هـ)، تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: 369هـ)، ط2، دار التراث - بيروت.

ابن جرير الطبري، محمد بن جرير، (2000)، جامع البيان في تأويل القرآن، ط1، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة.

الخادمي، نور الدين بن مختار، (2001)، علم المقاصد الشرعية، ط1، مكتبة العبيكان. الخطابي، حمد بن محمد، (1932)، معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، ط1، المطبعة العلمية - حلب.

الخمس، محمد بن عبد الرحمن، (2004)، شرح الرسالة التدمرية، دار أطلس الخضراء. أبو داود، سليمان بن الأشعث، (2009)، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد

- الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- الرحيلي، حمود بن أحمد، (1424هـ)، *تحصين المجتمع المسلم ضد الغزو الفكري*، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة (35) العدد (121).
- رضا، محمد رشيد، (1990)، *تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)*، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الرقب، صالح وبخيت، محمد حسن، (2006)، *العقيدة في الله عز وجل*، ط1، الجامعة الإسلامية - كلية أصول الدين، غزة- فلسطين.
- الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، *مجلة البحوث الإسلامية* - مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
- الريسوني، أحمد، (1992)، *نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي*، ط2، الدار العالمية للكتاب الإسلامي.
- الزحيلي، محمد مصطفى، (2006)، *الوجيز في أصول الفقه الإسلامي*، ط2، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - سوريا.
- السجزي، عبيد الله بن سعيد، (2002)، *رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت*، ط2، تحقيق: محمد باكريم باعبد الله، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.
- ابن سليمان، عبد الرحمن بن حسن، (1991)، *المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد*، ط1، دار الهداية للطباعة والنشر والترجمة.
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى، (1997)، *الموافقات*، ط1، دار ابن عفان.
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى، (2008)، *الاعتصام*، ط1، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.
- الشوكاني، محمد بن علي، (1414هـ)، *فتح القدير*، ط1، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب

- دمشق، بيروت.

الشوكاني، محمد بن علي، (1984)، إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوت، ط1، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية - لبنان.

الصاعدي، حمد بن حمدي، (2003)، المطلق والمقيد، ط1، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

صوفي، عبد القادر بن محمد، (1423هـ)، المفيد في مهمات التوحيد، ط1، دار الاعلام. ضميرية، عثمان جمعة، (1996)، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، ط2، تقديم: الدكتور/ عبد الله بن عبد الكريم العبادي، مكتبة السوادى للتوزيع.

الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير للطبراني، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د/ سعد بن عبد الله الحميد ود/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي.

الطبري، هبة الله بن الحسن، (2003)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ط8، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة - السعودية.

الطيّار، مساعد بن سليمان، (1423هـ)، فصول في أصول التفسير، ط2، تقديم: د. محمد بن صالح الفوزان، دار ابن الجوزي.

الطبي، الحسين بن عبد الله، (2013)، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطبي على الكشاف)، ط1، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، القسم الدراسي: د. جميل بني عطا، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم.

ابن عاشور، محمد الطاهر، (1984)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر - تونس.

ابن عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله، (1984)، التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ط1، دار

- طبية، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- ابن عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله، (2002)، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، ط1، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق.
- آل عبد اللطيف، عبد العزيز بن محمد، (1422هـ)، التوحيد للناشئة والمبتدئين، ط1، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية.
- ابن أبي العز، محمد بن علاء الدين، (1418هـ)، شرح العقيدة الطحاوية، ط1، تحقيق: أحمد شاكِر، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد.
- عزت، دروزة محمد، (1383هـ)، التفسير الحديث (مرتب حسب ترتيب النزول)، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة.
- علي، محمد أمان بن علي جامي، (1408هـ)، الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، ط1، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.
- العنزي، عبد الله بن يوسف، (1997)، تيسير علم أصول الفقه، ط1، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
- ابن فارس، أحمد بن فارس، (1979)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.
- ابن فارس، خير الدين بن محمود، (2002)، الأعلام، ط15، دار العلم للملايين.
- الفاسي، علال، (1993)، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، ط5، دار الغرب الإسلامي.
- ابن الفراء، الحسين بن مسعود، (1983)، شرح السنة، ط2، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت.
- ابن الفراء، محمد بن الحسين، (1990)، العدة في أصول الفقه، ط2، حققه وعلق عليه

- وخرج نصه: د أحمد بن علي بن سير المباركي، الأستاذ المشارك في كلية الشريعة بالرياض - جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية.
- فخر الدين الرازي، محمد بن عمر، (1420هـ)، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ط3، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد، (1418هـ)، محاسن التأويل، ط1، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت.
- القشيري، عبد الكريم بن هوازن، لطائف الإشارات = تفسير القشيري، ط2، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر.
- القفاري، ناصر بن عبد الله، (1414هـ)، أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية - عرض ونقد -، ط1.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (1997)، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الدواء والدواء، ط1، دار المعرفة - المغرب.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، دار الكتب العلمية - بيروت.
- مجاهد، مجاهد بن جبر، (1989)، تفسير مجاهد، ط1، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر.
- مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، (1993)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط1، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.
- المروزي، منصور بن محمد، (1997)، تفسير القرآن، ط1، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية.
- مصطفى، إبراهيم والزيات، أحمد وعبد القادر، حامد والنجار محمد، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.
- المطري، مشاري سعيد، (2014)، آراء محمد رشيد رضا العقائدية في أشراف الساعة الكبرى

- وآثارها الفكرية، رسالة ماجستير بكلية الشريعة (قسم أصول الدين تخصص العقيدة) جامعة آل البيت بعمان بإشراف د محمد خير العمري ونوقشت 2013، ط1، مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع، الكويت.
- مقاتل، مقاتل بن سليمان، (1423هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، ط1، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت.
- المقدسي، عبد الغني بن عبد الواحد، (1993)، الاقتصاد في الاعتقاد، ط1، تحقيق: أحمد بن عطية بن علي الغامدي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، (1414هـ)، لسان العرب، ط1، دار صادر - بيروت.
- أبو المظفر، طاهر بن محمد، (1983)، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، ط1، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب - لبنان.
- الناصر، محمد المكي، (1985)، التيسير في أحاديث التفسير، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان.
- النسائي، أحمد بن شعيب، (1986)، المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، ط2، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب.
- النملة، عبد الكريم بن علي، (1999)، المَهْدَبُ في عِلْمِ أَصُولِ الْفَقْهِ الْمُقَارَنِ (تحرير لمسائله ودراستها دراسة نظريّة تطبيقية)، ط1، مكتبة الرشد - الرياض.
- ابن الوزير، محمد بن إبراهيم، (1994)، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ط3، حققه وضبط نصه، وخرج أحاديثه، وعلّق عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

سؤال الهوية في القرآن الكريم

د. عثمان مصباح

أستاذ محاضر مؤهل بالأكاديمية الجهوية

الرباط

Alfitra01@yahoo.fr

© نُشر هذا البحث وفقاً لشروط الرخصة Attribution international (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أجريت عليه.

للاقتباس: مصباح، عثمان، سؤال الهوية في القرآن الكريم، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، عدد خاص للمؤتمر القرآني الدولي الثالث المجلد (2)، سبتمبر 2025: 285-315.

DOI: <https://doi.org/10.61821/3rdconfv2.0210>

الملخص:

هذه مقارنة لاستجلاء الجواب القرآني عن سؤال الهوية، وهو السؤال الذي يطرح اليوم بمناسبة الانتماءات التي اعتقلت القبائل والشعوب في تصنيفات إثنية وثقافية وسياسية أدخلت العالم في متاهة من التوترات والحروب لا مخرج منها في المدى المنظور، جعلت الناس في شك من كل الشعارات الإنسانية، والمؤسسات الدولية الناطقة باسمها، لفشلها في تأمين الشراكة العادلة لكل الأمم؛ اعتمد هذا البحث على تتبع المصطلحات المفتاحية في سياقاتها القرآنية، وعلى السُّنن ذات العلاقة، وعلى أهم النماذج التاريخية التي عرضها القرآن في قصص الأنبياء؛ انطلقت المقاربة من ثنائية الاستخلاف والاختلاف، وتوصلت إلى نوعين من الهويات: الهوية الفطرية ذات الأصل الإلهي، والهوية القطرية التي يسطعها المترفون لمستضعفيهم في إطار وثني، يتم فيه تحويل الولاء الأعلى من رب العالمين، وهو ما تقتضيه الفطرة، إلى ولاء حصري تحريضي موهوم خادماً للكبراء، وهو نفسه الإطار الوطني في لسان عصرنا. ونضال الأنبياء كان في حقيقته ضد أولئك المحتكرين للنعمة الإلهية المتمثلة في خلافة الأرض، والتي رُشح لها الإنسان من حيث هو إنسان، وقد استهدفوا عليهم السلام تحرير الناس من ذلك الإطار الوثني المعزز بسرديات أسطورية، عن طريق البيان، والذي لم يكن في حقيقته إلا بياناً إلهياً لهوية الإنسان الفطرية، وهي الهوية الجامعة لكل الشعوب، والمقتضية للشراكة العادلة، لهذا جاء القرآن حكاية لذلك الكفاح المبارك المتصل بزمان كان الناس فيه أمة واحدة.

الكلمات المفتاحية: الهوية، الاستخلاف، الاختلاف، الفطرة، المترفون.

A Matter of Identity in the Holy Quran

Dr. OTMANE MESBAH

Leading Professor at the Regional Academy

Rabat

©This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.

Citation: MESBAH, OTMANE, A Matter of Identity in the Holy Quran, Journal of the University of Holy Quran and Islamic Sciences, Special Issue of the third International Qur'anic Conference, Volume (2), September 2025:285-315.

DOI: <https://doi.org/10.61821/3rdconfv2.0210>.

Abstract:

This study explores the Qur'anic answer to the question of identity, a question that has become increasingly urgent in light of contemporary affiliations that have imprisoned tribes and nations within ethnic, cultural, and political categories. These categories have plunged humanity into a maze of tensions and conflicts, undermining faith in universal human ideals and the international institutions they embrace, given their failure to ensure a just partnership among all peoples. Drawing on the basic Qur'anic terms in their original contexts and the pioneering historical models in the stories of the prophets, this study uses the concepts of "caliphate" and "dispersion" as its analytical framework. This article identifies two main forms of identity: authentic identity, bestowed by God, and artificial identity, constructed by the powerful to subjugate the weak within a pagan system. In this system, innate loyalty to the Lord of the Worlds is replaced by an exclusive, aggressive loyalty, similar to modern concepts of nationalism and patriotism. The struggle of the prophets was, in reality, against those who monopolized the divine blessing of the vicegerency of the earth, to which man was nominated as a human being. The prophets aimed to liberate people from that pagan framework reinforced by mythical narratives, through a statement that was, in reality, nothing more than a divine statement of man's innate identity, which is the identity that unites all peoples and

requires just partnership. For this reason, the Qur'an came as a narration of that blessed struggle connected to a time when people were one nation.

Keywords: Identity – Caliphate (deputy) – Ikhtilaf (dispersion) – Fitra (First position) – Mutrafun (Elites).

المقدمة:

الهوية لغة: مصدر صناعي مشتق من ضمير الغائب (هو)⁽¹⁾، وهو اشتقاق قديم ظهر في سياق مشروع الترجمة زمن العباسيين، قال أبو نصر الفارابي (ت: 339هـ / 950م): "هوية الشيء، وعينيته، ووحدته، وتشخصه، وخصوصيته، ووجوده المنفرد له: كل واحد، وقولنا: (إنه هو)، إشارة إلى هويته وخصوصيته ووجوده المنفرد له، الذي لا يقع فيه اشتراك"⁽²⁾، والهوية بهذا المعنى تطلق "في مُقَابَلَةِ الغيرية"⁽³⁾، ومن هاهنا استمدت الاستعمالات المعاصرة، يقول بيتر كونزن Peter Conzen: "نشأ مفهوم الهوية بالأصل من الفلسفة، ويصف منذ أرسطو ظاهرة النفس، بقاء الشيء نفسه، أو الموضوع ذاته، أو المفهوم نفسه على حاله"⁽⁴⁾، و"قلما يوجد مفهوم من المفاهيم النفسية لاقى من الانتشار في لغة الحياة اليومية أكثر من مفهوم (الهوية)"⁽⁵⁾، ففي المجتمعات العصرية يطلق هذا اللفظ في كل لغات العالم على "بطاقة يُنَبِّئُ فيها اسم الشخص وتاريخ ميلاده ومكان مولده وجنسيته وعمله، وتسمّى البطاقة الشخصية أيضاً"⁽⁶⁾.

أما في العلوم الاجتماعية فيُقرن لفظ الهوية بالفرد كما يقرن بالجماعة، ويعتبر عالم النفس إيريك إريكسون (1902 – 1994) أول من طور مبحث الهوية، وهو يطلق "على

(1) عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، 3/ 2372.

(2) الفارابي، أبو نصر، التعليقات، 63.

(3) نكري، الأحمّد، دستور العلماء، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، 3/ 330.

(4) كونزن، بيتر، البحث عن الهوية، الهوية وتشتمها في حياة إيريك إريكسون وأعماله، 93.

(5) نفسه، 91.

(6) معجم اللغة العربية المعاصرة، 3/ 2372.

هيئة الفرد التي لا تخطئها العين، الملحوظة للخارج تسمية «الهوية الشخصية»⁽¹⁾، ولعل هذا المستوى الظاهر من الهوية هو المعتبر فيما يسمى اليوم بالبطاقة الشخصية، "إلا أن إريكسون غالبا ما يتحدث عن هوية الأنا بمعنى إحساس شخصي، إنها (خبرة أنا)، الشعور بأني شخصية متصلة، محددة، أمتلك جسدي وقواي الذهنية، فاعل وقادر على اتخاذ القرار"⁽²⁾، يقول: "ما نريد هنا تسميته بهوية الأنا يقصد به أكثر من مجرد حقيقة الوجود المكتسب من خلال الهوية الشخصية، إنها نوعية الأنا"⁽³⁾ الناتجة عن خبرة الفرد المتجذرة في تقاليد جماعته⁽⁴⁾، ولهذا عرف أصحاب (معجم علم النفس والتحليل النفسي) الهوية بأنها "صيغة الوعي النفسي بالذات (الأنا) عبر الآخر، ومن هنا كانت المراهقة ميلادا جديدا تحاول الهوية أن تكتسب فيها دورها الاستقلالي"⁽⁵⁾، وهذا يعني أن شعور الفرد بنفسه وتميز ذاتيته يتحققان شيئا فشيئا عبر سيورة التنشئة الاجتماعية، والتي يستمد الإنسان من خلالها هويته الخاصة، وهكذا تكون هوية الفرد - مع مغايرتها لباقي الهويات الفردية - اشتقاقا من هوية اجتماعية مغايرة لهويات اجتماعية أخرى، فهي دالة على ذاتيته المتفردة وعلى انتمائه الاجتماعي في الوقت نفسه. وبهذا تكون الهوية الجماعية هي أساس الهوية الفردية، وهي شرط تشكيلها.

ومصطلح الهوية وإن كان حديثا، إلا أن المسألة التي يعبر عنها قديمة قدم الإنسان، إذ كانت الوقود لصراعات دامية، وغالبا ما عملت الهويات الفرعية على تفتيت الهوية الأم، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ، فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: 52-53]، ولقد تبادت بالناس العصبيات

(1) البحث عن الهوية: 94.

(2) نفسه: 95.

(3) نفسه: 96.

(4) نفسه: 94.

(5) عبد القادر طه، فرج وآخرون، معجم علم النفس والتحليل النفسي، 480.

حتى نسوا هويتهم الإنسانية الجامعة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1]

وهذا النداء الرباني وأمثاله في القرآن دال دلالة صريحة على أن الناس غداة البعثة الحمديّة كانوا يعرفون أنفسهم من خلال تحيزات عرقية ودينية وسياسية، شكلتها ثقافات موروثية ترسخ هويات تزعم الاستثنائية، وتبرر التمييز العدواني، وتبيح في مجال القيم الكيل بمكيالين، وتفتح الباب مشرعا أمام حرب الكل ضد الكل.

في هذا السياق تناول القرآن الإشكال المتمثل في خضوع الإنسان لحتمية الهويات الموروثة، تلك التي كانت تفرض التزاما قوميا لا انفكاك عنه يترتب على الفرد بمجرد الميلاد والنشأة، ومن أحسن شواهد الشعر الجاهلي على هذه الحال قول دريد بن الصمة⁽¹⁾:

وَمَا أَنَا إِلَّا مِنْ عَزِيَّةٍ إِنَّ عَوْتُ
عَوَيْتُ وَإِنْ تَرَشَّدَ عَزِيَّةٌ أَزْشُدْ

فما الذي جعل الخطاب القرآني يا ترى مقنعا لشعوب نشأت على العصبية الجاهلية أن تنخرط في تجربة تاريخية جديدة تحت عنوان عابر للقوميات هو عنوان (الأمة المسلمة)؟ وكيف كان الجواب القرآني على مسألة الهوية؟ وكيف شخص أزمته في المجتمعات التي عاصرتها الدعوة الحمديّة؟ وماذا يفيدنا ذلك من بصائر فيما يخص واقع المسلمين، وفيما يتعلق بالصراعات العالمية في الزمن الحاضر؟

يحتاج الجواب على إشكالات هذه الورقة إلى الوقوف على مفهومين تأسيسيين هما: الاستخلاف والاختلاف، ذلك أن القرآن يقسم التاريخ الإنساني إلى مرحلتين متميزتين، نص عليهما في قوله: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِّي بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: 19]

فما حقيقة الاختلاف الذي قضى على وحدة الناس الأولى؟ وما صلته بظهور مشكل الهويات؟ وكيف كان الناس قبل اختلافهم؟

(1) دريد بن الصمة، ديوان دريد بن الصمة، 62.

المبحث الأول

الإنسانية من الاستخلاف إلى الاختلاف

واضح من آية الوحدة والاختلاف في سورة يونس أن الشرور التي أشقت البشرية في المنظور القرآني ظهرت في مرحلة الاختلاف، ولولا أن الله الذي لا يحب الفساد أجّل الحساب إلى يوم القيامة لحسم هذا الاختلاف حسماً باتاً، لكن رحمته تعالى اقتضت إمهال الناس، وإرسال رسل يرشدونهم إلى المخرج من مآزق الاختلاف: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: 213]

والحديث عن هوية الإنسان في المرحلتين، يقتضي منا التعريف بمفهوم الاستخلاف والاختلاف.

أولاً- مفهوم الاستخلاف:

الاستخلاف هو: اتخاذ خليفة تكون له سلطة نيابية، والإنسان كما تم تعريفه في المأ الأعلى هو خليفة في الأرض: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ﴾ [البقرة: 30] قال الراغب الأصفهاني: "الخليفة: النيابة عن الغير؛ إما لغيبة المنوب عنه، وإما لموته، وإما لعجزه، وإما لتشريف المستخلف، وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أوليائه في الأرض"⁽¹⁾.

وما دام الله هو الملك الحق فإن الخلافة في الأرض هي مُلك بالنيابة عن الملك الحق، مخول لأمة من الناس، وفق عهد وميثاق، على سبيل الاختبار⁽²⁾: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: 14]، والاستخلاف تكليف جماعي لا فردي، فلا خلافة دون أمة.

(1) الأصفهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن، 294.

(2) خصصت في كتابي: (مدخل قرآني إلى القرآن الكريم: مساهمة في إحياء الذكر وتحديد الفكر) فصلاً لمقاربة مفهوم الخلافة في القرآن، وناقشت ما ثار بشأنها من جدل في تراثنا.

والخلافة في القرآن حقيقة تاريخية وقعت على ثلاثة أوجه:

في المرحلة الأولى من تاريخ الإنسان وقعت بمقتضى الفطرة، وكان الناس كلهم فيها شركاء، إذ كانوا أمة واحدة.

ثم تكرر وقوعها مع عدد من الأنبياء الذين بعثوا في القرى الظالمة بعدما أهلكها الله، وكانت الخلافة مستحقة بمقتضى الإيمان، فقد قال هود لقومه عاد: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [الأعراف: 69]، وقال صالح لثمود: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾ [الأعراف: 74] والمقصود أن الله جعل آباءهم الأولين خلفاء، لأنهم كانوا مؤمنين، لكن جاء بعدهم من نقض العهد وبدل، كما يشير إليه قوله تعالى في قصة قوم نوح: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَبِّئْهُمْ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلِيفَ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ. ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ [يونس: 73-74]

ثم صارت الخلافة في الملة الإبراهيمية وعدا للمستضعفين من المؤمنين بمقتضى سنة المدافعة لا سنة الإهلاك: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: 251]

ثانياً- مفهوم الاختلاف:

ورد الاختلاف في القرآن بشتى تصاريفه منسوباً إلى الناس على سبيل الوصف والتقدير، أو على سبيل النفي والتحذير في أربع وثلاثين موضعاً⁽¹⁾، وكل تلك الموارد جاء الاختلاف فيها مذموماً. إلا أن المفهوم القرآني للاختلاف ذو مواصفات محددة، يمكننا الوقوف عليها بالنظر في السياقات التي ورد فيها لفظ الاختلاف، أو السياقات التي تشبهها، وأهم تلك المواصفات:

(1) اعتمدت في هذا الإحصاء محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة خلف

1- أنه اختلاف في الحق بعدما تبين: ﴿وَأَتَيْنَهُمُ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ﴾ [الجاثية: 17]

2- أنه اختلاف لأجل الدنيا والتنازع على الملك، ولذلك علله القرآن بالقول: ﴿بَعِيًّا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: 213] [الجاثية: 17] [آل عمران: 19]

وفي معنى (البغي) قال أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ) ملخصاً أقوال بعض قدماء المفسرين: "اختلفوا فيه الاختلاف الذي هم عليه، تعدّيّاً من بعضهم على بعض، وطلب الرياسات والملك والسلطان"⁽¹⁾، "وكان ذلك كله من قبل الذين أوتوا العلم، بغيّاً بينهم على الدنيا، طلباً لسلطانها، وملكها، وخزائنها، وزخرفها، فسلب الله عليهم جبارتهم"⁽²⁾.

3- أنه اختلاف مقترن بالتفرق الذي يهدم قواعد العيش المشترك ويؤدي إلى الاقتتال: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا أَكُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: 31-32]، وقال سبحانه بعد أن عمّ وحصّ في ذكر الرسل: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: 253]

ثالثاً- بين الاستخلاف والاختلاف:

تبين مما سبق أن مؤسسي الاختلاف أهل أهواء، كل حزب منهم يخوض خصومتين: خصومة فكرية مع الأصل المشترك الجامع على الحق والعدل، وهذا من استكبارهم، وخصومة سياسية مع منافسيهم في الاستئثار بالدنيا، أو مع من يحول بينهم وبين الاستبداد بالملك، وهذا من عدوانهم، ومن اجتماع الكبر والعدوان، يتولد البغي والسعي في الأرض فساداً، وهكذا يتم إحلال هويات جزئية وحزبية محل هوية كانت مشتركة.

فالاختلاف والاستخلاف إذن يقعان على طرقي نقيض، خلافة الأرض شراكة في النيابة عن الملك الحق، والاختلاف نيابة الغالب عن المغلوب على سبيل القهر، كحال الليل

(1) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، 6/ 276277.

(2) نفسه، 6/ 278.

والنهار، لا يحضر أحدهما إلا بتغيب الآخر.

والعجيب أن الفقيه اللغوي أحمد بن فارس (ت: 395هـ) رد الاختلاف والاستخلاف إلى أصل واحد، ثم قال في شأن المختلفين: "لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُنَجِّي قَوْلَ صَاحِبِهِ، وَيُقِيمُ نَفْسَهُ مُقَامَ الَّذِي نَحَاهُ"⁽¹⁾، وهذا المعنى الذي استنتجه ابن فارس من استقراء استعمالات العرب هو نفسه المعنى المقصود في القرآن، وعليه جرى اصطلاحه.

(1) ابن فارس، أحمد، مقاييس اللغة، 2/ 210213

المبحث الثاني

الإنسان بين الهوية الفطرية وهويات الاختلاف

فَطَرَ الْأَمْرَ لُغَةً بمعنى ابتدأه⁽¹⁾، فالفطرة إذن هي الهيئة الابتدائية، وقد أتينا سابقا بما يفيد من القرآن أن الناس كانوا في مبتدأ التاريخ أمة واحدة، ثم اختلفوا، فهل يكون معنى ذلك أن الاختلاف كان خروجاً نهائياً عن الفطرة؟ وهل كان إنسان الفطرة كائناً مغايراً لإنسان الاختلاف؟ وهل المغايرة بين المرحلتين كانت بسبب طفرة جينية أفادت الإنسان قدرة عقلية على اجترار خيارات حياتية متعددة؟ أم أن الإنسان هو الذي صمم الخروج من طور الفطرة تصميمًا بعد أن عاشه عن وعي واختيار؟

أولاً: مفهوم الفطرة

مفهوم الفطرة من المفاهيم الدينية والفلسفية المعضلة، ففي منظور الفلاسفة تدل على وضع ميتافيزيقي أو افتراضي، وفي منظور المؤرخين تنتمي عند بعضهم إلى ما قبل التاريخ، أو إلى التوحش والبداءة، وفي منظور علماء الدين هي شأن غيبي ملغز، وقد تنازع فيها الخصماء الذين رأوا فيها تعبيراً عن البراءة الأولى، فحملها كل طرف على المعنى الذي يجعلها شاهدة على صحة مذهبه الديني أو الفلسفي.

وقد سبق لي أن تناولت تاريخ هذا المفهوم في سياقه الإسلامي في دراسة أكاديمية⁽²⁾ كشفت فيها عن الملابس السياسية والفكرية التي أدخلته في حالة من الفوضى والاستغلاق، وقد وصف ابن قيم الجوزية الاختلاف في الفطرة فقال: "هذا موضع اضطربت فيه الأقدام، وطال فيه النزاع والخصام"⁽³⁾، وهذا الاختلاف يمثل نموذجاً ممتازاً للأساليب الفكرية التي يستعملها الكتّابيون لتفتيت الهوية الجامعة، وتأسيس هويات فرعية على أنقاضها.

(1) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مادة فطر.

(2) مصباح، عثمان، مفهوم الفطرة: دراسة نقدية لمقالات الإسلاميين.

(3) ابن قيم الجوزية، شمس الدين، أحكام أهل الذمة، 2/ 945.

وقد أعدت تناول مفهوم الفطرة في دراسات لاحقة حيث اكتفيت بمنطوق النص المؤسس، ومنطقه الداخلي، وتوصلت أخيراً إلى تعريف للفطرة التي فطر الله الناس عليها كما يلي: "الفطرة هي ما ابتدأ الله عليه الناس خلقاً وتعليماً واستخلاقاً"⁽¹⁾، وهذا الأمر تحقق على هذا الوجه في المرحلة الأولى من تاريخ الإنسان كما يحكيه القرآن، والأنبياء عليهم السلام ابتداءً من نوح إنما جاؤوا لرد الناس إلى ذلك الأمر الأول.

ومجموع الأعمال الابتدائية التي أعطت الفطرة الإنسانية يمكن ترتيبها كالاتي:

- عملية الخلق: وفيها خلق الله الإنسان بيديه من طين الأرض، ثم سواه، أي أتم هيئته البيولوجية الحية في صورة البشر البالغ، ثم نفخ فيه من روحه تأهيلاً للخلافة.
 - عملية التعليم: وفيها تم تعليم الأسماء كلها، فاكتملت في الإنسان الأول كفاءته النظرية.
 - التأهيل العملي: من خلال تجربة الجنة التي كان مقصودها تعريف الإنسان بسوءتيه الباطنة والظاهرة، والدلالة على عداوة إبليس وكيده.
 - الإرشادات الموجهة إلى بني آدم الذين كونوا الأمة الأولى، وهي المذكورة في سورة الأعراف بعد قصة الجنة.
 - إذا زدت على ذلك الغاية التي لأجلها خلق الله الإنسان وعلمه، ألا وهي الاستخلاف، ستكتمل لديك صورة الفطرة التي فطر الله الناس عليها.
- والحاصل أن الفطرة التي فطر الله الناس عليها ليست غريزة محضة، أو برجة جينية خالصة، ولا هي معطاة بمجرد الولادة، ولا هي الطبيعة كما ترد في الخطاب الفلسفي والعلمي، ولا هي حدث ميتافيزيقي خارج التاريخ، بل هي مجموع الأعمال الإلهية الحكيمة التي أعطت أول إنسان مؤهل لخلافة الأرض، والذي نجح في تأسيس أول أمة مستخلفة، فكان الناس يومئذ على خير حال، إلى أن وقع بينهم الاختلاف، ففترقوا واقتتلوا.
- ورد الناس من حيث الانتماء إلى ما كانوا عليه قبل الاختلاف هو وظيفة الأنبياء،

(1) مصباح، عثمان، نظرية في مقاصد القرآن: نحو إعادة تأسيس العقل، 620/2. وانظر لنفس المؤلف، مدخل قرآني إلى القرآن الكريم: مساهمة في إحياء الذكر وتحديد الفكر، 6279.

ولذلك خاطب الله محمدا صلى الله عليه وسلم قائلا ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ، مُبِينٌ إِلَيْهِ وَآتَوْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْءًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: 30-32]

ثانياً: الهوية الإنسانية في مرحلة الاختلاف

حين كاد إبليس الإنسان أول مرة كان يواجه فردا، لكنه في المرة الثانية كان إزاء أمة محكمة البناء، فاجتهد في اختراق هذه اللحمة الاجتماعية المتماسكة من خلال النخبة الخائنة، غير أن استراتيجية الإغواء بقيت هي هي: ﴿هَلْ أَذُنُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْجَنَّةِ وَمُتْلِكٌ لَا يَبْلَى﴾ [طه: 120]، وهو ما يعني في هذا السياق الاستفراد الاقتصادي، والاستبداد السياسي، وإحداث شرخ اجتماعي تتدلى منه الأغلبية إلى الحضيض.

وبهذا كسب إبليس موالين من بني آدم لهم قوة ونفوذ، يستعين بهم على إغواء الجماهير، ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا. رَبَّنَا إِنَّا إِتَقَمْنَا لَنَا مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَاءِ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: 67-68]

فكيف تم بناء النموذج المضاد الذي يسميه القرآن (الطاغوت)، ذاك الذي صار في عصور الاختلاف بديلا عن نموذج الاستخلاف؟

1- قراءة في أول اختلاف ظهر في الأرض: الأمة التي أخرجت البشرية من الوحدة إلى الاختلاف هم قوم نوح، وقد حملهم الله مسؤولية هذا التأسيس حين قال: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى. وَنُوحًا فَمَا أَبْقَى. وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَى﴾ [النجم: 50-52]

وقصة نوح عليه السلام مع قومه حُكِيت في القرآن من خلال مشهدين: مشهد يواجه فيه سادة القوم، ومشهد يتوجه فيه إلى المستضعفين من قومه، وهم السواد الأعظم الخاضع لسلطة السادة.

والعجيب أن المشهد الأول هو الذي نجد فيه جدلاً حامياً، وصوتاً مسموعاً من

الطرفين، أما المشهد الثاني فنرى فيه نوحًا كأنه يكلم نفسه، وكأنه يخاطب قومًا خُرسًا، حتى رفضهم عبروا عنه تعبيرًا ميميًا: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا. فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا. وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ بِتِءَادَائِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: 5-7]

وسر ذلك ظهر حين: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ [نوح: 21] فهم إذن مجرد أتباع لا رأي لهم بالأصالة، أقوالهم ليست أقوالهم، وأفعالهم محض طاعة، تمرسوا بالخضوع المطلق للسلطة الذين جمعوا بين قوة المال وقوة العصبية الحامية، وهنا وجب أن نسأل:

كيف تحول الإنسان الفطري خليفة الله في الأرض إلى هذا الكائن البشري المثير للشفقة، والذي ضُربت عليه الذلة والمسكنة؟ أو بتعبير إتيان دو لا بويسيه (1530-1563م) Étienne de La Boétie : "أيُّ شؤم هذا الذي استطاع أن يُخرج الإنسان عن طبيعته، وهو الكائن الوحيد الذي ولد حقا لكي يعيش حرا، وأن يُنسيه ذكرى وجوده الأول، والرغبة في استرجاعه؟!"(1).

علينا الآن أن نستحضر السُنة التاريخية التي أكد عليها القرآن، والتي تُرافق دائما لحظة الانقلاب على الأمة المستخلقة، ألا وهي سنة البغي، وهي عملية دموية تتم في وضوح النهار، تصادر سيادة الأمة، وتطيح بها من مقامها العالي ليحتله حلفاء إبليس الذين استهواهم الوعد الشيطاني بشجرة الخلد وملك لا ييلي.

وهذه السُنة يعرفها حق المعرفة من تتبعها في القرآن، وهذا النبي صلى الله عليه وسلم وهو أول دارس للقرآن يخبرنا: «مَا كَانَتْ نُبُوءَةٌ قَطُّ إِلَّا كَانَ بَعْدَهَا قَتْلٌ وَصَلْبٌ»(2)، ولم يستثن أمته من ذلك إذ قال: «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لِيُلْهَا كَنْهَارُهَا لَا يَرِيْعُ عَنْهَا

(1) دو لا بويسيه، إتيان، العبودية المختارة، 40 .

(2) الطبراني، أبو القاسم، المعجم الكبير، 1/ 115.

بَعْدِي مِنْكُمْ إِلَّا هَالِكٌ، وَإِنَّهُ مَنْ يَعْشُ مِنْكُمْ يَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا»⁽¹⁾، ولهذا رأيناه في وصيته لأتمته يحذر بشدة من الوقوع في هذه الهاوية تحذير من يعلم بحتمية وقوع المحذور: «وَيُحْكُمُ، لَا تَرْجِعَنَّ بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»⁽²⁾.

بعد هذا السطو العلني المسلح ينتقل الباغي إلى خطوة تالية، حيث يجند صناع الرأي العام كالشعراء والكهان ومن يقوم مقامهم لبناء مشروعية تقوم مقام المشروعية السابقة، وقد عقد ابن خلدون فصلا في مقدمته بعنوان: "التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول"⁽³⁾، قرر فيه "أنّ الحاجة في أول الدولة إلى السيف ما دام أهلها في تمهيد أمرهم أشدّ من الحاجة إلى القلم"، وكذلك في آخر الدولة حيث تضعف عصبيّتها، "فيكون للسيف مزية على القلم في الحالتين، ويكون أرباب السيف حينئذ أوسع جاها، وأكثر نعمة، وأسنى إقطاعا، وأما في وسط الدولة فيستغني صاحبها بعض الشيء عن السيف، لأنّه قد تمهّد أمره، ولم يبق همه إلا في تحصيل ثمرات الملك".

لكن الفصل للأسف كان قصيرا جدا، ولم يتعمق الظاهرة، وبسبب نشأته الطائفية التي تجعل اختلاف الصحابة اختلافا منزها عن الذم القرآني، ولا تجري عليه سُنن التاريخ، وتجعل طاعة المتغلب بالسيف واجبا شرعيا، حتى وإن صادر سلطان الأمة، بل إن ابن خلدون يعتبر الدولة التي أقامها الرسول خلاف السنن الطبيعية، وأن العصبية بما يلزم عنها من بطش وبغي مسألة حتمية في تأسيس الدول.

أما القاضي الفرنسي (إيتيان دو لا بويسيه) فسلامته من الخلفية التي قيدت نظر ابن خلدون كان أكثر دقة في تشخيص أحوال الناس تحت سلطة المتغلبين إذ قال: "لكن الناس جميعا، ما دام لديهم شيء من الإنسان، لا يستسلمون للعبودية على وجه التحقيق إلا في

(1) نفسه، ص 18 / 257.

(2) البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، 8 / 160، رقم: 6785، كتاب الحدود وما يحذر من الحدود، باب ظهر المؤمن حمى إلا في حد أو حق.

(3) انظر الفصل الخامس والثلاثين من مقدمة ابن خلدون.

حالة من اثنين: إما أن يكونوا مكرهين، وإما مخدوعين⁽¹⁾، والإكراه والخداع هما المعبر عنهما في القرآن بالفتنة التي أمر الله بإزالتها، لأنها أشد من القتل، إذ القتل إعدام للحياة، أما الفتنة فهي إعدام للإنسانية الإنسان.

ويزيد (لا بويسيه) الأمر وضوحاً فيقول: "صحيح أن الناس في البداية يخدمون مكرهين ومقهورين بالقوة، غير أن الذين يأتون بعدهم، ولم يسبق لهم قط أن ذاقوا طعم الحرية ولا يعرفون ما هي، فيخدمون غير آسفين، ويقومون طوعاً بما قام به أسلافهم قسراً"⁽²⁾، لكنها طوعية المخدوعين الذين فتنهم كبرائهم بمكر الليل والنهار فزينوا لهم ما كان قبيحاً في أعين آبائهم المقهورين، وهذا ما يؤكد مؤرخ الحضارة ول ديورانت (ت 1981 م) بقوله: "حقاً إن الزمن ليخلع على كل شيء مسحة من قدسية، حتى أخبث السرقات قمين أن يبدو في أيدي أحفاد اللص الذي سرق ملكاً مقدساً لا يجوز عليه اعتداء؛ إن كل دولة تبدأ بالقهر، لكن سرعان ما تصبح عادات الطاعة هي مضمون الضمير، ثم سرعان ما يهتز كل مواطن بشعور الولاء للعالم"⁽³⁾.

لكن نوحاً عليه السلام كان أعمق في التعبير عن انخداع الجماهير المستضعفة حين قال: ﴿رَبِّ إِيْهُمْ عَصَوِيْ وَأَتَّبِعُوْا مَنْ لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَّوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًاۚ وَمَكَرُوْا مَكْرًا كُبَّارًاۚ وَقَالُوْا لَا تَذَرُنَّ ءَاۡهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وُدَّۙ وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعْقُوْقَ وَنَسْرًاۚ وَقَدْ أَضَلُّوْا كَثِيْرًاۖ﴾ [نوح: 21-24]

لقد مكر السادة مكرًا شيطانيًا خفيًا سحروا به أعين الناس، وطمسوا عقولهم، حتى صاروا لا يبصرون الحقيقة المرة كما هي، وإنما يرون في خضوعهم دينًا واجبًا لأصنام معبودة! إذن هناك أساطير ألفت بعد مرحلة السيف، وتم ترويجها بطريقة فنية بين المقهورين حتى

(1) العبودية المختارة، 43.

(2) نفسه: 45.

(3) ديورانت، ول جيمس، قصة الحضارة، 1/ 4546.

نجحت في جعلهم "يقومون طوعاً بما قام به أسلافهم قسراً"⁽¹⁾، ومن هذا الباب ذم الله الكهان والشعراء حيث قال: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ. تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ. يَقُولُونَ لَسَمِعَ وَكُتِرُهُمْ كُذِبُونَ. وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ. أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ. وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: 221-226]

وقد كشف القرآن عن مقاصد الشرك فبين أن السادة قصدوا من وراء لعبة الأصنام إلى تأسيس ولاء قوي يخدم مصالحهم، ويحكم سيطرتهم على الجمهور، فطلوه بطلاء القداسة التي تخفي وراءها أعظم نجاسة، وأصعدوا في هياكلها من بخور المرّ واللُّبان لطمس ما كان ينبعث من جرائم البغاة من الأنتان.

ومعلوم أن الولاء يتألف من ركنين متلازمين: المودة التي تؤلف بين الجماعة، والنصرة التي تدفع عنها الأخطار، وقد كان الولاء العام في مرحلة الفطرة لله وحده، وعبرة (الولاء لله) يقصد بها إضفاء القداسة على مركزية الأمة، كما سمي القرآن المال العام (مال الله)⁽²⁾.

والقرآن قد نص على مصطلح الولاء مراراً كما جاء في مقدمة الأعراف: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 3] وفي قوله: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: 9-10]، كما نص أيضاً على ركني الولاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ ۖ وَلَيَعْنُ بَعْضُكُم بَعْضًا ۖ وَمَا وَلَّيْتُ لَكُم مِّن نَّصِيرِينَ﴾ [العنكبوت: 25]، وفي قوله: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا. كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مریم: 81-82]

وإشارة نوح عليه السلام إلى المعبودات بأسمائها: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، يقصد به ذكر الأحزاب التي توزعت الولاء الذي كان في الأمة الأولى، فهذه الأحزاب ألغت

(1) نفسه.

(2) كما في قوله سبحانه: (وَأَنذَرْتَهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَتْكُم) [النور: 33].

التعريف الفطري للإنسان، بعد أن هدمت جنة الاستخلاف الأولى، واصطنعت هويات جديدة، لا تقبل التعايش فيما بينها إلا في إطار هدنة مؤقتة، فعدا الفرد يومئذ يعرف نفسه باعتباره من آل ود، أو من آل سواع، أو من آل يغوث، أو من آل يعوق، أو من آل نسر، تعريفا مرجعيا لا يعلى عليه.

بعد زمن الفطرة إذن صارت الهوية كأنها ملقاة في مهب رياح عاتية، تحت سحب سوداء، تطمس على الهوية المشتركة، فيغدو الناس كالأيتام على موائد اللثام، بل كالرقيق في سوق النخاسة، في انتظار أن يتفضل عليهم السادة بمرجعيات وثنية مفتعلة، وبذا صارت الهوية تصنعها اليد القوية.

واصطناع تلك المرجعيات هو في حقيقته الألوهة التي حولها الكفار عن الله، وجعلوها لأنفسهم في السر، ولأناداهم⁽¹⁾ في الظاهر صرفا للجماهير عن مبدأ الشراكة في الملك النيابي خلافة عن الله، وتجدد التنديد بهذه الجريمة الكبرى صريحا في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ، جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ، وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ، قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [إبراهيم: 28-30].

ومن أحسن ما يصور هذه اللعبة الشيطانية ما حكاه القرآن من خصومة أهل النار في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنَّنَا لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ. قَالِ الَّذِينَ اسْتُكْبِرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَكُمْ عَنْ الْهَدْيِ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ. وَقَالِ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتُكْبِرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا﴾ [سبأ: 32-33].

ولهذا كانت أول كلمة دعا إليها الرسل ابتداء من نوح تتعلق بمصدر القيم العليا: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يُقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: 59]

(1) الأنداد جمع ند وهو مركز الولاء القومي الذي أحل محل رب العالمين: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ) [البقرة: 165].

وعلى ذلك مضت سنة الله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطُّغُوتَ﴾ [النحل: 36]، لأن البديل عن رب العالمين، أرباب متفرقون يتلاعبون بالقيم، بحيث تصير لعنة على الضعفاء، وشقاء للإنسانية.

2- تجربة الاختلاف في المجتمعات الكتابية

قصة قوم نوح هي قصة كل الأمم الهالكة التي ظهرت من بعد، ولم تعرف تحولاً إلا على يد إبراهيم الخليل بعد أن جعله الله للناس إماماً، ثم أخذت شكلها السياسي الأول على يد موسى عليه السلام، ويدل على الفارق بين المرحلتين قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الْأَمْمَاتُ لَأَقْرَأَنَّكَ نَقْصُ عَالِيكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ. وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ. ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 101-103]

والفارق الأساسي بين المرحلتين يتمثل فيما يأتي:

- أن إبراهيم عليه السلام بعدما هاجر إلى الأرض المباركة كان أول من دعا إلى إخلاص الدين لله ونبذ الأصنام دعوة عابرة للقوميات.

- الأمم الهالكة كانت عبارة عن قري، أو ما يسمى بالدولة المدينة، أما فرعون فقد كان يحكم شعوباً متنوعة، فبعث الله إليه موسى ليحرر بني إسرائيل، فأبى خوف انتشار عدوى التحرير: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرِّيَّتِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: 26]

- أن إبراهيم وآله كانت دعوتهم دعوة كتابية، يتركون بعدهم مدونات مرجعية، خلافاً للرسائل الذين بعثوا في القري: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 54]

وإذا كان المشركون قد اختلفوا في الفطرة باتخاذ الأصنام القومية، فإن بني إسرائيل قد اختلفوا في الكتاب: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ [هود: 110] وذلك أن

أحزابهم تنازعت سلطة التفسير، هذا مع أن وظيفة الكتاب هي الحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وهو أمر مشروط بالبيان التام المغني عن التفسير، قطعاً للطريق على محاولات احتكار النطق باسم الله، والتقول عليه خدمة لمصالح شخصية أو حزبية: ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلٌ لَّهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: 79]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ. إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 159-160]

لاحظ كيف جعل البيان الذي طولبوا به هو عدم الكتمان، لا التفسير، فهو بيان بلاغ وتعليم، لأن الكتاب مبين بنفسه، نزل لكي يهدي إلى الحق، ولا هداية بكلام مجمل يتوقف على تفسير من خارج، ولهذا قال الله تعالى في وصف القرآن: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: 33]

وقد كان لترجمة الكتاب المقدس من اللغة اللاتينية إلى اللغات المحلية في أوروبا أثراً بالغاً على مصداقية الكنيسة الكاثوليكية التي كانت تحتكر نصه وتفسيره، فتبين للناس حينئذ أن كثيراً من مزاعمها لا وجود لها في الإنجيل، ولقد كان من أعجب العجب خلوه تماماً من الدعوة إلى اتخاذ الصليب، وهكذا أخذت سلطة الكنيسة في التراجع، مما يدل على أن التفاسير المزعومة إنما تبتغي التمكين لجهة على حساب جهات أخرى، توصلاً إلى حُطام الدنيا والرياسة فيها.

إذن الفرق بين اختلاف المشركين والكتابين - يهوداً ونصارى ومسلمين - هو من

جهتين:

- من جهة المعبود المتكلم باسمه: إذ هو عند المشركين الصنم القومي، وهو عند الكتابيين الله تعالى.

- من جهة المرجعية المختلف فيها: إذ هي عند المشركين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهي عند الكتابيين البيان الإلهي المنزل (التوراة، والإنجيل، والقرآن)، وهو تقرير للفطرة

على وجه التفصيل.

والحاصل أن النموذج الطاغوتي استطاع أن يتكلم باسم الله، وأن يستخدم كتابه في حكم الشعوب: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَالطَّعُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء: 51]

والعلماء الكتابيون الذين ذكروهم الآية يقولون صراحة أن النظام الطاغوتي أفضل في حكم الناس من نظام الشراكة الذي دعت إليه الرسل، لأن الجماهير كما يزعمون فوضوية، غير مؤهلة للمشاركة في الحكم، ولهذا كانوا يشبهونهم في تفاسيرهم بالبهائم الخاضعة لغرائزها، والمحرومة من فضيلة الحكمة، وكانت الآداب السلطانية تنعتهم بالعوام، والدهماء، وسفلة القوم، وتسمي القادة الشعبيين المطالبين بالحقوق مهرطقين، ومبتدعة، ومارقين، وخوارج، ودعاة فتنة.

بعد الإطاحة بنظام الاستخلاف في المجتمعات الكتابية صار النطق باسم الله حكرًا على الحاكم المستبد وأعوانه من رجال الدين، ولهذا تمخضت النزاعات السياسية على السلطة عن مذاهب عقائدية وفقهية، وصار المسيحي مثلاً لا يكفيه أن ينتسب إلى المسيحية، بل لا بد أن يصحح انتماءه بالانتساب إلى طائفة معينة، وكذلك المسلم لا يكفيه أن يقول أنا مسلم، إذ يعاجل بالسؤال عن انتمائه الطائفي، ومذهبه الفقهي، ثم يضاف إلى ذلك النسبة السياسية، وبهذه الشبكة يتم تخصيص الإنسانية في المجتمعات الكتابية، وتصنيع الهويات التي تيسر استتباع المستضعفين والسيطرة على عقولهم.

المبحث الثالث

أزمة الهوية في المجتمعات ما بعد الكتابية

لقد عبر القرآن عن أزمة الهوية في المجتمعات الكتابية بظهور اختلاف غير قابل للحل، وذلك بسبب إهدار الفرقاء للمرجعية المشتركة، وإحلال المذهبية الطائفية محلها، فصار كتاب الله تابعا لا متبوعا، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ ۖ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ ۖ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: 113]، ثم اختلفت النصارى كما اختلف بنو إسرائيل من قبلهم: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَى أَخَذْنَا مِنْهُمُ مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ فَأَعَزَّ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: 14]

ثم التحق المسلمون باليهود والنصارى، فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا، كل حزب بما لديهم فرحون، فمزق الله شملهم، وأهبطهم من عليائهم إلى حضيض الذلة والمسكنة، سنة الله التي لن تجد لها تبديلا، ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: 123]، وصدقت نبوءة رسول الله إذ قال: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شَبْرًا بِشَبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكَوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكَتُمُوهُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ!«⁽¹⁾.

أولاً- ظهور الهويات ذات المرجعية العلمانية

اعتبرت طلائع الحداثة رجال الدين خصوصاً لها، وشركاء لقوى الظلام والرجعية، فأقصوهم عن تدبير المجتمعات الحديثة، وهكذا ظهرت العلمانية من قلب فلسفة الأنوار رافعة شعارات إنسانية، من حرية ومساواة وأخوة، وواعدة بفردوس أرضي بدلا من الفردوس

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، 4/ 169، رقم: 3456، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، وأخرجه مسلم في صحيحه، 4/ 2054، رقم: 2669، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى.

السمائي. فقامت الليبرالية على أنقاض المجتمعات الإقطاعية، واستبشر الناس بهذه الموجة التحريرية من وطأة الجباية الذين ادعوا في الملك حقا إلهيا بمباركة من السلطة الدينية، فلما تمكنت الدول الليبرالية منذ القرن التاسع عشر الميلادي نكثت بعهودها التي أعلنتها باسم الإنسانية، واصطنعت لشعوبها هويات على المقاس، وزجت بهم في مغامرات استعمارية دموية، ومع سقوط آخر الإمبراطوريات تبلور في القرن العشرين ما يسمى اليوم بالهويات الوطنية، وسجل التاريخ بسبب من ذلك فصولا من المآسي لم يعرف لها مثل، فإذا بالبشرية أمام نفس الداء العضال الذي عرفته منذ القدم.

كتب المفكر الفرنسي أناتول فرانس (1844-1924م) مقالا في أعقاب الحرب العالمية الأولى عبر فيها عن صدمته بعد أن اكتشف الأسباب الحقيقية لتلك المأساة الكبرى فقال: "إن الذين ماتوا في هذه الحرب لم يعرفوا سبب موتهم. إنه الشيء نفسه في جميع الحروب. ولكن ليس بنفس الدرجة ... هذه المرة جهل الضحايا مأساوي. اعتقدنا أننا نموت من أجل وطننا؛ وإذ بنا نموت من أجل رجال الصناعة"⁽¹⁾.

وهكذا استرجع المترفون زمام الأمور، وأخفوا جرائمهم وراء واجهات ليبرالية براقية، وعوض أن يحرشوا بين الشعوب قائلين: (ضحوا من أجل أوطانكم) كما صنعوا قديما، قالوا لهم اليوم: (ضحوا من أجل أوطانكم)، فقامت الدعوة الشيوعية لفضح هذا المكر، واعدة بالخلاص من قبضة المترفين، وبتحرير الشعوب من سجن الهويات الوطنية في إطار شراكة أممية، فرفعت شعار: (يا عمال العالم اتحدوا)، باعتبار أن العمال كانوا يمثلون الطبقة المسحوقة في المجتمع الليبرالي، فلما نجحت الثورات الشيوعية في بعض البلدان إذ بها تحولها إلى معتقلات كبيرة، أخضعت فيها الشعوب لدعاية إيديولوجية قاسية، فجردت الأمم من تراثها وثرواتها، وضربت عليها أسوارا حديدية، وشغلت الناس بمطاردة لا تنتهي لوساوس البرجوازية.

ثانياً: تشخيص لأزمة الهويات الحديثة

من مفارقات التاريخ المعاصر أن كبار مفكري اليسار الذين فروا من جحيم النازية

(1) France, A. On croit mourir pour la patrie; L'Humanité. (pp. 210).

المستعلية بالهوية الجرمانية عوض أن يتوجهوا إلى الاتحاد السوفياتي فضلوا الاستقرار في الولايات المتحدة زعيمة العالم الليبرالي، وهم في غاية الإحباط من التجارب الشيوعية التي قامت يومئذ، وهذا الفيلسوف الألماني الهارب هربرت ماركوز (1898- 1979) Herbert Marcuse يعلن في يأس سنة 1964 سقوط الوعد الشيوعي بخلافة الرأسمالية، وينبه على العلة الدفينة لشقاء الأمم عبر التاريخ فيقول نقلا عن الاقتصادي الفرنسي فرانسوا بيرو (1903- 1987) François Perroux : "إن الجماهير الكادحة المتألمة، المخدوعة بالأمة [أي في المعسكر الرأسمالي]، والمخدوعة بالطبقة [أي في المعسكر الاشتراكي]، تكتوي في كل مكان بنار الصراع الذي ليس لها فيه من عدو غير السادة الذين يستغلون بمهارة أضاليل الصناعة والسلطة"⁽¹⁾.

أما الصراع الذي كان بين النظامين الشيوعي والرأسمالي فيصفه ماركوز على أنه كان يستهدف من الجانبين معا مقاومة "شكل من الحياة كفيل بنسف أسس السيطرة"⁽²⁾، يقول: "لا يمكن القول إن العدو هو الشيوعية الراهنة أو الرأسمالية الراهنة، فالعدو في كلتا الحالتين إنما هو في الحقيقة شبح الحرية"⁽³⁾.

فكيف أمكن إخضاع الإنسان في عصر العلم والتقدم لعبودية جديدة؟

يرى ماركوز أن الإنسان الحديث تم تذويبه في مجموع مؤطر بعناية فائقة، يعمل كآلة التي تستغرق في حركتها جميع أجزائها، بحيث لا تبقى مسافة بين الفرد والمجتمع يتحرك فيها فكره حركة نقدية تحرره من الخضوع والتبعية العمياء، وهذا الذي عابته فلسفة الأنوار على المجتمعات التقليدية⁽⁴⁾، وهكذا أفلح المجتمع الصناعي في إخراس المعارضات وابتلاعها، وشغل الناس بحرية الاختيار بين سلع وخدمات عن الحرية التي تصان فيها كرامة الإنسان عن

(1) ماركوز، هربرت، الإنسان ذو البعد الواحد، 8990.

(2) نفسه، 90.

(3) نفسه، 87.

(4) نفسه، 46.

الامتهان، فأصبحت "المنتجات تكيف الناس مذهبيا وتشرطهم، وتصطنع وعيا زائفا عديم الإحساس بما فيه من زيف"⁽¹⁾، وهكذا وقعوا في فخ الحاجات الكاذبة وعانقوا حرية وهمية، "إن الحرية المنظمة من قبل مجموع اضطهادي يمكن أن تصبح أداة سيطرة قوية ... فقدرة المرء على اختيار ساداته لا تلغي لا السادة ولا العبيد ... وإذا كان الفرد يحدد تلقائيا الحاجات المفروضة عليه فهذا لا يعني أنه سيد نفسه، وإنما يدل فقط على أن الرقابة ناجعة"⁽²⁾.

فكم ابتعدنا يا ترى في القرن العشرين عما سماه إتيان دو لا بويسيه في القرن السادس عشر (العبودية المختارة)؟

ازداد مأزق الإنسانية بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، إذ استفردت أمريكا زعيمة الغرب بالسيادة العالمية، فزادت جرأتها على انتهاك القوانين الدولية، وإشعال الحروب، ونهب الثروات، وألبست ذلك لبوس محاربة محور شر صاعد، متمثل بزعمها في الإرهاب ذي الهوية الإسلامية، وقد نجحت في إقناع الشعب الأمريكي في خوض هذه الحرب التي أسفرت عن مأس جديدة، كما أرغمت معظم دول العالم على الوقوف خلفها.

يرجع العالم اللساني والمناضل اليساري ناعوم تشومسكي نجاح الحكومات الأمريكية في توريط شعبها في صناعة المأزق العالمي الجديد إلى سيطرة محكمة على الإعلام وفق منظور جديد للديمقراطية، بحيث يكون معنى الديمقراطية "أن يمنع العامة من إدارة شؤونهم، وكذا من إدارة وسائل الإعلام التي يجب أن تظل تحت السيطرة المتشددة"⁽³⁾. ومع أن هذا المعنى هو عين الاستبداد، إلا أن الشعب الأمريكي مقتنع بأنه يعيش حياة ديمقراطية، فكيف حصل ذلك؟

يعود بنا تشومسكي إلى زمن الحرب العالمية الأولى ليخبرنا عن أول نجاح للدعاية الماكرة التي صنعتها الحكومة الأمريكية من أجل تحويل شعبها المسالم الراض للحرب إلى جموع

(1) نفسه، 4849.

(2) نفسه، 4344.

(3) تشومسكي، ناعوم. السيطرة على الإعلام: الإنجازات الهائلة للبروباغندا، 7.

"تتملكهم الهيستيريا والتعطش للحرب"⁽¹⁾، رغبة في تدمير ألمانيا الشريرة، وإنقاذ العالم. تم ذلك في ستة أشهر فقط بفضل لجنة من خبراء وعلماء متخصصين، كان منهم الفيلسوف وعالم النفس المعروف جون ديوي، و"بعد أن وضعت الحرب أوزارها. تم توظيف ذات التكتيك لإثارة هيستيريا ضد الرعب الشيوعي، كما كان يطلق عليه، وقد نجحت إلى حد كبير في تدمير الاتحادات العمالية، والقضاء على بعض المشكلات الخطيرة! مثل حرية الصحافة وحرية الفكر السياسي"⁽²⁾. وكان الدرس المستفاد من تلك النجاحات الباهرة "أن الدعاية التي تتم بإشراف الدولة حينما تدعمها الطبقات المتعلمة، وحين لا يُسمح بأي انحراف عن الهدف، بإمكانها أن تحدث أثرا كبيرا. ذلك كان درسا تعلمه هتلر وكثيرون غيره، ويتم اتباعه حتى اليوم"⁽³⁾.

ووفق المنظور الجديد للديمقراطية الأمريكية يصنّف المواطنون إلى طبقات:

1- "الطبقة المتخصصة، وهم الذين يحللون وينفذون ويصنعون القرارات ويديرون الأمور في النظم السياسية والاقتصادية والإيديولوجية، وهي نسبة ضئيلة من السكان"⁽⁴⁾ مكلفة بتسيير البقية الباقية، يتداولون الحكم من خلال المنافسات الانتخابية بين الحزب الجمهوري والحزب الديمقراطي.

2- "القطيع الحائر أو الضال" أي السواد الأعظم من الشعب، ووظيفتهم أن يكونوا مشاهدين لا مشاركين، ولأن أمريكا مجتمع ديمقراطي ستتم دعوة القطيع الضال فيما يسمى بالانتخابات لتأييد أحد أفراد الطبقة المتخصصة⁽⁵⁾.

3- الطبقة الثالثة "الذين يملكون القوة الحقيقية، وهم أولئك الذين يملكون المجتمع، وهي

(1) نفسه، 8.

(2) نفسه.

(3) نفسه.

(4) نفسه، 10.

(5) نفسه.

بطبيعة الحال جماعة صغيرة⁽¹⁾، وبين يدي هؤلاء يتنافس رجال الطبقة الأولى في عرض الخدمات، فبفضلهم هم يصل من يصل من المتخصصين إلى السلطة ومراكز القرار، ولكن عليهم أن يخفوا هذه الحقيقة حتى عن أنفسهم، لئلا تחדش الصورة المصقولة للديمقراطية الأمريكية. وهذه الطبقة المتحكمة من وراء ستار هم أصحاب الثروة، وسادة الاقتصاد العالمي.

بناء على هذا التقسيم يكون معنى الفوز بالانتخابات هو إدارة السواد الأعظم عبر الإعلام والتعليم ووسائل الثقافة الشعبية من طرف المتخصصين لمصلحة الأثرياء المترفين، وعلى المتخصصين أن يقنعوا أنفسهم بأن هذه الخدمة قائمة على أساس منطقي، والتزام أخلاقي، إذ "لا يجب السماح للقطيع الحائر بأن يكونوا مشاركين في الفعل، فهم سيتسببون في إثارة المشاكل، وبالتالي نحن بحاجة لترويض هذا القطيع، وهذا الترويض سيكون من خلال تلك الثورة الجديدة في فن الديمقراطية، أو تصنيع الإجماع والقبول"⁽²⁾.

يقول تشومسكي: "فهذا على كل حال هو مجتمع رجال الأعمال الذي يسيطر على وسائل الإعلام، ولديه موارد هائلة، وقد نجحت بفعالية شديدة... وتم تطبيقها مرارا وتكرارا للقضاء على أعمال الإضراب، وكان يطلق عليها الطرق العلمية للقضاء على الإضراب، وكانت طرقا ذات فعالية في تعبئة الرأي العام لصالح مبادئ تافهة وخاوية من المعنى مثل الهوية الأمريكية"⁽³⁾.

إذا كانت الهوية الأمريكية على هذه الدرجة من الزيف والخداع، مع أن أمريكا لا تدين بالتبعية لغيرها، بل هي سيدة العالم كله، فكيف سيكون حال الهويات الوطنية لبلدان تابعة مثل البلدان الإسلامية؟

(1) نفسه، 11.

(2) نفسه.

(3) نفسه، 14.

الخاتمة

القرآن كما رأينا يقابل بين الاستخلاف والاختلاف، ففي أزمنة الاستخلاف يسترجع الإنسان هويته الفطرية الأولى، وفي أزمنة الاختلاف يتولى الأقوياء صناعة هويته، فتتمحي هويات، وتنشأ هويات، وتتعدد بتعدد المتنافسين، بل تُفصل الأمم القوية هويات على المقاس للأمم الضعيفة من أجل استتباعها كما وقع في عصرنا هذا.

هؤلاء الأقوياء في المعجم القرآني هم المترفون، وهم حلفاء إبليس الذي يتحملون جريمة إهدار الإنسانية عبر الانقلاب على نظام الشراكة، لتسخير البشر لمآربهم: ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ. وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: 116-117]

أزمة الهوية في أزمنة الاختلاف هي في الحقيقة أزمة مرجعية، لأن الشعوب مهما نجحت في نضالاتها ضد الظلم، وأسست منظومة من قيم الحق والعدل إلا وقع اختراقها من طرف المترفين، فيحرفون الكلم عن مواضعه، ثم يجعلون المعاني الشريفة تحت أقدامهم. هكذا يحدد القرآن العلة في أزمة الهوية، إنها السياسة باعتبارها لعبة نخبوية يتحكم فيها المترفون من وراء حجاب القداسات الزائفة، والإجماعات المصطنعة بالدعايات الكاذبة، والمؤطرة بالأساطير، والمحروسة بالحديد والنار، ولا يختلف الأمر اليوم عما كان عليه بالأمس، إذ لا فرق في الجوهر بين الوثنيات القديمة والوطنيات الحديثة، ففخاخ الهويات القتالة لا زالت تعترض سبل الإنسانية، حتى قال الفيلسوف الإنجليزي برتراند راسل (1872-1970): "في السياسة الوطنية هي الشر المحض"⁽¹⁾، لأن الدول عبر سلطتها التعليمية "تضحي بالأطفال من أجل ما تعتبره مصلحة الدولة من خلال تعليمهم (الوطنية)، أي الاستعداد للقتل والتعرض للقتل لأسباب تافهة"⁽²⁾، وهل هناك أتفه من أن يموت الملايين، وتخرب المدن، من أجل حفنة متعفنة من المترفين.

(1) برتراند راسل، العالم كما أراه، 69

(2) Russell, B. Sceptical Essays. p 180

ولا سبيل إلى تحرير الإنسان من الاسترقاق الذي يفرض عليه من خلال الهويات المفتعلة إلا سبيل الأنبياء، ألا وهو خوض معركة البيان: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ؛ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً فِيهَا كُتِبَ قِیمَةٌ﴾ [البينة: 1-3] وما الانفكاك إلا تحرير علمي لوعي الإنسان من أباطيل الهويات القتالة. وقد روي عن المسيح عليه السلام: «الْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ»⁽¹⁾، «بِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أحراراً»⁽²⁾.

ولا ينبغي أن يفهم مما قرناه في هذا المقال أن الهوية التي هي بمعنى الانتماء القرابي والعشائري والبلداني والوظيفي ... هي مرفوضة بإطلاق، بل هي من ضرورات الاجتماع، وإنما تتحول إلى خطر مميت إذا جعلت فوق الهوية الفطرية التي جاء القرآن ليرد الناس إليها.

قائمة المراجع

- ابن الصمة، دريد. ديوان دريد بن الصمة، تحقيق عمر عبد الرسول، القاهرة: دار المعارف.
ابن خلدون، عبد الرحمن. (2004). المقدمة، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دمشق: دار يعرب.
ابن فارس، أحمد. (1979). معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.
ابن قيم الجوزية، شمس الدين. (1997). أحكام أهل الذمة، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري - شاعر بن توفيق العاروري، الدمام: رمادى للنشر.
الأصفهاني، الراغب. (1412هـ). المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية.
البخاري، محمد بن إسماعيل. (1422هـ). الجامع الصحيح، بعناية: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة.

(1) إنجيل يوحنا، الإصحاح 8: 32.

(2) إنجيل يوحنا، الإصحاح 8: 36.

- تشومسكي، ناعوم. (2003). السيطرة على الإعلام: الإنجازات الهائلة للبروباغندا، ترجمة: أميمة عبد اللطيف، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.
- دو لا بويسيه، إتيان. (2016). العبودية المختارة، ترجمة صالح الأشمر، بيروت: دار الساقي
- راسل، بتراند. (2019). العالم كما أراه، ترجمة نظمي لوقا، أقلام عربية للنشر والتوزيع.
- الطبراني، أبو القاسم. المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، القاهرة: مكتبة ابن تيمية.
- الطبري، محمد بن جرير. (2000)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة.
- عبد الباقي، محمد فؤاد. (1988). المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، القاهرة: دار الحديث.
- الفارابي، أبو نصر. (2012). التعليقات، تحقيق: جعفر آل ياسين، بيروت: دار البصائر.
- فرج عبد القادر، طه، والسيد أبو النيل، محمود، وعطية قنديل، شاكر، وحسين عبد القادر، محمد، وكامل عبد الفتاح، مصطفى. معجم علم النفس والتحليل النفسي، بيروت: دار النهضة العربية، ط1.
- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. (2005). القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- القشيري، مسلم بن الحجاج. (1955). صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي.
- كونزن، بيتر. (2010). البحث عن الهوية: الهوية وتشتمها في حياة إيريك إريكسون وأعماله، ترجمة سامر جميل رضوان، الإمارات العربية، العين: دار الكتاب الجامعي.
- ماركوز، هربرت. (1988). الإنسان ذو البعد الواحد، ترجمة: جورج طرايشي، بيروت: منشورات دار الآداب.
- مختار عمر، أحمد. (2008). معجم اللغة العربية المعاصرة، القاهرة: عالم الكتب.

- مصباح، عثمان. (2012). مفهوم الفطرة: دراسة نقدية لمقالات الإسلاميين، القنيطرة: منشورات معهد الغرب الإسلامي.
- مصباح، عثمان. (2018). مدخل قرآني إلى القرآن الكريم: مساهمة في إحياء الذكر وتجديد الفكر، ألمانيا: مؤسسة نور للنشر.
- مصباح، عثمان. (2022). نظرية في مقاصد القرآن: نحو إعادة تأسيس العقل. في: صادقي، مصطفى، و بوكلاح، محمد، وحالي، أحمد. نحو بناء منهاج جامع لعلوم الوحي وعلوم الإنسان: الأسس الإستمولوجية.
- نكري، الأحمد. (2000). دستور العلماء، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، تعريب حسن هاني فحص، بيروت: دار الكتب العلمية.

References:

- France, A. (1922,18 juillet).On croit mourir pour la patrie, *L'Humanité*, pp 2-10. Retrived from <https://tinyurl.com/2as4puzc>.
- Russell, B. (1928). *Sceptical Essays*. London: George Allen & Unwin.

Contents:

No.	The research	The researcher	Page No.
1.	The Impact of the Glorious Qur'an on Reforming the Intellectual Activity.	Dr. Adil Ibrahim Al-Mahrooq	17-46
2.	The Impact of Studying Quranic Terminology on the Consciousness of the Ummah.	Dr. Amin bin Omar bin Abdullah Babatahir	47-74
3.	"The Rulings Governing the Relationship Between Muslims and Others in the Holy Qur'an and Its Guidelines".	Dr. Dalila Bouzeghar	75-110
4.	The Qur'an and Science: Exploring Their Deep Relationship Through the Laws of Mathematics, Physics, and Artificial Intelligence.	Dr. Tawfiq Abdullah AL-Kamel	111-155
5.	Science in the Holy Quran Motivations and Cautions.	Dr. Saad Saeed Karamah Al-Ghannini	156-201
6.	Linguistic Errors in Qur'anic Recitation: Manifestations 'Causes, and Remedies (A Descriptive Study)	Dr. Hassan Ahmed Bin Sumeit Dr. Omar Mubarak Baswad	202-225
7.	The Danger of Incomplete Fragmented Reading in Understanding Qur'anic Texts, A Doctrinal Study.	Dr. Abdullah Khamis Omair Bajham	226-284
8.	A Matter of Identity in the Holy Quran	Dr. OTMANE MESBAH	285-315

Journal of

HOLY QURAN & ISLAMIC SCIENCES UNIVERSITY

A refereed scientific journal issued by: HOLY QURAN &
ISLAMIC SCIENCES UNIVERSITY – YEMEN

Consultation Body

Prof. Dr. Abulhaq Abdldym Al-Qadhi
Prof. Dr. Abdullah Othman Al- Mansouri
Prof. Dr. Hassan Abduljaleel Al-Abadlah
Prof. Dr. Saleh Abdullah Al-Dhabiani
Prof. Dr. Abdulrahman Ibrahim Al-Khamisi
Prof. Dr. Ahmed Saleh Qatran
Prof. Dr. Ali Yousuf A'ati
Prof. Dr. Mohammad Hatem Al-Mikhlafi
Prof. Dr. Hassan Thait Farhan
Prof. Dr. DAWOOD ABDULMALEK
ALHUDABI
Prof. Dr. Yasser Tarshany
Prof. Dr. Abdulla Alzubair Saleh
Prof. Dr. Amer Fael Balhaf
Prof. Dr. Abdulhamid Mohamed Zaroum
Prof. Dr. Abdulrasheed Olatunji Abdussalam

Editing Body

Chief of Editing

Prof. Dr. Yahya Moqbel Al-Subahi

Director of Editing

Prof. Dr. Abdulhaq Qanem Al-
Qarithi

Editor – in – chief

Prof. Dr. Mohammed Sarhan Al-
Mahmoodi
Prof. Dr. Asma Qhalib Al-Qurashi
Prof. Dr. Abdullah Ahmed Bin
Othman
Prof. Dr. Ahmed Saleh Ba-fadhl

Editorial Secretary

Eng. Shawqi Saleh Ba-Mafroosh

All correspondences to be titled to director of editing on the following
address

Journal of HOLY QURAN & ISLAMIC SCIENCES UNIVERSITY – Yemen
algarizi2012@gmail.com mob. +00967 771161908

Website: <http://journals.uqs-ye.info/index.php/uqs>

E-mail: journals@uqs-ye.info

Republic of Yemen
Ministry of Higher Education
and Scientific Research
**HOLY QURAN & ISLAMIC
SCIENCES UNIVERSITY**

Journal of
**HOLY QURAN & ISLAMIC SCIENCES
UNIVERSITY**

**Special Issue of the third International Qur'anic
Conference, Volume (2)**

September 2025

Journal of

E ISSN : 2617 -5894

ISSN : 3006 -6018

HOLY QURAN & ISLAMIC SCIENCES UNIVERSITY



A refereed semi-annual scientific journal

Issued by: HOLY QURAN &
ISLAMIC SCIENCES UNIVERSITY

Special Issue of the third International Qur'anic
Conference, Volume (2). September 2025

The Impact of the Glorious Qur'an on Reforming the Intellectual Activity.

Dr. Adil Ibrahim Al-Mahrooq

The Impact of Studying Quranic Terminology on the Consciousness of the Ummah.

Dr. Amin bin Omar bin Abdullah Babatahir

"The Rulings Governing the Relationship Between Muslims and Others in the Holy Qur'an and Its Guidelines".

Dr. Dalila Bouzeghar

The Qur'an and Science: Exploring Their Deep Relationship Through the Laws of Mathematics, Physics, and Artificial Intelligence.

Dr. Tawfiq Abdullah AL-Kamel

Science in the Holy Quran Motivations and Cautions.

Dr. Saad Saeed Karamah Al-Ghannini

Linguistic Errors in Qur'anic Recitation: Manifestations ,Causes, and Remedies (A Descriptive Study.

Dr. Hassan Ahmed Bin Sumeit, Dr. Omar Mubarak Baswad

The Danger of Incomplete Fragmented Reading in Understanding Qur'anic Texts, A Doctrinal Study.

Dr. Abdullah Khamis Omair Bajham

A Matter of Identity in the Holy Quran.

Dr. OTMANE MESBAH